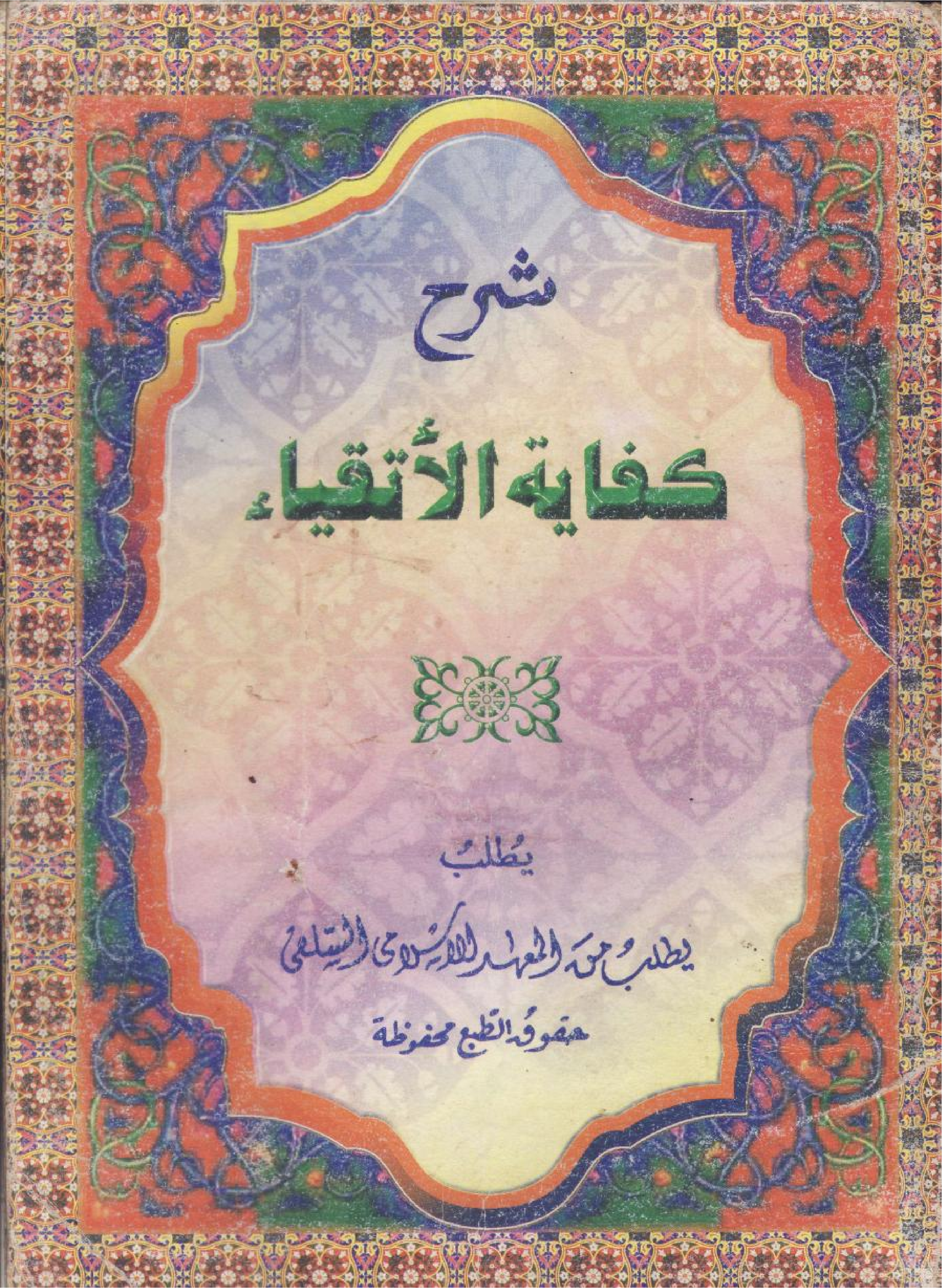
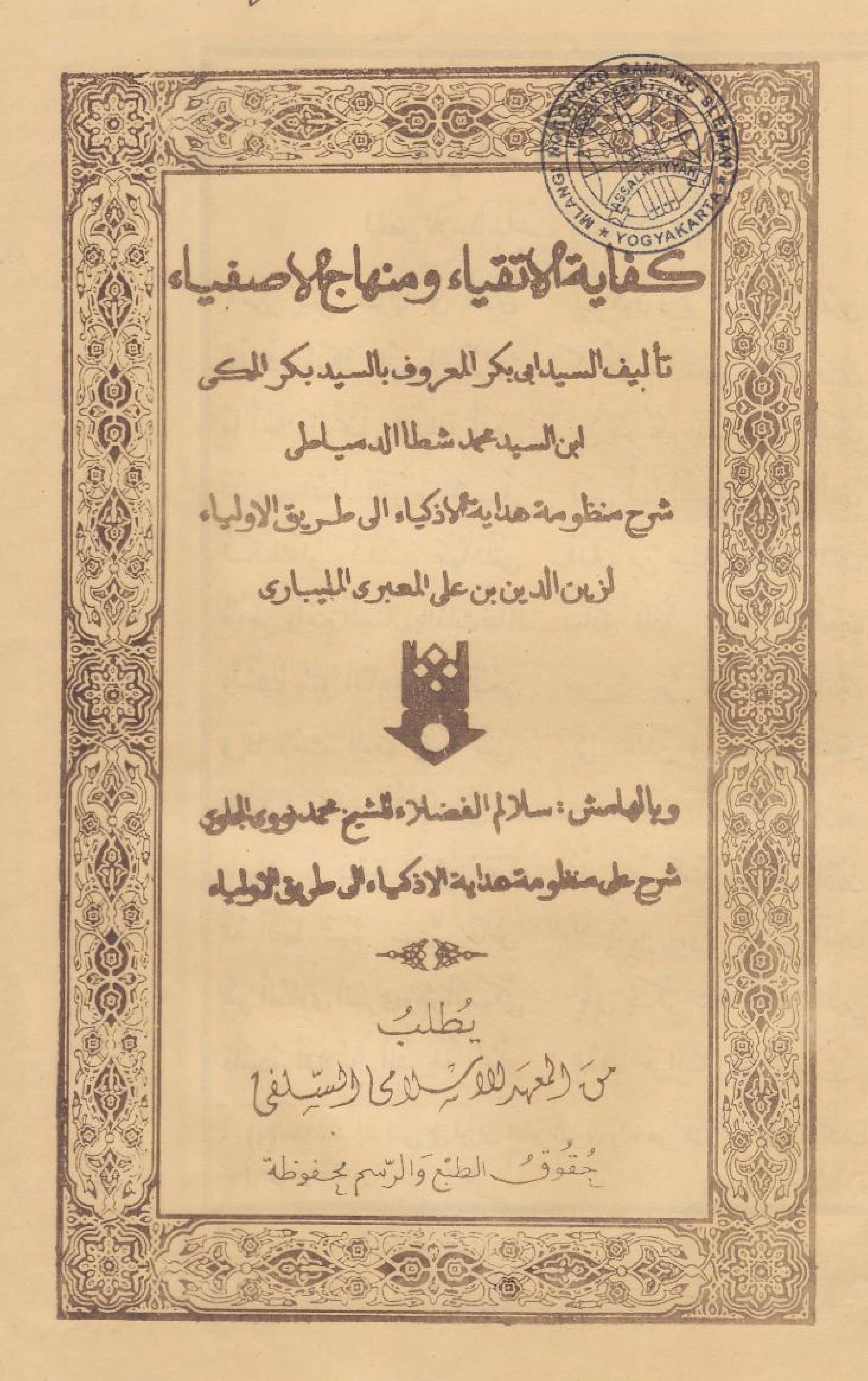

شرح
كفاية الأتقياء
يُطلبُ
يطلبُ منَ المعهد الإسلامي السلفي
حقوقُ الطبع محفوظة



كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء

تأليف السيد ابى بكر المعروف بالسيد بكر المكى

ابن السيد محمد شطا الدمياطى

شرح منظومة هداية الأذكياء الى طريق الأولياء

لزين الدين بن على المعبرى المليبارى

وبالهامش: سلالم الفضلاء للشيخ محمد نووى الجاوى

شرح على منظومة هداية الأذكياء الى طريق الأولياء

يُطلب

من المعهد الإسلامى السلفى

تقريظ الكتاب

لبعض تلاميذ صاحب كفاية الأتقياء [1]

يَا مَنْ يَبْغِي مَعَالِيًا فِي ٱلدِّينِ　　لِيَكُونَ قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ يَوْمَ ٱلدِّينِ

فَٱتْرُكْ دُنْيَاكَ إِنَّهَا لَغَرُورٌ　　كَمْ غُرَّ بِهَا شَهْمٌ وَلَيْثُ عَرِينِ

مَا أَحْلَاهَا تُجْلَى لِقَلْبِكَ أَزْهَى　　مِنْ بَدْرِ تَمَامٍ يَكُونُ مِلْءَ ٱلْعَيْنِ

قَدْ زَيَّنَ قَدَّهَا ٱلْقَوِيمَ حُلًى　　تَسْبِي لُبَّ ٱلنَّسِيكِ رَاجِيَ ٱلْعِينِ

لٰكِنَّكَ لَوْ كَشَفْتَ عَنْهَا تَلْقَى　　أَنْتَنَ مِنْ جِيفَةِ ٱلْكِلَابِ لِعَيْنِ

فَٱفْطُنْ وَٱعْتَبِرِ ٱلْجَمَالَ بِالذَّاتِ　　فَمَا ٱلسَّعَادَةُ غَادَةٌ بِمَسْجَدٍ وَلُجَيْنِ

وَٱسْلُكْ سُبُلَ ٱلنَّاجِينَ عَلَّكَ تَنْجُو　　مِنْ حَرِّ لَظًى وَشَرِّ فَتَّانَيْنِ

وَإِذَا رُمْتَ العِينَ فِيمَا تَبْغِي .　　كَيْ تَفْطُنَ فِي دَسَائِسَ لِلْمَيْنِ

فَٱعْمِدْ لِكِفَايَةِ ٱلْأَتْقِيَاءِ عَلَى مَتْــنِ　　هِدَايَةِ ٱلْأَذْكِيَاءِ لِزَيْنِ

نَاهِيكَ بِهَا شَرْحًا تَضَمَّنَ مَحْيَا　　قَلْبٍ قَدْ مَاتَ مِنْ عُلُوِّ ٱلرَّيْنِ

قَدْ أَلَّفَهَا شَهْمٌ سَرِيٌّ مَاضٍ　　لَا يَمْنِيهِ سِوَى طِلَابِ ٱلْعِينِ

هُوَ أُسْتَاذِي ٱلسَّرِي وَهُوَ ٱلْمُكَنَّى　　بِأَبِي بَكْرٍ شَطَا نَصِيرِ ٱلدِّينِ

دَامَتْ أَقْلَامُهُ ٱلشَّرِيفَةُ تَجْلُو　　لِلدِّينِ عَرَائِسًا لِعَيْنِ يَقِينِ

---

(١) هذا التقريظ ليس على أوزان الشعر العربي وانما هو كلام يفيد مدح الكتاب جعل على هيئة الشعر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خص عباده الأخيار . بالتوفيق لحصل لهم العز والفخار . ومحا من قلوبهم ظلمة السوى وحب الأغيار . وحباهم بالحلم والعلم والصفا من سائر الأكدار . والصلاة والسلام على من توجه الله بتاج الوقار . ونور بوجوده جميع الأقطار . سيدنا محمد الحاث على طاعة الكريم الغفار الناهي عن اتباع الهوى والنفس والشيطان وكل ضار . وعلى آله السادة الأطهار . وأصحابه الكملة الأبرار . صلاة وسلاما نحوز بهما كل المقاصد والأوطار . وغفران الذنوب لنا ولأقاربنا والبادين والحضار . آمين .

أما بعد : فيقول خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام . كثير الذنوب والآثام . راجي الغفران من ربه ذي العطا . أبو بكر بن المرحوم محمد شطا . لطف الله به والمسلمين : قد طلب مني بعض الإخوان أصلح الله لي وله الحال والشان أن أكتب شرحا لطيفا على القصيدة المسماة (بهداية الأذكياء إلى طريق الأولياء) للعارف بالله تعالى الشيخ زين الدين ابن الشيخ علي ابن الشيخ أحمد المعبري الأصل الشافعي المذهب رحمه الله تعالى وأمدنا بمدده مشتملا على بيان معانيها وإعراب مبانيها ، فأجبته وإن كنت لست أهلا لذلك رجاء أن أندرج في أهل هاتيك المسالك ، وما أحسن قول من قال :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالرجال فلاح

وسميته : (كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء ، على هداية الأذكياء ، إلى طريق الأولياء)

واعلم أيها الواقف على ذلك أنه ليس لي فيه إلا الجمع والنقل من كلام العلماء الراسخين والصلحاء العارفين ، وحيث قلت قال في الشرح فمرادي به شرح ابن الناظم المسمى (بمسلك الأتقياء ومنهج الأصفياء) فالمرجو ممن اطلع على شيء من الخلل أن يصلحه بعد التأمل ، ويسامح فيما يظهر من الزلل ، فإنه قل أن يخلو مؤلف عن هفوة ومصنف من عثرة ، خصوصا في هذا الزمان مع كثرة الهموم والأحزان ، ولله در القائل :

فافتح له باب اعتذار ان فسد   معنى وأول موهما إذا ورد

وأسأل الله العظيم وأتوسل بنبيه الكريم أن يوفقني وإخواني لمرضاته وأن يسبل علي وعليهم ذيل كراماته وأن ينفع به كما نفع بأصله وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وموجبا للفوز لديه بجنات النعيم وها أنا أشرع في المقصود مستمدا من حضرة الملك المعبود فأقول : قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين :

(بسم الله الرحمن الرحيم) اعلم رحمك الله أنه ينبغي لكل شارع في فن أن يتكلم على البسملة بما يناسب الفن المشروع فيه وفاء بحق البسملة وبحق الفن المشروع فيه والمشروع الآن في فن التصوف فينبغي أولا أن نبين حده وموضوعه وبقية المبادي ثم نلحق ذلك بالتكلم على البسملة فنقول : أما حده فهو علم يعرف

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي وفق من اختاره من عباده لأداء الطاعات مع ملازمة الآداب وهدى من ارتضاه إلى توزيع الأوقات على الاشتغال بالعلوم النافعة والعبادات والأحزاب . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له البر التواب . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل من زهد وتوكل وأخلص وخلا للتحنث وأناب . وصلى الله على سيدنا محمد الذي خلقه تنزيل الكتاب وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا جادة الصواب . (أما بعد) فيقول العبد الفقير كثير التقصير الملتجي إلى مولاه القوي محمد المعروف بين الناس باسمه نووي : هذا شرح سلكت فيه على منظومة الشيخ زين الدين والد الشيخ عبد العزيز والد الشيخ زين الدين الثاني مؤلف فتح المعين فصار صاحب هذه المنظومة جدا لصاحب فتح المعين وهي من بحر الكامل وأجزاؤه متفاعلن ست مرات . وسميته (سلالم الفضلاء على هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء) وليس لي في هذا المجموع إلا الكتابة والجمع من كلام

النبلاء فاذا رأيت فيه شيئا من الخلل لمن تشويش حصل منى أو وهم صدر من سوء فهمى فالمطلوب ممن اطلع على ذلك أن يصلحه بعد وضع الميزان فرحم الله امرأ رأى عيبا فستره أو زللا فغفره أووهما فحمل على صاحبه وعذره فانه قل أن يخلص مصنف من الهفوات أو ينجو مؤلف من العثرات مع عدم تأهلى لذلك وقصورى عن الوصول إلى ماهنالك وانى أبرأ الى الله مما زل به البنان أو ضل به البيان أو حل فيه الخطأ أو النسيان والى الله الكريم أمد أكف الضراعة والابتهال أن لايجعله حجة على يوم قيام الساعة وظهور الأهوال . ثم اعلم أن هذا الناظم هو الشيخ زين الدين بن على بن أحمد الشافعى . ولد رحمه الله تعالى فى كوشن من مدن مليبار بعد طلوع الشمس من يوم الخميس (٤) الثانى عشر من شهر شعبان سنة اثنتين أو إحدى وسبعين وثمانمائة ونقله عمه القاضى زين الدين بن أحمد الى فنان وهو صغير وتوفى بهاقى النصف الثانى من ليلة الجمعة السادسة عشر من شهر شعبان سنة ثمان وعشرين وتسعمائة من الهجرة النبوية . ولهذا الناظم مصنفات كثيرة كتحفة الأحباء وارشاد القاصدين فى اختصار منهاج العابدين وشعب الايمان المعربة المختصرة من شعب الايمان الفارسية للعلامة السيد نور الدين الايجى وهى منتشرة فى بلاد الجاوة مع كثرة التحريف ولذلك نقلت الأبيات التى فيها ثم شرحتها باختصار . وسبب نظم هذه الأبيات كما حكى الناظم أنه كان مترددا فيما يشتغل به من العلوم أيشتغل بالفقه ونحوه أم بالتصوف كالعوارف وغيرها فرأى فى المنام ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة أربع عشرة وتسعمائة من الهجرة قائلا يقول إن التصوف أولى بالاشتغال فان السابح فى الماء الجارى اذا أراد أن يعبر من جانب إلى جانب فى عرض النهر يسبح إلى مقصده من الجهة التى يجرى الماء منها وهى جهة العلو حتى يصل الى مقصده ولايسبح فى مجرد العرض فانه لايصل بذلك إلى مقصده بل ينتهى إلى أسفل منه ففهم بذلك أن الاشتغال بالتصوف يوصل إلى المقصد والاشتغال بالفقه ونحوه لايوصل اليه و بعد هذه الرؤيا اشتغل بانشاء هذه الأبيات التى هى مائة وثمانية وثمانون بيتا فأجاد نظمها وقد افتتحها بقوله (بسم الله الرحمن الرحيم) أى أبدأ بكل اسم للذات الأقدس لابغيره ملتبسا للتبرك ومن المعانى الدقيقة ماقيل إن الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مجد الله وقيل إن الباء بكاء التائبين والسين سهو الغافلين والميم مغفرته

به أحوال النفس وصفاتها الذميمة والحميدة . وأما موضوعه فهو النفس من حيث مايعرض لها من الأحوال والصفات . وأما ثمرته فهى التوصل به الى تخلية القلب عن الأغيار وتحليته بمشاهدة الملك الغفار . وأما حكمه فهو الوجوب العينى على كل مكلف وذلك لأنه كما يجب تعلم مايصلح الظاهر كذلك يجب تعلم مايصلح الباطن . وأما فضله فهو فوقانه على سائر العلوم من جهة أنه يوصل الى ماذكر . وأما نسبته للعلوم فهى أنه أصل كل علم وماسواه فرع ونسبته للباطن كنسبة الفقه الى الظاهر . وأما واضعوه فهم الأئمة الأعيان العارفون بربهم المنان . وأما استمداده فهو من كلام الله وكلام رسوله سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم وذوى اليقين والعرفان . وأما مسائله فهى قضاياه . اذا علمت ذلك فيقال إن الشارع صلى الله عليه وسلم أمر بالبداءة بالبسملة فى كل أمر ذى بال لأن فى الافتتاح بها بركة عظيمة ونعمة جسيمة واقتداء بالكتب المنزلة من الله تعالى فكأنه سبحانه وتعالى يقول ياعبادى افتتحوا باسمى مبتدئين تكونوا به مهتدين والى رضاى واصلين وعن سخطى مبعدين (ومما يتعلق بالبسملة من المعانى الدقيقة) ماقيل إن الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مجد الله وقيل الباء بكاء التائبين والسين سهو الغافلين والميم مغفرته للمذنبين . وقال بعض الصوفية الله لأهل الصفا الرحمن لأهل الوفا الرحيم لأهل الجفا وقالوا أودع الله جميع العلوم فى الباء أى بى كان ماكان وبى يكون مايكون فوجود العوالم بى وليس لغيرى وجود حقيق الا بالاسم وهو معنى قولهم ما نظرت فى شىء الا ورأيت الله فيه أو قبله والحكمة فى أن الله جعل افتتاح البسملة بالباء دون غيرها من الحروف وأسقط الألف من اسم وجعل فى مكانها الباء لأنها حرف شفوى تنفتح به الشفة مالا تنفتح بغيره ولذلك كان أول انفتاح فم الذرة الانسانية فى عهد ألست بربكم بالباء فى جواب بلى وأنها مكسورة أبدا فلما كانت فيها الكسرة والانكسار فى الصورة والمعنى وجدت شرف العندية من الله تعالى كما قال أنا عند المنكسرة قلوبهم وقال عليه الصلاة والسلام من تواضع لله رفعه بخلاف الألف فان فيها ترفعا وتكبرا وتطاولا فلذلك أسقطت ، ثم المختار أن كلمة الله هى الاسم الأعظم فان قيل إن من شرط الاسم الأعظم أنه أن دعى الله به أجاب واذا سئل به أعطى فالجواب أن للدعاء آدابا وشروطا لا يستجاب الدعاء الا بها فأولها اصلاح الباطن باللقمة الحلال وقد قيل الدعاء مفتاح السماء وأسنانه لقمة الحلال وآخرها الاخلاص وحضور القلب كما قال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين وكما قال لسيدنا موسى ياموسى إن أردت أن يستجاب لك دعاؤك فصن بطنك عن الحرم وجوارحك عن الآثام والرحمن كثير الرحمة والرحيم رحمته عامة على جميع مخلوقاته فينبغى لكل شخص أن يرحم أخاه الموافقة له عز وجل قال كعب الأحبار مكتوب فى الانجيل ياابن آدم كما ترحم كذلك ترحم فكيف ترجو أن يرحمك الله وأنت

لاترحم

للمذنبين وأما اسم الجلالة فهو سلطان الأسماء وهو الاسم الجامع لمعاني أسماء الله الحسنى والرحمن الرحيم اسمان من أسمائه تعالى ومعانيهما كثيرة. منها ما قيل ان الرحمن اذا سئل أعطى والرحيم اذا لم يسأل غضب وأتى بهذين الاسمين دون غيرهما من بقية أسماء الله تعالى اشارة الى أن رحمة الله سبقت غضبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى مائة رحمة أمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل منها رحمة واحدة فبها تتراحمون وان الله تعالى يضمها يوم القيامة الى تلك فيرحم بها عباده وقد من الله تعالى ببسم الله الرحمن الرحيم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومنه تنبع الأنهار الأربعة كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليلة أسري بي الى السماء نزل جبريل علي وقال يا محمد افتح عينيك ففتحت عيني فنظرت واذا أنا عند شجرة عظيمة وعندها قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب أحمر وعلى الباب قفل من ذهب أحمر لو اجتمع من في الدنيا وصعدوا على تلك القبة كانوا مثل الطائر الجالس على الجبل أو كالسابح في البحر فرأيت هذه الأنهار تجري من القبة فلما أردت أن أرجع قال لي جبريل الى أين تذهب ألا تدخلها فقلت يا أخي يا جبريل كيف أدخلها وعليها قفل من ذهب فقال افتحه فان مفتاحها بسم الله الرحمن الرحيم فرأيت نهر الماء يجري من ميم بسم ورأيت نهر اللبن يجري من هاء الجلالة ورأيت نهر الخمر يجري من ميم الرحمن ورأيت نهر العسل يجري من ميم الرحيم فعلمت أن هذه الأنهار منبعها من بسم الله الرحمن الرحيم كذا ذكره الفشني (الحمد لله الموفق للعلا حمدا يوافي بره المتكاملا) الحمد هو الثناء باللسان ولو بدا لأجل الجميل الاختياري حقيقة أو حكما مع التعظيم ظاهرا وباطنا بأن لا يعتقد خلاف ما وصفه به ولا تخالفه أفعال الجوارح سواء كان الثناء بسبب مقابلة نعمة أم لا (قوله الموفق للعلا) بضم العين جمع علياء أي خالق القدرة لتحصيل أسباب الدرجات العلا وهي الطاعة لله ولرسوله (قوله حمدا) مفعول مطلق منصوب بالمصدر ولا يضر الفصل بين المصدر بن وأما قولهم لا يجوز الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي فالمراد بالمعمول غير المفعول المطلق والمفعول لأجله (قوله يوافي بره) بكسر الباء أي يقابل عطاياه تعالى بحيث يكون الحمد بقدرها فلا تقع عطية الا مقابلة بهذا الحمد بحيث يكون الحمد بازاء جميع العطايا وهذا على سبيل المبالغة بحسب ما ترجاه والا فكل عطية تحتاج لحمد مستقل كما قاله الجمل وقال ابن المقرى معنى يوافي بره يفي الحمد بره ويقوم بحقه

لا ترحم عباد الله والرحيم كثير الرحمة بالنعم الدقيقة ومن اذا سئل أعطى واذا لم يسئل يغضب كما قيل :

لا تسألن بني آدم حاجة ٭ وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب ان تركت سؤاله ٭ وبني آدم حين يسئل يغضب

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليلة أسري بي الى السماء عرض علي جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار نهرا من ماء ونهرا من لبن ونهرا من خمر ونهرا من عسل فقلت يا جبريل من أين تجيء هذه الأنهار والى أين تذهب قال تذهب الى حوض الكوثر ولا أدري من أين تجيء فادع الله تعالى ليعلمك أو يريك فدعا ربه فجاء ملك فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا محمد غمض عينيك قال فغمضت عيني ثم قال افتح عينيك ففتحت فاذا أنا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب أحمر وقفل لو أن جميع ما في الدنيا من الجن والانس وضعوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل فرأيت هذه الأربعة الأنهار تخرج من تحت هذه القبة فلما أردت أن أرجع قال لي ذلك الملك لم لا تدخل القبة قلت كيف أدخل وعلى بابها قفل لا مفتاح له عندي قال مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من القفل وقلت بسم الله الرحمن الرحيم انفتح القفل ودخلت في القبة فرأيت هذه الأنهار تجري من أربعة أركان القبة ورأيت مكتوبا على أربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم ورأيت نهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل يخرج من ميم الرحيم فعلمت أن أصل هذه الأنهار الأربعة من البسملة فقال الله عز وجل يا محمد من ذكرني بهذه الأسماء من أمتك بقلب خالص من رياء وقال بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الأنهار. وفي الحديث لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم والكلام على البسملة من الأسرار واللطائف لا يدخل تحت حصر وبالله التوفيق :

(الحمد لله الموفق للعلا ٭ حمدا يوافي بره المتكاملا)

بعد أن أتى بالبسملة ثنى بالحمدلة اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب أن يحمد وأخرج الديلمي مرفوعا ان الله يحب الحمد يحمد به ليثيب حامده وجعل الحمد لنفسه ذكرا ولعباده ذخرا وفي النثر المنبر عنه عليه السلام حمد الله أمان للنعمة من زوالها وعنه صلى الله عليه وسلم من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا الثوب من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وأفضل المحامد أن يقول الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده لما ورد أن الله لما أهبط آدم الى الأرض قال يا رب علمني المكاسب وعلمني كلمة تجمع لي فيها المحامد فأوحى الله تعالى اليه أن قل ثلاثا عند كل صباح ومساء الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده ولهذا لو حلف انسان ليحمدن الله بمجامع المحامد فليقل ...

(ثم الصلاة على الرسول المصطفى * والآل مع صحب وتباع ولا) أى الرحمة المقرونة بالتعظيم على رسول الله المختار من جميع الخلق والآل وهم أقاربه صلى الله عليه وسلم من مؤمنى بنى هاشم وبنى المطلب وهذا هو المراد هنا لأن الناظم ذكر التباع بعد وهو قطعا يشمل أولاده صلى الله عليه وسلم وهم سبعة أربع إناث وثلاثة ذكور القاسم ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم عبد الله ثم ابراهيم ويلقب عبد الله بالطيب والطاهر وكلهم ماتوا فى حياته صلى الله عليه وسلم إلا فاطمة فعاشت بعده ستة أشهر وكلهم من خديجة الا ابراهيم فمن مارية القبطية . وقوله مع صحب بسكون العين وفتح الصاد ويجوز كسرها والصحابى من اجتمع بالنبى مؤمنا به اجتماعا متعارفا وان لم يره ولم يرو عنه شيئا وان لم يطل المكث معه بخلاف التابعى مع الصحابى فلا بد أن يطول اجتماعه به أو يروى عنه فمن اجتمع بالنبى قبل الايمان ثم آمن بعد فليس صحابيا ودخل فى الصحابة عيسى لأنه اجتمع به فى المطاف وأخذ عنه شريعته كما مشى على ذلك الشيخ عبد السلام خلافا للرملى وكذا الخضر وأما جبريل فصحابى قطعا لأنه كان يأتيه صلى الله عليه وسلم فى صورة البشر كذا ذكره سيدى عطية الأجهورى . وقوله وتباع بضم التاء وشد الباء جمع تابع وهم من تبعوه صلى الله عليه وسلم فى دينه (وقوله ولا) بكسر الواو

هذا قال بعض العارفين الحمد لله ثمانية أحرف كأبواب الجنة فمن قالها عن صفاء قلب استحق أن يدخل الجنة من أبوابها شاء فيخير بينها إكراما ولا يختار الا ما سبق فى علمه تعالى أنه يدخل منه . وقوله الموفق للعلا أى لاكتساب أسباب العلا كالطاعة لله والطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم مع المحبة التامة لهما . والتوفيق معناه لغة موافقة الشىء للشىء واصطلاحا خلق قدرة الطاعة والداعية اليها فى العبد فالكافر غير موفق لعدم الداعية فيه ويشهد لذلك قوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » أى يجعل داعيته ورغبته ومحبته اليه وقال بعضهم لا حاجة الى زيادة والداعية اليها لأن المراد بالقدرة العرض المقارن للطاعة والمقارنة مفقودة فى الكافر فلا يكون موفقا . وقوله * حمدا يوافى بره المتكاملا * أى يفى باحسانه وبره الكامل ويحتمل أن المراد يقابل ويكافى بره وعطيته وهذا بحسب الظاهر والا فلا يستطيع أحد أن يجازى نعمه سبحانه وتعالى وكذلك العلم احصائها وحصرها قال تعالى « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » الاعراب : الحمد مبتدأ ولله متعلق بمحذوف خبر المبتدإ الموفق صفة للفظ الجلالة وللعلا متعلق بالموفق قال فى الشرح والعلا بضم العين جمع العليا أى الرفعة تأنيث الأعلى ويجوز أن يكون مفتوح العين ممدودا على وزن سماء بمعنى الرفعة والشرف فعلى هذا هو مفرد وقصره للوقف اه حمدا مفعول مطلق للحمد يوافى فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل وفاعله يعود على حمدا بره مفعوله والمتكاملا صفته وألفه للاطلاق .

(ثم الصلاة على الرسول المصطفى * والآل مع صحب وتباع ولا)

بعد أن أتى بالحمدلة ثلث بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم امتثالا لأمر الله تعالى بها حيث قال يا أيها الذين آمنوا صلوا الآية ولقوله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب ولقوله عليه السلام من سره أن يلقى الله وهو عنه راض فليكثر من الصلاة على وقوله عليه السلام من أكثر من الصلاة على فى حياته أمر الله جميع مخلوقاته أن يستغفروا له بعد موته وقال عليه السلام أكثروا من الصلاة على فانها نور فى القبر ونور على الصراط ونور فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من الصلاة على فانها تطفىء غضب الجبار وتوهن كيد الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم أكثركم صلاة على أكثركم أزواجا فى الجنة وفى حديث ما جلس قوم فتفرقوا عن غير الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن أنتن من جيفة حمار قال ابن الجوزى فى البستان فاذا كان المجلس الذى لا يصلى فيه يكون بهذه الحالة فلا غرو أن يتفرق المصلون عليه من مجلسهم عن أطيب من خزانة العطار وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم كان أطيب الطيبين وأطهر الطاهرين وكان اذا تكلم امتلأ المجلس بأطيب من ريح المسك وكذلك مجلس يذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم تنمو منه رائحة طيبة تخترق السموات السبع حتى تنتهى الى العرش ويجد كل من خلقه الله ريحها فى الأرض غير الانس والجن فانهم لو وجدوا تلك الرائحة لاشتغل كل واحد منهم بلذتها عن معيشته ولا يجد تلك الرائحة ملك أو خلق من خلق الله تعالى الا استغفر لأهل المجلس ويكتب لهم بعدد هذا الخلق كلهم حسنات ويرفع لهم بعددهم درجات سواء كان فى المجلس واحد أو مائة ألف كل واحد يأخذ من هذا الأجر مثل هذا العدد وما عند الله أكثر فيا اخوانى اذا علمتم ذلك فأكثروا من الصلاة على هذا النبى الكريم لأنه هو الواسطة العظمى لنا فى كل نعمة بل هو أصل الايجاد لكل مخلوق كما قال ذو العزة والجلال لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك وبالجملة ففوائد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لا تحصى منها أنها تجلو القلب من الظلمة وتغنى عن الشيخ وتكون سببا للوصول وتكثر الرزق وأن من أكثر منها حرم الله

جسده على النار كما قال صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل ببشارة لم يأتنى بمثلها قط قال من صلى عليك من
أمتك مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى عليك عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى
عليك مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى عليك ألفا حرم الله جسده على النار وينبغى للشخص إذا
صلى عليه صلى الله عليه وسلم أن يكون بأكمل الحالات متطهرا متوضئا مستقبل القبلة متفكرا فى
ذاته السنية لأجل بلوغ النوال والأمنية وأن يرتل الحروف وأن لا يعجل فى الكلمات كما قال صلى
الله عليه وسلم إذا صليتم على فأحسنوا الصلاة على فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض على فقولوا اللهم
اجعل صلواتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين سيدنا محمد عبدك ورسولك
إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذى يغبطه فيه الأولون والآخرون
رواه الديلمى موقوفا عن ابن مسعود رضى الله عنه وقوله المصطفى أى المختار من جميع الخلق صلى
الله عليه وسلم فهو أفضل من الملائكة والآل أى والصلاة على الآل واختلفوا فى تفسيرهم على أوجه
فقال الشافعى والجمهور هم مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب وقيل أولاد فاطمة رضى الله عنها وقيل كل
مؤمن تقى وقيل جميع أمة الاجابة والذى اختاره بعض المتأخرين أنه لا يطلق القول فيه بل يفسر فى
كل مقام بما يناسبه ففى قوله اللهم صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد الذين أذهبت عنهم الرجس
وطهرتهم تطهيرا يفسر بأهل بيته وفى قوله اللهم صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد الفائزين برضاك
يفسر بالمتقين وفى قوله اللهم صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد يفسر بجميع أمة الاجابة وعلى هذا
المراد بهم هنا جميع أمة الاجابة لكن عليه يكون قوله والصحب من ذكر الخاص بعد العام ولا مانع منه
الاعراب ثم الصلاة ثم حرف عطف والصلاة مبتدأ وعلى الرسول متعلق بمحذوف خبره والمصطفى صفة
للرسول وصفة المجرور مجرور والآل الواو عاطفة والآل معطوف على الرسول ومع بسكون العين ظرف
متعلق بمحذوف حال من الآل وهى مضاف وصحب بفتح الصاد وسكون الحاء مضاف اليه وهو اسم جمع
لصاحب وتباع بضم التاء وتشديد الباء المفتوحة جمع تابع وهو معطوف على صحب وولاء بكسر الواو
يحتمل أنه صفة لمصدر محذوف أى وصلاة ولاء أى متوالية ويحتمل أنه حال من المبتدأ على رأى سيبويه
أو من الضمير المستتر فى الخبر على تأويله باسم الفاعل أى حال كونها متوالية :

(تقوى الاله مدار كل سعادة * وتباع أهوا رأس شر حبائلا)

شروع فيما هو المقصود من هذا النظم وهو بيان ما يحتاج اليه سالك طريق الآخرة مبتدئا بالأصل الجامع
لخيرى الدنيا والآخرة وهو التقوى وهى عبارة عن امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ظاهرا وباطنا مع
استشعار التعظيم لله والهيبة والخشية والرهبة من الله تعالى وقال بعضهم التقوى أن يتقى العبد ما سواه تعالى
وقال بعضهم من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها وقال النصراباذى من لزم التقوى اشتاق الى
مفارقة الدنيا لأن الله سبحانه وتعالى يقول وللآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون وقال أبو عبد الله
التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى وقال بعضهم التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله
وقال سهل بن عبد الله لا معين الا الله ولا دليل الا رسول الله ولا زاد الا التقوى ولا عمل الا الصبر عليه أى
على العمل لأن الله يبتلى عبده بالمرض والعافية والفقر والغنى وغيرها فإن صبر على الشق الأول أثابه وإن شكر
على النعم أثابه . والحاصل لا ينال خير عاجلا ولا آجلا الا بالتقوى ولا يندفع شر عاجلا ولا آجلا ظاهرا
ولا باطنا الا بالتقوى وهى وصية الله للأولين والآخرين قال تعالى « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله » وكم رتب الله على التقوى من خيرات عظيمة وفوائد جسيمة فمن ذلك معيته
سبحانه وتعالى للمتقى قال الله تعالى « واعلموا أن الله مع المتقين » ومن ذلك العلم اللدنى قال تعالى « واتقوا الله

صفة لتباع أى متوالين كما فى الصحاح أى متتابعين الى قرب يوم القيامة

(تقوى الاله مدار كل سعادة * وتباع أهوا رأس شر حبائلا) قال على بن أحمد الجيزى فى تحفة الخواص التقوى لغة اجتناب الشخص ما يضره فى دينه ودنياه وفى اصطلاح الشرع امتثال الأوامر واجتناب النواهى وقد تخص باجتناب الشبهات انتهى وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك أى تقوى الله فى السر والعلانية سبب كل سعادة فى الدارين فإنها زاد الآخرة والتقى فليجعل بينه وبين المعاصى وقاية تحول بينه وبينها من قوة عزمه على تركها واستحضار علمه بقبحها . وأنشد بعضهم من بحر الطويل:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله
وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

(قوله وتباع) بكسر التاء مصدر تابع وأهوا جمع هوى بالقصر والجمع فى الأصل ممدود وهنا مقصور للضرورة. وحبائل مضاف اليه وهو جمع حبالة بكسر الحاء وهو شرك الصائد والمراد هنا الكيد والمعنى ومتابعة أنواع هوى النفس أصل شر مكايد الشيطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان قال تعالى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه »

ويعلمكم الله » ومن ذلك النجاة من النار قال تعالى « ثم ننجي الذين اتقوا » ومن ذلك المخرج من الشدائد والرزق من حيث لا يحتسب واليسر وعظم الأجر قال تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا - ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا - ومن ذلك الوعد بالجنة قال تعالى « إن المتقين في جنات ونهر » ومن ذلك الكرامة في الدنيا والآخرة قال تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » جعل الكرامة عنده بالتقوى لا بالأنساب ولا بالأموال ولا بشيء آخر وكم وعد الله ورسوله على التقوى من خيرات وسعادات ودرجات وحسنات يطول ذكرها ، وما أحسن ما قيل :

من يتق الله فذاك الذي * سيق اليه المتجر الرابح

وقيل أيضا :

من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقي

ما ضر ذا الطاعة ما ناله * في طاعة الله وماذا لقي

ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقي

والتقوى مصدر وقاه إذا منعه فالمتقي قد منع نفسه من شهواتها . وقوله مدار كل سعادة أي أصل وأساس كل سعادة ولهذا لا ينهدم ما بني عليها على تعاقب الدهور والسعادة ضد الشقاوة وهي توفيق الله للعبد وهدايته ومعونته وقوله واتباع بكسر التاء مصدر تابع والهواء بالمد وقصر للضرورة جمع هوى مصدر هويه إذا أحبه وشرعا ميل النفس الى ما يخالف الشرع وحبائل جمع حبالة بالكسر وهي في الأصل شرك الصيد والمراد بها هنا وساوس الشيطان ومكايده . والمعنى أن اتباع الشخص هواه هو رأس الشرور والقبائح والمهالك وذلك لقوله عليه السلام إن أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة رواه البيهقي في شعب الايمان وكأن الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه قال صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم (ويحكى) عن سيدنا يحيى عليه السلام أن ابليس بدا له وعليه معاليق فقال له ما هذا قال الشهوات التي أصيد بها بني آدم ففهم من هذا أن الخير كله والسعادة في مخالفتها قال تعالى « وأما من خاف مقام ربه » الآية . وقال البوصيري :

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وإن هما محضاك النصح فاتهم

الاعراب : تقوى مبتدأ وهو مضاف والاله مضاف اليه ومدار خبر المبتدأ وهو مضاف وكل مضاف اليه وهو مضاف وسعادة مضاف اليه واتباع مبتدأ والهوا مضاف اليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ورأس خبر المبتدأ وكل مضاف اليه وهو مضاف وحبائلا مضاف اليه مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف صيغة منتهى الجموع والألف للاطلاق :

(إن الطريق شريعة وطريقة * وحقيقة فاسمع لها ما مثلا)

لما بين ما يترتب على التقوى وعلى اتباع الهوى أتبعهما بذكر طرق السلوك إذ بها يتيسر رعاية التقوى واجتناب الهوى فقال إن الطريق الخ يعني أن الطريق للوصول للآخرة شريعة وطريقة وحقيقة فاسمع تمثيل القوم لها وهو ما سيذكره بعد . واعلم رحمك الله أنه لا بد لسالك طريق الآخرة من الجمع بين هذه الثلاثة وعدم التعطيل لشيء منها وذلك لأن الحقيقة بلا شريعة باطلة والشريعة بلا حقيقة عاطلة مثال الأول أن تقول لشخص صل فيقول لك لا حاجة الى الصلاة لأن السعيد سعيد الأزل فإن كنت سعيدا دخلت الجنة وإن لم أصل والا دخلت النار وإن صليت . ومثال الثانية من يعمل لأجل الجنة ويقول لولا عملي لما دخلتها فهذه شريعة عاطلة ومعنى كونها عاطلة أن وجودها كعدمها لأن دخول الجنة بفضل الله للحديث

وهو اشارة الى أن من الهوى معبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله :

(ان الطريق شريعة وطريقة وحقيقة فاسمع لها ما مثلا) أي ان الطريق التي توصل الى الله تعالى على ثلاثة أقسام شريعة وهي في الأصل مورد الناس لطلب الشرب وفي اصطلاح القوم فعل المأمورات وترك المنهيات وطريقة وهي تتبع أفعال النبي والعمل بها . وحقيقة وهي ثمرة الطريقة (قوله فاسمع لها ما مثلا) بالبناء للمجهول أي فاسمع ما مثل القوم بهذه الثلاثة

الشريف والشريعة هي المأمورات التي أمر الله بها والمنهيات التي نهى الله عنها والطريقة أخذ على ذلك والعمل به والحقيقة نظره لبواطن الأمور وشهود الفعل من الله فقوله تعالى تعليما لعباده إياك نعبد مراعى فيه ظاهر الشريعة لأنه منظور فيه إلى الكسب الظاهري الذي هو فعل العبد وقوله إياك نستعين مراعى فيه الحقيقة لأن فيه تبري العبد من حوله وقوته وشهود أن الفعل لا يتم إلا بمعونة الله وقوته . والحاصل يجب على العبد أن يعمل بجميع ما أمره الله به ويجتنب جميع ما نهاه الله عنه لكنه لا يلاحظ أن عمله هو الذي ينجيه وهو الذي يدخله الجنة ولولاه لما حصل له ذلك بل يلاحظ بالعمل امتثال أمر الله له بقوله ـ فاعبد الله مخلصا له الدين ـ وان أثابه على عمله فهو محض فضل منه سبحانه وتعالى وان عاقبه فمحض عدل منه سبحانه وتعالى لا يسئل عما يفعل قال الحسن البصري علم الحقيقة ترك ملاحظة ثواب العمل لا ترك العمل وقال سيدنا علي كرم الله وجهه : من ظن أنه بدون الجهد يصل الى الجنة فهو متمن ومن ظن أنه ببذل الجهد يصل الى الجنة فهو متعن . وحكي أن رجلا من بني إسرائيل عبد الله سبعين سنة فسأل الله أن يجعله مع الملائكة فأرسل الله اليه ملكا يخبره أنه مع تلك العبادة لا يليق به الجنة فلما بلغه قال العابد نحن خلقنا للعبادة فينبغي لنا أن نعبده فلما رجع الملك قال إلهي أنت أعلم بما قال فقال الله تعالى إذا هو لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم والاحسان لا نعرض عنه اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت له .

الاعراب : إن حرف توكيد ونصب والطريق اسمها وشريعة خبران وطريقة وحقيقة معطوفان على شريعة فاسمع الفاء فاء الفصيحة لأنها واقعة في جواب شرط مقدر واسمع فعل أمر وفاعله مستتر ولها نائب فاعل مثلا قدم عليه للضرورة وما مصدرية مثلا فعل ماض مبني للمجهول وما وما بعدها في تأويل مصدر مفعول اسمع ويحتمل أن ما اسم موصول واقعة على أمثلة ونائب الفاعل يعود على ما باعتبار اللفظ أي إذا عرفت أن الطريق ثلاثة فاسمع تمثيل القوم لها أو واسمع الأمثلة التي مثلها القوم لها:

(فشريعة كسفينة وطريقة * كالبحر ثم حقيقة در غلا)

شروع في بيان ما مثل القوم الثلاثة به فمثلوا الشريعة بالسفينة في أنها سبب في الوصول الى القصد والطريقة بالبحر في أنها محل للقصود الحقيقة بالدر في الارتفاع والعلو فلا يصل الشخص للحقيقة التي هي الدر الا بعد وصوله للبحر الذي هو محله ولا يصل له إلا بالسفينة ومثل بعضهم الثلاثة بالجوز فالشريعة كالقشر والطريقة كاللب والحقيقة كالدهن فلا يتوصل للدهن الا بعد الوصول للب ولا يتوصل له إلا بعد الوصول للقشر الاعراب : فشريعة الفاء فاء الفصيحة أي إذا أردت معرفة مثل الثلاثة فأقول لك شريعة الخ وشريعة مبتدأ والمسوغ وقوعه في مقام التفصيل وكسفينة متعلق بمحذوف خبر المبتدإ وطريقة مبتدأ وكالبحر متعلق بمحذوف خبره والجملة معطوفة على الجملة قبلها ثم حرف عطف وهي للتراخي في الرتبة وحقيقة مبتدأ ودر خبر المبتدإ وهو بضم الدال والتركيب المذكور نظير زيد أسد أو قمر فهو على التشبيه البليغ أي حقيقة مثل الدر وغلا فعل ماض وفاعله ضمير يعود على در والألف للاطلاق والجملة صفة لدر أي در غال :

(فشريعة أخذ بدين الخالق * وقيامه بالأمر والنهي انجلا)

لما فرغ من ذكر تمثيل القوم لها شرع في بيان معانيها فقال فشريعة الخ يعني أن الشريعة أخذه واتباعه لدين الاله وامتثاله للمأمورات واجتنابه المنهيات قال الشيخ علي بن الهيتمي رضي الله عنه الشريعة ما ورد به التكليف والحقيقة ما حصل به التعريف فالشريعة مؤيدة بالحقيقة والحقيقة مقيدة بالشريعة والشريعة وجود الأفعال لله والقيام بشروط العلم بواسطة الرسل والحقيقة شهود الأفعال بالله تعالى والاستسلام لتلك الحكم بتقدير لا بواسطة اه .

الاعراب : فشريعة الفاء فاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر أيضا أي واذا عرفت ذلك فأقول لك

(فشريعة كسفينة وطريقة كالبحر ثم حقيقة در غلا) أي الشريعة مثل السفينة في أنها سبب للوصول الى المقصد والنجاة من الهلاك والطريقة مثل البحر الذي فيه الدر في أنها محل المقصود والحقيقة مثل اللؤلؤ العظيم الزائد في السعر فلا يوجد اللؤلؤ إلا في البحر ولا يوصل الى ذلك البحر إلا بالسفينة وانما كان للمبتدأ هنا نكرة لأنه يقصد بها التفصيل والتقسيم كقول الشاعر من بحر المتقارب :
فأقبلت زحفا على الركبتين
فثوب لبست وثوب أجر
(فشريعة أخذ بدين الخالق
وقيامه بالأمر والنهي انجلا

مبينا لمعانيها شريعة الخ وشريعة مبتدأ وأخذه خبره وبدين متعلق به وهو مضاف والخالق مضاف اليه وقيامه معطوف على أخذ وهو من عطف التفسير إذ معنى الأخذ بدين الخالق بالأمر واجتناب النهى لأن الدين هو ما شرعه الله لنا من الأحكام وهي المأمورات والمنهيات وأخذ الدين هو القيام بما ذكر ويستفاد من الشرح أن العطف مغاير حيث فسر القيام بالتشمر وقال يقال قام بالأمر إذا تشمر له والمعنى بأن يجد في امتثال أمر الله واجتناب نهيه والنهى معطوف على الأمر ومعنى قيامه بالنهى قيامه بشأنه بأن يخاف منه وعثره انجلى أى انكشف فعل ماض والجملة حال من كل منهما أو صفة لأن المراد بهما العموم فهما نكرتان معنى :

(وطريقة أخذ بأحوط كالورع * وعزيمة كرياضة متبتلا)

يعني أن الطريقة عندهم هي الأخذ بالأحوط في سائر الأعمال ولا يأخذ بالرخص وذلك كالورع قال القشيري الورع ترك الشبهات وقال الغزالي الورع أربع درجات أدناها ورع العدل وهو ترك كل ما تحرمه فتوى الفقهاء كالربا والمعاملات الفاسدة الثانية ورع الصالحين وهو ترك الشبهة والثالثة ورع المتقين وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس قال سيدنا عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام الرابعة ورع الصديقين وهو ترك ما هو منفك عن الآفات (يحكى) أن أخت بشر الحافي رضي الله عنهما جاءت إلى الامام أحمد وقالت إنا نغزل في سطوحنا فتمر بنا مشاعل الطاهرية ويقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل في شعاعها فقال أحمد من أنت عافاك الله فقالت أخت بشر الحافي فبكى وقال من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها . وقيل إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة فلم يصح له أن يأكل شيئا من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه وكان إذا انقضى وقت الرطب قال يا أهل البصرة هذا بطني ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم ، وقيل لإبراهيم بن أدهم ألا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت (يحكى) أنه أوحى الله إلى نبيه موسى عليه السلام لم يتقرب إلي المتقربون بمثل الورع والزهد وقال أبو هريرة جلساء الله غدا أهل الورع والزهد وقال كهمس أذنبت ذنبا أبكي عليه منذ أربعين سنة وذلك أنه زارني أخ لي فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار جاري حتى غسل يده ولم أستحله قيل وكان رجل يكتب رقعة وهو في بيت بكراء فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله أنه بالكراء ثم إنه خطر بباله أنه لا خطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من طول الحساب ورهن الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سطلا عند بقال بمكة حرسها الله تعالى فلما أراد فكاكه أخرج البقال إليه سطلين وقال خذ أيهما لك فقال أحمد أشكل علي سطلي فهو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وإنما أردت أن أجربك فقال لا آخذه ومضى وترك السطل عنده وقيل رجع ابن المبارك من مرو إلى الشام في قلم استعاره فلم يرده على صاحبه . ودخل الحسن البصري مكة فرأى غلاما من أولاد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه مسندا ظهره إلى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن وقال له ما ملاك الدين فقال الورع قال فما آفة الدين قال الطمع فتعجب الحسن منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع السالم خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة ، وقوله وعزيمة هي لغة القصد المصمم والمراد بها هنا الجد والصبر على الأمر الشاق على النفس المخالف لهواها وذلك كرياضة النفس وحملها على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب كالسهر والجوع والزهد والصمت والعزلة وترك الشبهات وغيرها مما يقرب إلى الله سبحانه وتعالى قال الحسن القزاز بني هذا الأمر على ثلاثة أشياء أن لا تأكل إلا عند الفاقة ولا تنام إلا عند الغلبة ولا تتكلم إلا عند الضرورة وذلك لعموم قوله عليه السلام « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وخبر يحسب

وطريقة أخذ بأحوط كالورع

وعزيمة كرياضة متبتلا

(قوله وعزيمة) معطوف على قوله بأحوط أى والطريقة أيضا اعتياد السالك على حالة شاقة كرياضة أى تذليل النفس من قلة أكل وشرب ونوم ومن تباعد عن فضول المباحات (قوله متبتلا) حال من فاعل أخذ المقدر أى متفرغا للعبادة ومنقطعا عن الدنيا إلى الله تعالى والحقيقة وصول السالك إلى مقصده بكسر الصاد على أنه اسم مكان أى محل قصده أو بفتحها على أنه مصدر ميمي بمعنى اسم المفعول أى مقصوده

(وحقيقة لوصوله للمقصد * ومشاهده نور التجلي بانجلا) أي والشريعة طلب السالك الى الله تعالى دين الاسلام ودوامه على امتثال أمر الله تعالى واجتناب نهيه وهو المسمى بالاستقامة (قوله انجلا) أي اتضح كل واحد من الأمر والنهي للناس وهو تكملة للبيت والطريقة اعتماد السالك على أوثق الأمور كالورع وهو ترك الشبهة وهذا ورع الصالحين وترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس كما قال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام وهذا ورع المتقين واجتناب كل ما ليس خالصا لله وهذا ورع الصديقين وهؤلاء هم الموحدون المخلصون لا يتحركون ولا يسكنون إلا لله ولا يتكلمون ولا يسكنون الا لله ولا يأكلون الا للتقوى على عبادة الله ولا ينامون الا لله وان مشوا ففي حاجة مسلم أو سعي الى الخير (قوله وحقيقة) مبتدأ وقوله لوصوله خبره ولا يجوز عكسه لأن المبتدأ محكوم عليه والخبر محكوم به وشرط المحكوم عليه أن يكون معلوما والمحكوم به أن يكون مجهولا كما في شرح الأنموذج والحقيقة معلومة من الكلام السابق وهو معرفة في المعنى والوصول والمشاهدة غير معلومين كما لا يخفى وأيضا ان ذلك على نسق قوله وشريعة أخذ وطريقة أخذ (قوله ومشاهده) بسكون الهاء الأخيرة للوزن وهو مصدر شاهد معطوف على قوله لوصوله فهو مرفوع لعطفه على الخبر ومضاف الى ما بعده ومعنى مشاهدة نور التجلي بانجلاء رؤية نور التجلي بانكشاف تام وقال بعضهم الحقيقة فهم حقائق الأشياء كشهود الأسماء والصفات وشهود الذات وفهم أسرار القرآن وأسرار المنع والجواز وفهم العلوم الغيبية التي لا تكتسب من معلم فالتجلي هو ما ينكشف لقلب السالك من أنوار الغيوب فان كان مبدؤه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات سمي تجلي الذات وأكثر الأولياء ينكرونه ويقولون انه لا يحصل الا بواسطة صفة من الصفات فيكون هذا من تجلي الأسماء الذي هو قريب من تجلي الصفات وان كان مبدؤه فعلا من أفعاله تعالى سمي تجلي الأفعال فتجلي الأسماء هو ما ينكشف لقلب السالك من أسمائه تعالى فاذا تجلى للسالك في اسم من أسمائه اصطلم ذلك السالك تحت أنوار ذلك الاسم بحيث يصير اذا نادى ذلك السالك الله سبحانه تبارك وتعالى بذلك الاسم أجابه كذا أفاده أحمد اجنيد في السير والسلوك الى الله تعالى: (من رام درا للسفينة ركب * ويغوص بحرا ثم درا حصلا)

ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولقوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الآية وفي الخبر وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم وعمر الانسان رأس ماله الذي فيه تجارته فاذا ضيعه فيما لا يعنيه فقد أتلفه فيما لا شيء.

الاعراب: وطريقة الواو عاطفة طريقة مبتدأ وخذ خبره بأحوط الباء جارة وأحوط مجرور بالباء وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف الوصفية ووزن الفعل كالورع خبر لمبتدإ محذوف أي وذلك كائن كالورع وعزيمة الواو عاطفة وعزيمة معطوف على أحوط والمعطوف على المجرور مجرور كرياضة خبر لمبتدإ محذوف ومتبتلا حال من مقدر هو فاعل رياضة أي كرياضته حال كونه متبتلا أي منقطعا إلى الله تعالى بترك ما يشغله عنه:

(وحقيقة لوصوله للمقصد * ومشاهد نور التجلي بانجلى)

يعني أن الحقيقة هي وصول السالك للمقصود وهو معرفة الله سبحانه وتعالى ومشاهدة نور التجلي قال الغزالي التجلي هو ما ينكشف للقلب من أنوار الغيوب ويحتمل أن يراد بالتجلي هنا المتجلي وهو الله سبحانه وتعالى وهو يوافق ما قاله القشيري في الفرق بين الشريعة والحقيقة من أن الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية أي رؤيته إياها بقلبه

الاعراب: وحقيقة خبر مقدم ولوصوله اللام لام الابتداء ووصوله مبتدأ مؤخر وهذا الاعراب هو المتعين عند الجمهور لأنهم يقولون لا يخبر عن النكرة بالمعرفة وان تخصصت مطلقا واكتفى ابن هشام في الاخبار بالمعرفة عن المبتدإ النكرة بتخصيصه وعليه يجوز جعل حقيقة مبتدأ ولوصوله اللام زائدة ووصوله خبر المبتدإ وهذا أنسب من جهة أن حقيقة هي المحدث عنها ووافق ابن مالك الجمهور واستثنى مسائل يجوز فيها ذلك نحو كم لك وخير منك زيد وحسبك الله وأيد اسم وغيره هكذا في الصبان على الأشموني وللمقصد متعلق بوصوله وهو بكسر الصاد مصدر ميمي أريد منه اسم المفعول ومشاهد بالتنوين معطوف على وصوله وهو بفتح الهاء مصدر شاهد حذف منه التاء للضرورة ويحتمل أن يكون بصيغة اسم المفعول مرادا منها المصدر على حد * ألم تعلموا أن مصابكم رجلا * وعليه فلا حذف ولو قيل ومشاهدة باثبات التاء وقلبها هاء إجراء للوصل مجرى الوقف لاستقام ولكن العبرة بالرواية والمروي عن الناظم الأول ونور بالنصب مفعول المصدر وهو مضاف والتجلي مضاف اليه وهي للبيان على تفسير الغزالي السابق وبانجلا الباء للتصوير متعلقة بمحذوف حال من مشاهد أي حال كون المشاهدة مصورة بالانجلاء أي الانكشاف التام:

(من رام درا للسفينة ركب * ويغوص بحرا ثم درا حصلا)

أى من طلب اللؤلؤ ركب على السفينة أولا وغاص فى البحر على اللؤلؤ ثانيا وحصل بعد النزول تحت الماء لؤلؤا ثالثا فقوله للسفينة اللام بمعنى على لأن ركب يكون متعديا بنفسه ومتعديا بعلى كما فى المصباح وقوله بحرا منصوب بحذف الجار لأن الغوص يتعدى بفى كما فى القاموس والصحاح و بعلى كما فى المصباح والألف فى قوله حصلا للاطلاق : (وكذا الطريقة والحقيقة ياأخى ✿ من غير فعل شريعة لن تحصلا)

قوله لن تحصلا الألف للمثنى وهى عائد للطريقة والحقيقة لأن جملة لن تحصلا خبر عنهما فالفاء داخلة عليهما وقوله كذا خبر لمبتدا محذوف أى وذلك مثل من طلب اللؤلؤ والغوص فى البحر بغير ركوب السفينة أولا فلا يجد اللؤلؤ ولا يقدر على الغوص فأول واجب على المكلف الشريعة ومن عمل بالشريعة سهل عليه بعون الله تعالى الدخول فى أبواب المجاهدة التى هى الطريقة ومن عمل بها ظهر له نور الحقيقة قال القشيرى كل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبوله وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول وقال بعضهم من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق ذكره الشيخ عبد الغنى النابلسى وقال الشيخ أبو مدين فى الحكم من اكتفى بالتعبد دون فقه خرج وابتدع ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر وانخدع والمعنى من عبد الله بغير فقه خرج عن الطريق المستقيم لعدم معرفته بكيفية العبادة فيفسدها ومن كان كذلك ابتدع لمخالفته السيرة المحمدية واتيانه للخصال الجاهلية ومن تفقه من غير ورع اغتر بما ظنه أنما فعله من المنجيات أو انخدع بذلك حيث رضيه والورع هو اتقاء الشبهات والبعد عن مواضع المهلكات : (فعليه تزيين لظاهره الجلى ✿ بشريعة لينور قلب مجتلى ✿ وزوال عنه ظلمة كى يمكنا ✿ لطريقة فى قلبه أن ينزلا) أى فعلى السالك تزيين الظاهر الواضح باستعمال الشريعة لينور بنورها قلب مرفوع الرتبة فان القلب كالملك

نورا

هذا ثمرة تشبيه الشريعة بالسفينة وتشبيه الطريقة بالبحر وتشبيه الحقيقة بالدر فكأنه يقول إذا عرفت ذلك فأقول لك من أراد الدر فأولا ركب السفينة ثم يغوص فى البحر ثم يحصل الدر . والمعنى أن من أراد الحقيقة المشبهة بالدر فليتصف بالشريعة المشبهة بالسفينة و يتصف بالطريقة المشبهة بالبحر فلا يصل الى الحقيقة الا بعد الاتصاف بهما فالثلاثة متلازمة وهى مرتبة فأولا الشريعة ثم الطريقة ثم الحقيقة فمن ترك هذا الترتيب لا يصل الى الدر

الاعراب : من اسم شرط جازم و رام بمعنى طلب وأراد فعل ماض فعل الشرط فهو فى محل جزم وفاعله ضمير يعود على من ودرا مفعوله للسفينة اللام زائدة للتقوية والسفينة مفعول ركب مقدم عليه وركب فعل مضارع مرفوع وهو جواب الشرط ورفعه بعد الماضى حسن قال ابن مالك : ✿ و بعد ماض رفعك الجزا حسن ✿ وفاعله ضمير يعود على من ويغوص فعل مضارع معطوف على ركب وبحرا منصوب باسقاط الخافض أى يغوص فى البحر قال فى المختار الغوص النزول تحت الماء وقد غاص فى الماء من باب قال والغواص بالتشديد الذى يغوص فى البحر على اللؤلؤ وفعله الغياصة اه وثم عاطفة ودرا مفعول مقدم لحصل وحصل فعل ماض وهو بمعنى المضارع وفاعله يعود على من والفه للاطلاق :

(وكذا الطريقة والحقيقة يا أخى ✿ من غير فعل شريعة لن تحصلا)

هذا نتيجة ماقبله أيضا . والمعنى أن الطريقة والحقيقة كلاهما متوقف على الشريعة فلا يستقيمان ولا يحصلان الا بها فالمؤمن وان علت درجته وارتفعت منزلته وصار من جملة الأولياء لا تسقط عنه العبادات المفروضة فى القرآن والسنة ومن زعم أن من صار وليا و وصل الى الحقيقة سقطت عنه الشريعة فهو ضال مضل ملحد ولم تسقط العبادات عن الأنبياء فضلا عن الأولياء فلقد صح أن رسول الله ﷺ كان يصلى حتى تتورم قدماه فقيل له مرة ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وذلك لأن العبادة يجوبها لحق العبودية ولحق شكر النعمة والولى بالولاية لا يخرج عن حد العبودية ولا عن كونه منعما عليه

الاعراب : وكذا الواو عاطفة أو للاستئناف والجار والمجرور متعلق بتحصل والطريقة مبتدأ والحقيقة معطوف عليه ياأخى يا حرف نداء وأخى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم ومن غير متعلق بتحصل وفعل مضاف اليه وهو مضاف وشريعة مضاف اليه ولن حرف نفى ونصب واستقبال وتحصلا فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون والألف للتثنية فاعله والجملة خبر المبتدا والتقدير والطريقة والحقيقة لا تحصلان من غير الشريعة كذا أى كما تقدم فى أن كلا من الثلاثة لا يحصل بدون الآخر

(فعليه تزيين لظاهره الجلى ✿ بشريعة لينور قلب مجتلا
وزوال عنه ظلمة كى يمكنا ✿ لطريقة فى قلبه أن ينزلا)

يعنى اذا كانت الطريقة والحقيقة متوقفتين على الشريعة فيجب على السالك أن يزين ظاهره بها أى بالشريعة ليتنور قلبه بنور الشريعة وتزول عنه ظلمة المعاصى فان للمعصية ظلمة ترتفع الى القلب كما أن للطاعة

نورا يرتفع اليه وانما وجب عليه التزيين المذكور لماذكر لأجل أن يمكن للطريقة نزول في قلبه لأنه اذا تنور القلب وزالت ظلمته بسبب استعمال الشريعة تأهل القلب لحلول الطريقة فيه .

الاعراب : فجملة القاء فاء الفصيحة واقعة في جواب شرط مقدر يعلم من الحل السابق والجار والمجرور خبر مقدم وتزيين مبتدأ مؤخر وظاهره متعلق بتزيين والحلى صفة لظاهره ومعناه الواضح بشريعة متعلق بتزيين لينور اللام لام كي وينور فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا وقلب فاعله ومجتلى حال من قلب على قول أي حال كون القلب مجتلى أي منظورا اليه من الله تعالى إذ القلب محل نظر الله لأن الله لا ينظر الى الصور والأعمال وانما ينظر الى القلوب ويصح أن يكون صفة لقلب أي قلب موصوف بكونه مجتلى أي منظورا اليه من الله تعالى وتزول الواو عاطفة وتزول معطوف على ينور فهو منصوب أيضا كالمعطوف عليه وعنه متعلق بتزول وظلمة فاعله كي حرف تعليل وجر وللعلل وجوب التزيين وعلتاه ويمكنا فعل مضارع والفه للاطلاق والطريقة متعلق به وفي قلبه متعلق بتنزلا وأن مصدرية وتنزلا فعل مضارع منصوب بأن وهي ومابعدها في تأويل مصدر فاعل يمكن :

(ولكل واحدهم طريق من طرق ✲ يختاره فيكون من ذا واصلا
كجلوسه بين الأنام مربيا ✲ وكثرة الأوراد كالصوم الصلا
وكخدمة للناس والحمل الحطب ✲ لتصدق بمحصل متمولا)

لما كان سلوك المشايخ في الطريقة مختلفا لكثرة طرق الوصول الى الله تعالى نبه على ذلك بقوله ولكل واحدهم الخ يعني لكل واحد من القوم مسلك اختاره وسلكه فيصير واصلا الى الله تعالى من ذلك المسلك فبعضهم يجالس بين الناس يربيهم بارشادهم الى العبادة والأخلاق السنية : قال الامام الغزالي رضي الله عنه من علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما جسيما فليحفظ آدابه اهـ وبعضهم بكثرة الأوراد أي وظائف العبادات من الصلاة والصوم وقراءة القرآن والتسبيح فهذا من درجات المتجردين للعبادة ومن طرق الصالحين وبعضهم بخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين فهذا أفضل من النوافل لأنه عبادة واعانة للمسلمين ، قال سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ماوصلت الى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار ولكن وصلت الى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر اهـ وبعضهم بحمل الحطب ونحوه وبيعه في السوق لأجل التصدق بما يتمول فهذا من العبادات النافعة فتحصل بها بركات دعوات المسلمين :

الاعراب : ولكل الواو للاستئناف والجار والمجرور خبر مقدم وهو مضاف وواحد مضاف اليه وهو مضاف والهاء مضاف اليه والميم علامة الجمع وطريق مبتدأ مؤخر ومن طرق متعلق بيختاره وهو بسكون القاف لأجل الوزن ويختاره فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على كل واحد والهاء مفعوله عائدة على طريق والجملة صفة لطريق فيكون الفاء عاطفة ويكون فعل مضارع واسمها ضمير يعود على كل واحد ومن ذا متعلق بواصلا وهو خبر يكون أي فيكون كل واحد واصلا الى الله تعالى من الطريق الذي اختاره كجلوسه خبر لمبتدأ محذوف أي وذلك الطريق كجلوسه أي الشيخ بين ظرف متعلق بجلوسه وهو مضاف والانام أي الخلق مضاف اليه مربيا حال من الهاء في جلوسه وككثرة الواو عاطفة والجار والمجرور معطوف على كجلوسه والأوراد مضاف اليه كالصوم خبر لمبتدإ محذوف أي وذلك الاوراد كالصوم والصلا معطوف على الصوم بحذف حرف العطف وحذف التاء لأجل الوزن وكخدمة معطوف على كجلوسه والحمل

واذا فسد فسد ومجتلا صفة لقلب وهو اسم مفعول بمعنى مرفوع مأخوذ من قول الصحاح اجتليت العمامة عن رأسي اذا رفعتها مع طيها عن جبينك (قوله وتزول) معطوف على قوله لينور أي ولتزول عن القلب ظلمة المعاصي فان للمعصية ظلمة ترتفع الى القلب كما أن للطاعة نورا يرتفع اليه فنور الطاعة يمحو ظلمة المعصية عن القلب (قوله كي يمكنا) معطوف على قوله لينور أيضا أي وليمكن نزول الطريقة أي حلولها في قلبه فحينئذ يسهل عليه حمل النفس على الأمور الشاقة ولا تستقيم الطريقة بغير الشريعة ولا تسقط الشريعة عن المكلف وان علت درجته وصار من جملة الأولياء فلا تسقط عنه المفروضات من الصلاة وغيرها ومن زعم أن من صار وليا ووصل الى الحقيقة سقطت عنه الشريعة فهو ضال مضل لأن العبادة لم تسقط عن الأنبياء عليهم السلام فكيف تسقط عن الأولياء

(ولكل واحدهم طريق من طرق ✲ يختاره فيكون من ذا واصلا ✲ كجلوسه بين الأنام مربيا
وكثرة الأوراد كالصوم الصلا ✲ وكخدمة للناس والحمل الحطب ✲ لتصدق بمحصل متمولا)

أي لكل واحد من القوم مسلك اختاره وسلكه فيصير واصلا الى الله تعالى من ذلك المسلك فبعضهم جالس بين الناس يربيهم بارشادهم الى العبادة والأخلاق السنية فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه قاله الغزالي في الاحياء وبعضهم يكثر الأوراد أي وظائف العبادات من الصلاة والصوم النافلتين وقراءة القرآن والتسبيح فهذا من درجات المتجردين للعبادة ومن طرق الصالحين وبعضهم يخدم الفقهاء والصوفية وأهل الدين فهذا أفضل من النوافل لانه عبادة واعانة للمسلمين كما قال الجيلاني ما وصلت الى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار ولكن وصلت الى الله تعالى بالكرم والتواضع

وسلامة الصدر وبعضهم يحمل الحطب ونحوه ويبيعه في السوق لأجل التصدق بما يتمول فهذا من العبادات النافعة فتحصل بها بركات دعوات المسلمين (قوله الحطب) بسكون الباء للوزن وهو مفعول به وقوله متمولا بفتح الواو أي مقابلا بمال وهو مفعول لقوله يحصل بكسر الصاد المشددة :

(من رام أن يسلك طريق الأوليا
فليحفظن هذي الوصايا عاملا)

أي من طلب أن يدخل في طريق أولياء الله تعالى فليعمل بهذه الوصايا التسعة الآتي ذكرها وما معها (قوله أن يسلك) بسكون الكاف للضرورة لا للجزم بان كقول الشاعر من بحر الطويل :

أحاذر أن تعلم بها فتردها
فتتركها ثقلا على كما هيا

ونصب فتتركها وكذا فتردها وهو معطوف على تعلم دليل على أن تعلم سكن للضرورة لأنه مجزوم والضمير المستتر في تعلم يرجع الى بثينة محبوبة الشاعر الذي هو جميل والضمير البارز في بها يرجع الى الحاجة . بذنب

ويجوز أن يحكم على قوله يسلك بأنه مجزوم بان بناء على أن بعض الكوفيين وأبا عبيدة أجازا الجزم بها ونقله اللحياني عن بعض بني صباح من طبة وشاهده قول الشاعر من بحر الطويل

اذا ما غدونا قال ولدان أهلنا * تعالوا الى أن يأتنا الصيد نحطب

(قوله غدونا) أي بكرنا ونحطب بكسر الطاء أي يجمع الحطب وهو جواب الأمر. منها أي الوصايا التسعة (التوبة) وهي ثلاثة أقسام : أولها التوبة وأوسطها الانابة وآخرها الأوبة فمن تاب خوف العقوبة فهو صاحب التوبة ومن تاب رجاء المثوبة فهو صاحب الانابة ومن تاب حفظا أو قياما بالعبودية لا رغبة في الثواب ولا رهبة من العقاب فهو صاحب الأوبة أفاده الشيخ محي الدين بن العربي المغربي

معطوف على خدمة أي وكالحمل الحطب مفعول الحمل لأنه مصدر وهو يعمل ولو كان محلى بالألف واللام أي وكأن يحمل الحطب وباؤه ساكنة لأجل الوزن لتصدق اللام تعليلية وتصدق بفتح الصاد وتشديد الدال المضمومة مجرور باللام ويحصل الباء جارة ويحصل بفتح الصاد اسم مفعول متعلق بتصدق أي يحمل الحطب لأجل أن يبيعه ويتصدق بحصوله وهو الثمن ومتمولا بفتح الواو حال من محصل أي حال من كون المحصل متمولا أي مقابلا بمال :

(من رام أن يسلك طريق الأوليا * فليحفظن هذي الوصايا عاملا)

لما بين السلوك شرع في ذكر قطع العقبات والمنازل الذي هو المقصد الأعظم للسالك وسبب الوصول غالبا فقال من رام الخ يعني من طلب أن يدخل في طريق الأولياء فليعمل بهذه الوصايا التسع الآتي ذكرها فمن حفظها وعمل بها فالمرجو أن يفتح على قلبه أبواب الفهم ويشرح صدره بنور العلم فينكشف له ما يحصل به الترقي ويدوم به التوفق إن شاء الله تعالى .

الأعراب : من اسم شرط جازم ورام فعل الشرط وفاعله يعود على من أن يسلك أن والفعل منصوب بها وسكن لأجل الوزن وفاعله يعود على من أيضا وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول رام وطريق مفعول يسلك وهو مضاف والأوليا مضاف اليه وهو مقصور للوزن فليحفظن الفاء واقعة في جواب الشرط واللام لام الأمر ويحفظن فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة في محل جزم وهذي اسم اشارة مبني على السكون والوصايا بدل أو عطف بيان من اسم الاشارة وعاملا حال من فاعل يحفظن ومتعلقه محذوف أي بها :

منها التوبة

أي من الوصايا التسع التوبة وهي أول الوصايا وأهم قواعد الدين وأول منازل السالكين وأصل مقامات الطالبين فالتوبة لغة الرجوع يقال تاب اذا رجع وشرعا الرجوع عما كان مذموما في الشرع الى ما هو محمود فيه . واعلم أنه جاء في التوبة آيات كثيرة وأحاديث شهيرة فمن الآيات قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ومن الأحاديث قوله عليه السلام توبوا الى الله فاني أتوب اليه كل يوم مائة مرة وقوله عليه السلام فتح باب التوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها وقوله عليه السلام من تاب قبل أن يغرغر قبله الله وقوله عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وقوله عليه السلام اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد

(اطلب متابا بالندامة مقلعا * وبعزم ترك الذنب فيما استقبلا وبراءة من كل حق الآدمي * ولهذه الأركان فارع وكلا)

أي اطلب أيها المكلف متابا حال كونك متلبسا بالندامة على مافات من العمر في المخالفات وحال كونك مقلعا عن الذنب في الحال ان كنت متلبسا به أو عازما على العود اليه بأن تتركه وتقوم في الحال على أحسن الحالات وحال كونك متلبسا بعزم ترك الذنب ما عشت وعزم أن لا تعود الى شيء من قبيح العادات وحال كونك متلبسا ببراءة الذمة من كل حق آدمي كمال أو قود أي اذا تعلق بالتائب حق لآدمي اشترط تبرئته بأن يؤدي المال ان بقي ويغرم بدله ان تلف أو يستحل المستحق ليبرئه ويجب اعلامه الا اذا كان الحق حدا فله الستر على نفسه ولا يجب على من سرق مالا ورده أن يخبر بانه أخذه سرقة فان مات المستحق سلمه الى الوارث فان لم يكن وانقطع خبره فالى قاض ثقة ترضى سيرته وديانته فان لم يكن فالى عالم متدين فان تعذر صرفه في المصالح كالقناطر بنية الغرم له اذا وجده فان عجز عنه أو شق عليه لخوف أو غيره تصدق به على الأحوج فالأحوج وله أن يصرف منه على نفسه عند الحاجة هذا كله ان كان موسرا فان كان معسرا نوى الاداء اذا قدر فان مات قبله فالمرجو من فضل الله المغفرة وتعويض صاحب الحق هذا اذا لم يعص بالتزامه أو بمطله فان كان كذلك أخذ من حسناته بمقدار ما ظلم به فان فنيت حسناته طرح عليه من سيئات المظلوم ثم ألقي في النار وروى الحاكم عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول اللهم اغفر لنا وله هذا اذا لم تبلغ المغتاب وان بلغته اشترط استحلاله فان تعذر لموته أو تعسر لغيبته البعيدة استغفر الله ولا اعتبار بتحليل وارثه كذا أفاده علي بن أحمد الجيزي في تحفة الخواص (قوله * ولهذه الاركان فادع وكلا *) أي احفظها بالقيام بها وكلها فالألف في كلا بدل عن نون التوكيد الخفيفة وهذه الأربعة تسمى أركانا للتوبة وسماها بعضهم شروطا قال العلامة ابن العماد وشروط التوبة المذكورة مأخوذة

بذنب وأوحى الله الى نبيه آدم عليه السلام ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة من دعاني منهم بدعوتك لبيته كتلبيتك يا آدم أحشر التائبين من القبور مستبشرين في ضاحكين ودعاؤهم مستجاب وقوله عليه السلام علامة التوبة الندم وقال عليه السلام النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت وقال عليه السلام يا أيها الناس توبوا الى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا وقال عليه السلام الله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته:

(اطلب متابا بالندامة مقلعا * وبعزم ترك الذنب فيما استقبلا
وبراءة من كل حق الآدمي * ولهذه الأركان فارع وكلا)

ذكر الناظم في هذين البيتين شروط التوبة التي لا تصح الا بها وهي الندم على ما حصل منه من اقتراف الذنب والعزم على أن لا يعود لمثله والاقلاع من الذنب والبراءة من جميع حقوق الآدميين وأما قوله عليه السلام الندم التوبة فهو على حد قوله الحج عرفة أي معظم أركانها الندم وعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وقال بعضهم توبة الكذابين على أطراف ألسنتهم يعني قول أستغفر الله . والمعنى اطلب أيها المكلف متابا حال كونك متلبسا بالندامة أي التحسر والتحزن على ما فاتك من العمر في المخالفات وحال كونك مقلعا عن الذنب في الحال ان كنت متلبسا به أو عازما على العود اليه بأن تتركه وتقوم في الحال على أحسن الحالات وحال كونك متلبسا بعزم ترك الذنب فيما تستقبل من الزمان الى آخر عمرك عزما جازما وحال كونك متلبسا ببراءة الذمة من كل حق الآدمي كمال أو قود أي اذا تعلق بالتائب حق الآدمي اشترط تبرئته وكذلك لما روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم فان كان له عمل يؤخذ منه بقدر مظلمته والأخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه فان لم يعلمه المستحق وجب اعلامه الا أن كان يخاف زيادة الغيظ لو أعلمه فانه يسأل الله أن يرضيه له مع التضرع والاستغفار واذا كان المأخوذ مالا وفقد مالكه ووارثه دفعه الى قاض متدين فان تعذر تصدق به على الفقراء والمساكين بنية الغرم له اذا وجده فان كان الآخذ معسرا نوى الغرم اذا اقتدر عليه أو على شيء منه فان مات مع نية ذلك قبل الايفاء فالمرجو من كرم الله سبحانه العفو عنه . وقال الامام النووي رحمه الله ظواهر السنة تقتضي ثبوت المطالبة بالظلامة وان مات معسرا عاجزا عاصيا باستدانته فأما اذا استدان في موضع يباح له فيه الاستدانة وعجز عن الوفاء الى أن مات فالظاهر أنه لا يطالب في الآخرة والمرجو أن الله يعوض صاحب الحق

وقال ابن عبد السلام اذا مات شخص وعليه دين تعدى بسببه أو بمطله أخذ من حسناته فى الآخرة بمقدار ما ظلم منه فان فنيت حسناته طرح عليه من سيئات المظلومين ثم ألقى فى النار وان لم يتعد بسببه ولا بمطله أخذت حسناته فى الآخرة كما تؤخذ أمواله فى الدنيا حتى لايبقى له شىء ولا يؤخذ ثواب ايمانه كما لاتؤخذ فى الدنيا ثياب بدنه فان فنيت حسناته لم يطرح عليه من سيئات خصمه . وقوله ولهذه الأركان فارع الخ يعنى احفظ هذه الاركان الأربعة اذا اقترفت مما تجب التوبة منه بالقيام بها وكلها بالاهتمام البليغ فى رعايتها لتصح توبتك وتقبل ويجب مع ذلك دوام الانكسار وملازمة التفضل والاستغفار كما قالوا التوبة استشعار الوجل الى الاجل وقال عز من قائل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وكان من سنته صلى الله عليه وسلم دوام الاستغفار ﴿ فائدة ﴾ روى معروف الكرخى رضى الله عنه باسناده عن أنس بن مالك وابن عمر رضى الله عنهم أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لاتغضب قال فان لم أطق ذلك يارسول الله قال فاستغفر الله عزوجل كل يوم بعد صلاة العصر سبعين مرة يغفر لك ذنوب سبعين عاما قال فان لم يأت على ذنوب سبعين عاما قال يغفر لأمك قال فان ماتت أمى ولم يأت عليها ذنوب سبعين عاما قال يغفر لأقاربك

الاعراب : اطلب فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ومتابا مفعوله وبالندامة متعلق باطلب ومقلعا حال من فاعل اطلب وبعزم معطوف على بالندامة وهو مضاف وترك مضاف اليه وهو مضاف والذنب مضاف اليه وفى جارة وما موصولة واقعة على زمان مجرور بفى والجار والمجرور متعلق بترك واستقبلا فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر يعود على ما والألف للاطلاق والجملة صلة ما أى فى الزمان المستقبل وبراءة معطوف على متابا ومن كل متعلق ببراءة وهو مضاف وحق مضاف اليه وهو مضاف والآدمى مضاف اليه ، ولهذه الواو عاطفة واللام زائدة للتقوية واسم الاشارة مفعول مقدم لارع وارع فعل أمر مبنى على حذف الألف والفتحة قبلها دليل عليها والفاء الداخلة عليه زائدة وفاعله مستتر تقديره أنت وكلا فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا وفاعله مستتر فيه :

(وقه دواما بالمحاسبة التى * تنهاك تقصيرا جرى وتساهلا)

يعنى يجب عليك أن تقى وتحفظ المتاب دائما وأبدا بالمحاسبة لنفسك فما جرى منها من التقصير كى لاتعود الى مثل ما جرى منها فحاسب نفسك على أنفاسها وحركاتها وسكناتها فى كل يوم حتى تعرف مايقع منك من التقصير فتتداركه بتجديد التوبة والاستغفار قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتأهبوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية وفى الاحياء لمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف فى القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت فى عرصات القيامة وقفاته وقادته الى الخزى والمقت سيئاته

الاعراب : وقه الواو عاطفة وق فعل أمر مبنى على حذف الياء والكسرة قبلها دليل عليها وفاعله مستتر تقديره أنت والهاء مفعوله مبنية على الكسرة فى محل نصب ودواما ظرف زمان منصوب على الظرفية متعلق بق وكذلك بالمحاسبة والتى اسم موصول مبنى على السكون فى محل جر وتنهاك فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر وفاعله مستتر يعود على المحاسبة والكاف مفعوله مبنى على الفتح فى محل نصب وتقصيرا منصوب باسقاط الخافض أى عن تقصير وجرى فعل ماض وفاعله مستتر يعود على تقصيرا والجملة صفة له وتساهلا معطوف على تقصيرا :

(ويحفظ عين واللسان وسائر الـ * أعضا جميعا فاجهدن لاتكسلا)

من القرآن فالندم مأخوذ من وذلك لأن العبد اذا أذنب ذنبا وذكر الله ندم على فعل مايستوجب العقوبة والاقلاع والعزم على ترك العود ورد المظلمة مستفاد من قوله تعالى ولم يصروا على مافعلوا لأن من لم يقلع عن الذنب مصر عليه ومن أقلع وعزم على العود بعد مدة فهو مصر أيضا وكذا من عزم على ترك العود مطلقا لكن أمسك ماغصبه مثلا ولم يرده فهو قد أصر على مافعل :

(وقه دواما بالمحاسبة التى تنهاك تقصيرا جرى وتساهلا ويحفظ عين واللسان وسائر الـ أعضا جميعا فاجهدن لاتكسلا)

أى احفظ المتاب مما يفسده من مخالفات الشرع فى دوام عمرك بمحاسبة أعمالك السيئة وحركاتك وخطرات قلبك ليلا ونهارا فهى التى تنهاك عن توانيك فى العبادة الذى صدر منك وتنهاك عن تساهل فى أمر دينك قال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتأهبوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية .

و ينبغى لنا أن نكثر الاستغفار والدعاء بقولنا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فانه من جملة الاستغفار كما فى الحديث والمناجاة بمثل قول الشافعى رضى الله عنه من بحر الوافر : إلهى عبدك الجانى أتاك * مقرا بالذنوب وقد دعاك

يعنى

فان تغفر فأنت لذاك أهل * وان تطرد فمن يرحم سواكا   قال صلى الله عليه وسلم : ما أصر من استغفر الله وان عاد في اليوم سبعين مرة رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه والمعنى من أتبع الذنب بالاستغفار فليس بمصر عليه وان تكرر منه واحفظ التائب أيضا بحفظ العين عن النظر الى مسلم بعين الاحتقار وعن الاطلاع على عيب مسلم والى صورة بشهوة و إلى عورة أجنبي و إلى امرأة أجنبية ولا إثم على من سبق نظره الى رؤية محرمة من غير قصد في المرة الأولى بخلاف ما لو أعادها ونقل عن الاحياء أن الله تعالى يسأل عبده يوم القيامة عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام واحفظ التائب أيضا بحفظ اللسان عن الكذب والخلف في الوعد والغيبة والمجادلة ومدح النفس واللعن والدعاء على الخلق بالهلاك والمزاح الكثير واحفظ التائب أيضا بحفظ باقي الأعضاء كالأذن فتحفظها عن الاصغاء إلى ما لا يليق وكالأنف فتحفظه عن شم ريح الأجنبية وكالبطن فتحفظه عن المحرمات والشبهات والشهوات التي لا تليق وكالفرج فتحفظه عن كل حرام وكاليد فتحفظها عن أن تضرب معصوما أو تتناول بها مالا حراما أو تؤذي بها أحدا من الخلق أو تخون بها في وديعة أو تكتب بها ما لا يجوز النطق به وكالرجل فتحفظها عن المشي إلى حرام أو الذهاب الى باب سلطان ظالم مع الرضا بظلمه وكالقلب فتحفظه من الحسد والرياء والعجب . قال صلى الله عليه وسلم : اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض أي آثار تلك الأماكن التي جرت عليها المعصية حتى يلقى الله وليس عليه شاهد من الله أي من قبل الله بذنب رواه ابن عساكر والحكيم

يعني يجب عليك أن تقي التائب أيضا بحفظ الأعضاء السبعة فيجب عليك حفظ العين عن النظر إلى محرم، قال عليه الصلاة والسلام النظرة سهم مسموم من سهام إبليس الرجيم لأنها تدعو الى الفكر والفكر يدعو إلى الزنا وقال عليه السلام العين تزني والقلب يصدق ذلك أو يكذبه وقال عليه السلام ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء، وقال بعضهم إياك والنظر فإنه ينقش في القلب صورة المنظور وإنما الدنيا عبو جهابادة كم فتحت باب بلية ولا حيلة كحيلة عين كحيلة . وقد قال القائل :

العين أصل عناها فتنة النظر * والقلب كل أذاه الشغل بالفكر
كم نظرة نقشت في القلب صورة من * راح الفؤاد بها في الأسر والحذر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها * في أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحبا بسرور عاد بالضرر
فالقلب يحسد نور العين إذ نظرت * والعين تحسده حقا على الفكر
يقول قلبي لعيني كلما نظرت * كم تنظرين رماك الله بالسهر
فالعين تورثه هما فتشغله * والقلب بالدمع ينهاها عن النظر
هذان خصمان لا أرضى بحكمهما * فاحكم فديتك بين القلب والبصر

و يجب عليك حفظ اللسان من الكذب قال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقال عليه السلام من أراد أن يلعن نفسه فليكذب قال تعالى ألا لعنة الله على الكاذبين وحفظه من الغيبة قال تعالى، ولا يغتب بعضكم بعضا الآية وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وحفظه من النميمة وهي نقل كلام الناس بعضهم الى بعض بقصد الافساد والفتنة قال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم، وقال عليه السلام شر عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة وقال عليه السلام شر الناس ذو الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ومن كان ذا لسانين في الدنيا يجعل الله له يوم القيامة لسانين من نار، ولله در ابن الوردي حيث يقول :

مل عن النمام واهجره فما * بلغ المكروه الا من نقل

وحفظه من الاستهزاء بالمسلم والسخرية به والضحك عليه استخفافا واحتقارا له قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الآية وقال عليه السلام بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم اللهم احفظنا من ذلك كله بجاه النبي وآله و يجب عليك حفظ الأذن من الاستماع الى الغيبة والنميمة وسائر الأقوال المحرمة والاستماع الى التغني بالألحان والنغمات الموزونة قال الله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث أي الغناء وقال عليه السلام الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلام الغناء واللهو ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب والذي نفسي بيده ان القرآن والذكر ينبتان الايمان في القلب كما ينبت الماء العشب وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين في الجنة قيل له ومن الروحانيون قال قراء أهل الجنة و يجب عليك حفظ البطن أيضا من المحرمات والشبهات والشهوات قال بعضهم بل عن الشبع أيضا لأنه يقسي القلب و يجب عليك حفظ اليدين من تناول الحرام ومن كتابة ما لا يجوز التكلم به ومن ضرب مسلم بغير حق و يجب عليك حفظ الرجلين من مشي الى الحرام

يعنى يجب عليك أيها السالك الراغب فيما يوصلك الى رضا الله ورسوله أن تتعلم علما يصحح طاعتك وعبادتك من وضوء وصلاة وصوم وزكاة وحج ومعاملة على وفق الشريعة المطهرة إذ العمل من غير علم باطل . قال ابن رسلان في زبده :

وكل من بغير علم يعمل ✻ أعماله مردودة لا تقبل

ويجب عليك أيضا أن تتعلم علما يصحح اعتقادك بأن يكون على وفق ما ذهب اليه أهل السنة والجماعة وكذلك لتحترز به عن الاعتقادات الفاسدة كاعتقاد المعتزلة والجبرية والمجسمة .

ويجب عليك أيضا أن تتعلم علما يزكى القلب ويطهره من الأخلاق الذميمة كالكبر والرياء والحسد والحرص وغيرها من أمراض القلب .

الاعراب : وتعلمن فعل أمر مبنى على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التى أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة وفاعله مستتر فيه وعلما مفعوله يصحح فعل مضارع وفاعله مستتر يعود على علما والجملة صفة وطاعة مفعول ليصحح وعقيدة معطوف على طاعة ومزكى القلب معطوف على علما أى وتعلمن مزكى القلب أى ما يزكيه ويحتمل أنه معطوف على محل جملة يصحح إذ هى فى محل نصب نعت لعلما وقوله اصقلا هو فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا وفاعله ضمير مستتر والجملة معطوفة على جملة تعلمن بحذف العاطف وهو بضم القاف من باب قتل أو بفتحها من باب تعب والمعنى اصقل القلب أى اجله ونظفه بهذا العلم :

(هذى الثلاثة فرض عين فاعرفن ✻ واعمل بها تحصل نجاة واعتلا)

يعنى أن هذه العلوم الثلاثة أى العلم الذى يصحح العبادة والعلم الذى يصحح الاعتقاد والعلم الذى يزكى القلب فرض عين فاعرفنها أى يجب على كل أحد تعلمها ولا يسع أحدا جهلها وهذه هى العلوم الشرعية النافعة واعمل بها أى لأنه لا خلاص للعالم إلا إذا عمل بعلمه وإلا فهو من الهالكين .

قال ابن رسلان :

فاعمل ولو بالعشر كالزكاة ✻ تخرج بنور العلم من ظلمات

فعالم بعلمه لم يعملن ✻ معذب من قبل عابد الوثن

فان عرفتها وعملت بها تحصل لك النجاة فى الدار الآخرة والعلو فى الدنيا وفى الآخرة . قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . قال المفسرون : يعنى يرفع الله الذين آمنوا منكم درجة واحدة والذين أوتوا العلم درجات كثيرة . قال ابن عباس رضى الله عنهما يرفع الله العلماء يوم القيامة على سائر المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام وقد شهد النبى صلى الله عليه وسلم بأن طلب العلم موصل الى الجنة وأن الملائكة الكرام تعظم طالب العلم إكراما للعلم ولا تعظم إلا من كان عظيما فى ملكوت السموات . وقال بعض المشايخ ورد علينا رجل سندى من أهل الكشف وكان لا يقوم لأحد إلا لطالب العلم ويقول : إنما أقوم إذا رأيت الملائكة تقوم مع أنه كان لا يعرف الناس . وشهد أيضا صلى الله عليه وسلم بأن العالم يستغفر له ما فى السموات وما فى الارض وأى منصب أعظم من منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بما هو فيه وهم مشغولون بالدعاء له . وبالجملة فما ورد فى فضل العلم والعلماء شىء كثير وسيذكر الناظم بعض فضائلهما فى مبحث حفظ الأوقات فنسأل الله أن يحققنا بالعلم والعمل بجاه النبى الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

الاعراب : هذى ها حرف تنبيه وذى اسم إشارة مبتدأ مبنى على السكون فى محل رفع

والثلاثة

قلبك وتعلمن علما مزكى القلب من الأخلاق الرديئة كالكبر والحسد والرياء ونحوها من أمراض القلب (قوله اصقلا) معطوف على قوله تعلمن أى نظف القلب مما يسوده وهو بضم القاف وفتحها كما فى المصباح والمعنى أوضح هذه العلوم بحيث لا تخفى عليك : (هذى الثلاثة فرض عين فاعرفن واعمل بها تحصل نجاة واعتلا) أى هذه العلوم الثلاثة تجب وجوب عين على كل مكلف تعلمها ولا يجوز له جهلها فاعرفن هذه الثلاثة واعمل بها تحصل لك نجاة فى الآخرة وعلو فى درجاتك قال صلى الله عليه وسلم « ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله » وقال صلى الله عليه وسلم « يستغفر لعالم ما فى السموات والارض » ثم قال الغزالى وأى منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له . ومنها أى الوصايا التسعة المحافظة على السنن كالرواتب ونحوها :

وذكر الثواب والعقاب والشوق إلى الكرامات والمواهب وهذا شرك فى الاخلاص عند أهل الاختصاص وهو الزنار الذى أشار به إلى ذلك فعمل فى قطع نفسه عن العلائق والعوائق بالاعراض عن الخلائق حتى أمات من نفسه ما كان حيا وأحيا من قلبه ما كان ميتا حتى ثبت قدمه فى شهود القدم وأنزل ماسواه منزلة العدم فعند ذلك كبر على الخلق وانصرف إلى الحق ومعنى قوله كبرت على الخلق أربع تكبيرات لأن الميت يكبر عليه أربع تكبيرات ولأن حجاب الخلق عن الحق

أربع النفس والهوى والشيطان والدنيا فأمات نفسه وهواه ورفض شيطانه ودنياه ولذلك كبر على كل واحد مما فنى عنه تكبيرة لأنه أكبر وماسواه أذل وأصغر كذا فى حل الرموز للشيخ محمد المغربى المعروف بالشيخ محى الدين بن العربى . ومنها أى الوصايا التسعة القناعة وهى الرضا بما قسم . قال الشافعى رضى الله عنه من بحر الوافر :

ورزقك لا يفوتك بالتوانى وليس يزيد فى الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
(واقنع بترك المشتهى والفاخر من مطعم وملابس ومنازلا)

أى ارض يامن يريد طريق الآخرة بترك مايوصل إلى أقصى ما يمكن وترك الجيد من المطاعم والملابس والمنازل وفى الخبر : طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به وفى الحديث إن الله إذا أحب عبدا جعل رزقه كفافا أى بقدر كفايته لا يزيد عليها فيطغيه ولا ينقص عنها فيؤذيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها و يتنعمون فيها كيف شاءوا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فتقول لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فتقول للملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول ناشدناكم الله حدثونا ماكانت أعمالكم فى الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله فيقولون وما هما فيقولون كنا

قال القطب الغوث سيدنا عبد الله بن علوى الحداد رضى الله عنه :

إن القناعة كنز ليس بالفانى * فاغتنم هديت أخى عيشها الفانى
وعش قنوعا بلا حرص ولا طمع * تعش حميدا رفيع القدر والشان

وقال غيره :

رأيت القناعة كنز الغنى * فصرت بأذيالها عتمسك
فلا ذا يرانى على بابه * ولا ذا يرانى به منهمك
أجالس نفوى بلا درهم * أمر على الناس شبه الملك

ومنها حديث عز من قنع وذل من طمع ومبنى القناعة على الزهد فى الدنيا فإن النجاة منها فوز والاسترسال فيها عجز فحقيق لمن علم أن المال متروك لوارث ومصاب بحادث أن يكون زهده فيها أقوى من رغبته وتركها أكثر من طلبه وإذا أردت أن تزهد فيها فانظر حالها عند من وقى بد من مع أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومن طلبها فاتته ومن نظر اليها أعمته ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وما أحسن قول الامام الشافعى رضى الله عنه :

أمت مطامعى فأرحت نفسى * فإن النفس ماطمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا * فى إحيائه عرضى مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد * علته مهانة وعلاه هون

وقوله أيضا رضى الله عنه :

ورزقك لا يفوتك بالتوانى * وليس يزيد فى الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع * فأنت ومالك الدنيا سواء
(واقنع بترك المشتهى والفاخر * من مطعم وملابس ومنازلا)

بين بهذا ما تحصل به من القناعة والمعنى وارض ياطالب الآخرة بترك ماتشتهيه النفس وتتفاخر به من المطاعم والملابس والمنازل أى الأماكن وارض بالبسير منها وهو ما يسد الجوع من المطعم وما يستر العورة من الملبس وما يدفع الحر والبرد من المنزل عن أنس رضى الله عنه قال جاءت فاطمة رضى الله عنها بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها ما هذه الكسرة يافاطمة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام فانظر رحمك الله إلى هذه السيدة الشريفة حيث رضيت بالعسير من الخبز وانظر إلى هذا النبى الكريم حيث لم يذق ثلاثة أيام شيئا من الطعام يتبين لك ما أمرك به المصنف قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اجتمع الخير كله فى أربع خصال وبها صار الأبدال أبدالا : إخماص البطون والصمت والخلوة والسهر وجمعها بعضهم فى قوله :

يامن يروم منازل الأبدال * من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن فيها فلست من أهلها * إن لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه * ساداتنا فيه من الأبدال

إذا خلونا نستحى أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا كذا فى الاحياء :(من يطلبن ماليس يعنيه فقد * فات الذى يعنيه من غير اتئلا) أى من طلب ما لا يعنيه وهو ما تدعو الحاجة اليه وهو الفضول كله على اختلاف أنواعه من اللعب والهزل وكل ما يخل بالمروءة والتوسع فى الدنيا وطلب المناصب والرياضة وحب المحمدة ونحو ذلك مما لا يعود اليه منه نفع أخروى أضاع الوقت النفيس الذى لا يمكن أن يعوض فاتته فيما لم يخلق لأجله كذا أفاده إبراهيم الشبرخيتى (قوله من غير اتئلا) أى من غير إبطاء وهذا البيت مأخوذ من قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه

من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه بفتح الياء وسكون العين قال بعضهم ما يعنيه هو ما يعود عليه منه منفعة لدينه أو لدنياه للوصلة لآخرته وما لا يعنيه عكسه وهو ما لا يعود عليه منه منفعة لدينه أو لدنياه للوصلة لآخرته وقوله من يطلبن فعل الشرط دخل عليه نون التوكيد الخفيفة وهو قليل فان دخول النون فى الفعل المضارع الواقع بعد غير أما من أدوات الشرط قليل كقول الشاعر من بحر الكامل : من يثقفن منهم فليس بآيب أبدا وقتل بنى قتيبة شافى قوله يثقفن بالتحتية مبنيا للمفعول أى يوجدن أو بالفوقية مبنيا للفاعل وقوله بآيب أى براجع وقوله وقتل مبتدأ فالواو للتعليل وقوله شافى خبره أى يبرى من الداء وقتيبة بالتصغير ومعنى البيت الشخص الذى يوجد من أعدائى من هذه القبيلة ليس براجع إلى أهله أبدا بل لابد من قتله لأن قتل هذه القبيلة يبرىء القلب من داء الغضب ويزيل عنه ما كان يجده فى شأن هذه القبيلة من الكرب . ومنها أى الوصايا التسعة الزهد وحقيقته الشرعية فيها اختلاف كثير والراجح عند بعضهم استصغار الدنيا بجملتها واحتقار جميع شأنها فمن كانت الدنيا عنده صغيرة حقيرة هانت عليه فلا يفرح بشىء منها ولا يحزن على فقده ولا يأخذ منها إلا ما يعينه على طاعة ربه ويكون مع ذلك دائم الشغل بذكر الله وذكر الآخرة هذا هو أرفع أحوال الزهد فمن بلغ هذه الرتبة فهو فى الدنيا بشخصه وفى الآخرة بروحه وعقله قال الامام أحمد وسفيان الثورى وغيرهما الزهد قصر الأمل وقال ابن المبارك الزهد الثقة بالله وقال أبو سليمان الدارانى الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى ذكر ذلك العزيزى

مَا بَيْنَ صَمْتٍ واعتزالٍ دَائِمٍ * والجُوعِ والسَّهَرِ الَّذِى بِهِ العَالِى

الاعراب: واقنعْ فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبترك متعلق باقنع وهو مضاف والمشتهى مضاف اليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف وهو صيغة اسم المفعول والفاخر معطوف على المشتهى من مطعم متعلق بمحذوف حال من كل من المشتهى والفاخر وملابس جمع ملبس معطوف عليه وصرف للضرورة ومنازلا جمع منزل معطوف عليه أيضا مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف صيغة منتهى الجموع وألفه للاطلاق .

(مَنْ يَطْلُبَنْ مَالَيْسَ يَعْنِيهِ فَقَدْ * فَاتَ الَّذِى يَعْنِيهِ مِنْ غَيْرِ اتِّئَلا)

يعنى من طلب ماليس يعنيه أى ماليس يهمه ويضطر اليه من التنعم والتوسع فى الدنيا والافتخار بالملابس الفاخرة وغير ذلك فقد فاته الذى يعنيه أى الذى يهمه ويضطر اليه من السعى فى الكمالات والفضائل التى هى وسيلة الى نيل السعادة الأبدية والفوز بالنعم السرمدية من غير أن يحصل منه اتئلا أى تقصير فى فوته وهذا البيت مأخوذ من قول أمير المؤمنين سيدنا على كرم الله وجهه من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه

الاعراب : من اسم شرط جازم ويطلبن فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة فى محل جزم وفاعله مستتر يعود على من وما اسم موصول مفعوله وليس فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على ما ويعنيه بفتح الياء وسكون العين فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل وفاعله مستتر يعود على من والهاء مفعوله والجملة خبر ليس وجملة ليس واسمها وخبرها صلة ما فقد الفاء واقعة فى جواب الشرط وقد حرف تحقيق وفات فعل ماض ومفعوله محذوف أى فاته والذى اسم موصول فاعله ويعنيه فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل وفاعله يعود على الموصول والهاء مفعوله والجملة صلة الموصول ومن غير متعلق بمحذوف حال من الضمير المفعول أو متعلق بفات وغير مضاف واتئلا مضاف اليه .

ومنها الزهد

أى ومن الوصايا التسع الزهد وهو فى اللغة خلاف الرغبة يقال زهد فى الشىء وعنه أى لم يرغب فيه وحقيقته انصراف الرغبة عن الشىء إلى ما هو خير منه وشرط المرغوب عنه أن يكون أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فتارك الحجر والتراب والحشرات لا يسمى زاهدا لأنها ليست فى مظنة الرغبة وتارك الدراهم والدنانير يسمى زاهدا وشرط المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى يغلب الرغبة فيه فمن باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا ومن باع الآخرة بالدنيا فهو زاهد فى الآخرة والعادة جارية بتخصيص اسم الزهد بالدنيا وقد ورد فيه أحاديث كثيرة شهيرة منها ما رواه البيهقى فى شعب الايمان عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما زهد عبد فى الدنيا إلا أنبت الله الحكمة فى قلبه وأطلق بها لسانه وبصره

(لسلامة الدنيا خصال أربع * غفر لجهل القوم منك تجهلا وتكون من سيب الأناسى آيسا * ولسيب نفسك للأناسى باذلا) هذان البيتان مأخوذان من قول حاتم الأصم وذلك أنه لما قال له الامام أحمد بن حنبل يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم سيبك وتكون من سيبهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت (قوله منك) معطوف على غفر بحذف العاطف وقوله تجهلا أى أن تجهل عليهم أى تستخف بهم بالشتم ونحوه من أفعال الجهلاء وهو منصوب بأن محذوفة وهو أيضا فى تأويل مصدر منصوب أو مجرور لأن منع متعد لمفعولين والمفعول الثانى إما منصوب أو مجرور بمن كما فى المصباح أو مجرور بعن كما فى الصحاح ونصب الفعل بأن المحذوفة فى مثل هذا شاذ لا يقاس عليه عند البصريين وقياسى عند الكوفيين ومن وافقهم كقولهم مره يحفرها بنصب يحفر أى مره بأن يحفرها وقولهم خذ اللص قبل يأخذك أى قبل أن يأخذك (قوله وتكون) بالنصب بأن مضمرة جوازا وهو فى تأويل المصدر معطوف على غفر أيضا (قوله من سيب الأناسى) أى عطائهم وهو بفتح السين المهملة والأناسى بسكون الياء للوزن وأصله متحرك بالتشديد والتخفيف وهو جمع انسى كما فى القاموس أو جمع انسان أيضا فسكون الياء عوضا من النون كما فى الصحاح (قوله آيسا) أى قانطا وقوله باذلا أى معطيا . ومنها أى الوصايا التسعة تعلم العلم الشرعى والمراد هنا العلوم الثلاثة المذكورة فى كلام الناظم : (وتعلمن علما يصحح طاعة وعقيدة ومزكى القلب اصقلا) أى تعلمن أيها الطالب لرضا الله تعالى علما يصحح طاعتك من وضوء وصلاة وصوم وزكاة وحج بأن تعلم ظواهر أحكامها الغالبة دون الوقائع النادرة وتعلمن علما يصحح عقيدتك لتحترز به من شبه المبتدعة ولتتوصل به الى إزالة الشك من

لنو متعلق باترك ومن اسم موصول مفعول اترك وما نافية وجملة ساعدت صلة الموصول وفى طاعة متعلق بساعدت وجملة اختر معطوف على جملة اترك وعمرو بضم العين مفعول اختر وكما مثلا صفته :

(لسلامة الدنيا خصال أربع * غفر لجهل القوم منك تجهلا
وتكون من سيب الأناسى آيسا * ولسيب نفسك للأناسى باذلا)

لما كان من لوازم الزهد قطع الطمع عما فى أيدى الناس والبذل لهم وكانا من أسباب السلامة صرح بهما وبسائر أسباب السلامة فقال لسلامة الخ يعنى للسلامة من الدنيا أى آفاتها وشرور أهلها خصال أربع ، الأولى غفرك لجهل القوم أى تجاوزك عن جهلهم وسترك لهم والمراد تجاوزك عما يقع منهم فى حقك من الايذاء الناشئ من الجهل . الثانية منعك أن تجهل عليهم أى أن تقع فى عرض أحد منهم بأن تؤذيه . الثالثة أن تكون آيسا أى قانطا من سيب أى من عطاء الأناسى . الرابعة أن تكون باذلا لهم سيبك أى عطاءك فاذا استكملت فيك هذه الخصال كنت محبوبا عندهم لأن من تجاوز عن جهلهم وصبر على أذاهم ولم يجهل على أحد منهم وأيس مما فى أيديهم وبذل ما فى يديه لهم كان محبوبا عندهم مشكورا فلا يبغضونه ولا يوصلون اليه مكروها فيكون سالما من إيذائهم وبغضهم ومن لم يكن كذلك فلابد له من نزاعهم ومخاصمتهم فيكون بغيضا عندهم وهذان البيتان مأخوذان من قول حاتم الأصم رضى الله عنه للامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه لما قال الامام له ما السلامة من الدنيا أى ما أسبابها فقال له حاتم : لا تسلم منها حتى يكون عندك أربع خصال أن تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم سيبك وتكون من سيبهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت من الدنيا فنسأل الله أن يخلقنا بها وبغيرها من الأوصاف الحميدة .

الاعراب : لسلامة خبر مقدم وخصال مبتدأ مؤخر وغفر بدل من خصال بدل بعض من كل ومنك معطوف على غفر بحذف العاطف تجهلا فعل مضارع منصوب بأن محذوفة وهو شاذ لأنه من غير المواضع الجائز فيها ذلك قال ابن مالك :

وشذ حذف أن ونصب فى سوى * ما مر فاقبل منه ما عدل روى

وقوله فاقبل الخ أفاد به أنه ان سمع يحفظ ولا يقاس عليه وتكون بالنصب عطف على غفر وهو على حد

* ولبس عباءة وتقر عينى * قال ابن مالك :

وإن على اسم خالص فعل عطف * تنصبه أن ثابتا أو منحذف

ومن سيب الأناسى متعلق بآيسا الواقع خبرا لتكون ولسيب نفسك اللام زائدة للتقوية متعلق بباذلا المعطوف على آيسا وللأناسى متعلق به أيضا وهو جمع انسى أو انسان .

ومنها تعلم العلم الشرعى

أى ومن الوصايا التسع تعلم العلم الشرعى وهو العلوم الثلاثة التى سيصرح بها وهى العلم الذى يصحح العبادة والعلم الذى يصحح العقيدة والعلم الذى يصلح القلب :

(وتعلمن علما يصحح طاعة * وعقيدة ومزكى القلب اصقلا)

يعني يجب عليك أيها السالك الراغب فيما يوصلك الى رضا الله ورسوله أن تتعلم علما يصحح طاعتك وعبادتك من وضوء وصلاة وصوم وزكاة وحج ومعاملة على وفق الشريعة المطهرة إذ العمل من غير علم باطل . قال ابن رسلان في زبده :

وكل من بغير علم يعمل * أعماله مردودة لا تقبل

ويجب عليك أيضا أن تتعلم علما يصحح اعتقادك بأن يكون على وفق ما ذهب اليه أهل السنة والجماعة وكذلك لتحترز به عن الاعتقادات الفاسدة كاعتقاد المعتزلة والجبرية والمجسمة .

ويجب عليك أيضا أن تتعلم علما يزكي القلب ويطهره من الأخلاق الذميمة كالكبر والرياء والحسد والحرص وغيرها من أمراض القلب .

الاعراب : وتعلمن فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتي بها لأجل نون التوكيد الخفيفة وفاعله مستتر فيه وعلما مفعوله يصحح فعل مضارع وفاعله مستتر يعود على علما والجملة صفة وطاعة مفعول ليصحح وعقيدة معطوف على طاعة ومزكي القلب معطوف على علما أي وتعلمن مزكي القلب أي ما يزكيه ويحتمل أنه معطوف على محل جملة يصحح إذ هي في محل نصب نعت لعلما وقوله اصقلا هو فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا وفاعله ضمير مستتر والجملة معطوفة على جملة تعلمن بحذف العاطف وهو بضم القاف من باب قتل أو بفتحها من باب تعب والمعنى اصقل القلب أي اجله ونظفه بهذا العلم :

(هذي الثلاثة فرض عين فاعرفن * واعمل بها تحصل نجاة واعتلا)

يعني أن هذه العلوم الثلاثة أي العلم الذي يصحح العبادة والعلم الذي يصحح الاعتقاد والعلم الذي يزكي القلب فرض عين فاعرفنها أي يجب على كل أحد تعلمها ولا يسع أحدا جهلها وهذه هي العلوم الشرعية النافعة واعمل بها أي لأنه لا خلاص للعالم إلا إذا عمل بعلمه وإلا فهو من الهالكين .

قال ابن رسلان :

فاعمل ولو بالعشر كالزكاة * تخرج بنور العلم من ظلمات

فعالم بعلمه لم يعملن * معذب من قبل عابد الوثن

فان عرفتها وعملت بها تحصل لك النجاة في الدار الآخرة والعلو في الدنيا وفي الآخرة . قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . قال المفسرون : يعني يرفع الله الذين آمنوا منكم درجة واحدة والذين أوتوا العلم درجات كثيرة . قال ابن عباس رضي الله عنهما يرفع الله العلماء يوم القيامة على سائر المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم بأن طلب العلم موصل الى الجنة وأن الملائكة الكرام تعظم طالب العلم اكراما للعلم ولا تعظم إلا من كان عظيما في ملكوت السموات . وقال بعض المشايخ ورد علينا رجل سندي من أهل الكشف وكان لا يقوم لأحد إلا لطالب العلم ويقول : إنما أقوم إذا رأيت الملائكة تقوم مع أنه كان لا يعرف الناس . وشهد أيضا صلى الله عليه وسلم بأن العالم يستغفر له ما في السموات وما في الارض وأي منصب أعظم من منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بما يعنيه وهم مشغولون بالدعاء له . وبالجملة فما ورد في فضل العلم والعلماء شيء كثير وسيذكر الناظم بعض فضائلهما في مبحث حفظ الأوقات فنسأل الله أن يحققنا بالعلم والعمل بجاه النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

الاعراب : هذي ها حرف تنبيه وذي اسم إشارة مبتدأ مبني على السكون في محل رفع

قلبك وتعلمن علما مزكي القلب من الأخلاق الرديئة كالكبر والحسد والرياء ونحوها من أمراض القلب (قوله اصقلا) معطوف على قوله تعلمن أي نظف القلب مما يسوده وهو بضم القاف وفتحها كما في المصباح والمعنى أوضح هذه العلوم بحيث لا تخفى عليك : (هذي الثلاثة فرض عين فاعرفن واعمل بها تحصل نجاة واعتلا) أي هذه العلوم الثلاثة تجب وجوب عين على كل مكلف تعلمها ولا يجوز له جهلها فاعرفن هذه الثلاثة واعمل بها تحصل لك نجاة في الآخرة وعلو في درجاتك قال صلى الله عليه وسلم «ان قليل العمل ينفع مع العلم بالله وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله» وقال صلى الله عليه وسلم «يستغفر للعالم ما في السموات والارض» ثم قال الغزالي وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له . ومنها أي الوصايا التسعة المحافظة على السنن كالرواتب ونحوها :

(حافظ على سنن وآداب أتت * مأثورة عن خير من جا مرسلا) أى حافظ أيها السالك الى الله على سنن الصلاة وغيرها وآداب فقد جاءت منقولة عن خير من قد جاءنا مرسلا من حضرة الله تعالى والآداب هى ما يحمد قولا وفعلا أى أداء حسن الأحوال والأخلاق وقال ابن عطاء الله الأدب الوقوف مع المستحسنات قال معناه أن تعامل الله سرا وعلنا بالأدب فاذا كنت كذلك كنت أديبا وان كنت أعجميا ثم أنشد من بحر الطويل:

اذا نطقت جاءت بكل مليحة * وان سكتت جاءت بكل مليح

وقيل الأخذ بمكارم الأخلاق وتنقسم الآداب الى أربعة أقسام شرعى وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وطبيعى كالكرم والشجاعة وكسبى كمعرفة النحو واللغة وصوفى وهو ضبط الحواس ومراعاة الأنفاس قال بعضهم من بحر المتقارب :

وما كل وقت ترى مسعفا * فكن حافظا لطريق الأدب
ترى الله يكشف ما قد خفى * فتحظى بأجر ونيل الرتب

(ان التصوف كله لهو الأدب * ومن العوارف فاطلبنه وعولا)

أى التصوف كله هو الأدب قال على الحيزى فى تحفة الخواص: التصوف هو تجريد القلوب له تعالى واحتقار ما سواه قال شيخ الاسلام زكريا قوله واحتقار ما سواه أى بالنسبة الى عظمة الله والا نقل كذلك فلا يصح لأنه معلوم أن احتقار الأنبياء والملائكة والعلماء ونحوهم محذور بل قد يكون كفرا وقال بعضهم المراد باحتقار ما سواه أن يعتقد أنه لا يضر ولا ينفع انتهى وقال السهروردى فى عوارف المعارف والأدب تهذيب الظاهر والباطن فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا أديبا ولا يتكامل الأدب فى العبد الا بتكامل مكارم الاخلاق ومكارم الاخلاق من مجموعها تحسين الخلق قال يوسف بن الحسين بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب فى الآخرة وبالرغبة فى الآخرة تنال رحمة الله تعالى وقال

والثلاثة بدل أو عطف بيان من اسم الاشارة فرص خبر للمبتدإ وهو مضاف وعين مضاف اليه فاعرفن الفاء فاء الفصيحة لأنها واقعة فى جواب شرط مقدر أى اذا عرفت ذلك فاعرفن ومفعوله محذوف أى اعرفن هذه العلوم وجملة اعمل معطوفة على جملة اعرفن وتحصل مجزوم فى جواب الأمر ونجاة فاعله واعتلا معطوف على نجاة .

ومنها المحافظة على السنن

أى ومن الوصايا التسع المحافظة على السنن وهى جمع سنة كغرف جمع غرفة وهى لغة الطريق القويمة يقال فلان على السنة أى على طريق الاستواء لا يميل الى شىء من الأهواء وعند الفقهاء ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه . قال ابن رسلان :

والسنة المثاب من قد فعله * ولم يعاقب امرؤ ان أهمله

وعند المحدثين أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله :

(حافظ على سنن وآداب أتت * مأثورة عن خير من جا مرسلا)

يعنى حافظ أيها السالك الطالب لرضا الله المتعطش لطاعة الله وتقواه على سنن وآداب أتت مأثورة عن خير المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وذلك لأن لكل واحد منهما تأثيرا فى تنوير القلب وسرا

الاعراب : حافظ فعل أمر وفاعله مستتر فيه وعلى سنن متعلق به وآداب معطوف عليه وأتت فعل ماض والتاء للتأنيث وفاعله يعود على المذكورات من سنن وآداب وفى وصف الآداب بكونها مأثورة مع أن منها ما لم يؤثر اذ الآداب جمع أدب وهو كما فى المصباح رياضة النفس ومحاسن الأخلاق اشارة الى أن المأثور من الآداب يتأكد الاعتناء به والمحافظة عليه وأن غيره مما ينبغى للسالك الأخذ به أيضا ليحوز الكمالات السنية والمقامات العلية ومأثورة حال من فاعل أتت وعن خير متعلق بأتت وهو مضاف ومن اسم موصول مضاف اليه فى محل جر وجاء فعل ماض وفاعله ضمير يعود على من والجملة صلة الموصول ومرسلا حال من فاعل جاء :

(ان التصوف كله لهو الأدب * ومن العوارف فاطلبنه وعولا)

لما كانت الصوفية أكثر الناس حظا من المحافظة على سنن النبى صلى الله عليه وسلم وآدابه والتخلق بأخلاقه ظاهرا وباطنا ونالوا بذلك المراتب العلية والمقامات السنية رأوها الركن الأعظم للتصوف فأطلقوا التصوف عليها على حد قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة أى معظم أركانه الوقوف بعرفة فلذا صرح الناظم بما ذكر فقال ان التصوف كله لهو الأدب أى معظم أركانه الأدب قال أبو حفص الحداد التصوف كله أدب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم أدب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول وأدب الأوقات الحقوق الكائنة بها من وظائف العبادات الظاهرة من صلاة وصيام وغيرهما ومن المعاملة الباطنة التى تقتضيها أحوال العبد قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه أوقات

أبو الحسين النورى ليس قد فى عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها آداب الشريعة وآداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بالمحاسن قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة أعز من الخدمة انتهى (قوله ومن العوارف الخ) أى ومن كتاب عوارف المعارف للشيخ العارف السهروردى اطلب الأدب وعولن عليه فى الباب الحادى والثلاثين والثانى والثلاثين ومابعده وقد نقلت بعض العبارات فى هذا الشرح منه : (اذلادليل على الطريق الى الاله * الامتابعة الرسول المكملا (٢٦)

فى حاله وفعاله ومقاله
فتتبعن وتابعن لاتعدلا)

قال السهروردى كل الآداب تتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مجمع الآداب ظاهرا وباطنا وأخبر الله تعالى عن حسن أدبه فى الحضرة بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى أى ما مال بصر رسول الله عما رآه وما تجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا مستيقنا أوما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها وما جاوزها وهذه غامضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن فى ذلك معنى لطيفا أى ما زاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر وما طغى أى لم يسبق البصر البصيرة فيتجاوز حده ويتعدى مقامه بل استقام البصر مع البصيرة والظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والنظر مع القدم فلم يتقدم النظر على القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف القدم عن النظر فيكون تقصيرا وقال الله تعالى حكاية عن أدب نبيه أيوب عليه السلام فى الحضرة الالهية وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين لم يقل عليه السلام ارحمنى لأنه حفظ أدب الخطاب وعن أدب نبيه عيسى عليه السلام حيث قال فى الحضرة الالهية ان كنت قلته فقد علمته ولم يقل عليه السلام لم أقل رعاية لأدب الحضرة (قوله فتتبعن) بتشديد الباء الموحدة أى أحواله صلى الله عليه وسلم وفعاله ومقاله كل الطلب لتحصل لك معرفتها (قوله وتابعن) أى فى ذلك (قوله لاتعدلا) أى لاتمل عن ذلك بمحذوف

العبد أربعة لاخامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله تعالى عليك فى كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله تعالى عليه أن هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته المعصية فمقتضى الحق منه وجود الاستغفار والندم ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت رسول الله ﷺ فقالوا ماذا له يا رسول الله فقال لهم الأمن وهم مهتدون أى لهم الأمن فى الآخرة وهم مهتدون فى الدنيا (فائدة : فى معنى التصوف) اعلم أن أقوال المشايخ فيه تزيد على ألف قول كما فى العوارف وكل عبر بما غلب عليه النظر اليه ، منها قول الجنيد قدس الله سره هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به ومنها قول بشر بن الحارث الصوفى من صفا قلبه لله تعالى ومنها قول عمر بن عثمان المكى رحمه الله تعالى أن يكون العبد فى كل وقت بما هو أولى به فى الوقت ومنها قول رويم التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار ومنها قول سهل الصوفى من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر واستوى عنده الذهب والمدر وانقطع الى الله من البشر ومنها غير ذلك مما هو مذكور فى الشرح فانظره ان شئت .

الاعراب : ان حرف ناصب والتصوف اسمها وكله توكيد له وهو الأدب اللام هى اللام المزحلقة وهو ضمير فصل والأدب خبر ان ومن العوارف متعلق باطلبنه والفاء فاطلبنه زائدة لأجل اصلاح النظم ولا يصح أن تكون عاطفة لأن الواو تغنى عنها واطلبنه فعل امر مؤكد بالنون الخفيفة وفاعله مستتر فيه والهاء مفعوله وعولا فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا وفاعله مستتر فيه ومتعلقه محذوف أى عليها والمعنى فاطلبن الأدب من العوارف للسهروردى وعولن عليها فى ذلك :

(اذلادليل على الطريق الى الاله * الامتابعة الرسول المكملا
فى حاله وفعاله ومقاله * فتتبعن وتابعن لاتعدلا)

هذا تعليل لوجوب المحافظة على السنن والآداب الواردة عن النبى ﷺ أى وانما وجبت لأنه لادليل على الطريق الموصل الى الله الامتابعة الرسول ﷺ فى ذلك والمتابعة المذكورة علامة على محبة الاله قال الله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » فالخير كله فى الاتباع والشر كله فى الابتداع واذا عرفت ذلك فتتبعن أحواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأقواله أى استقرئها وحصلها واعرفها وتابعه فيها ولا تعدل عنها أى لاتمل عن متابعته بأن تترك شيئا من الآداب والسنن من غير عذر لما علمت أن متابعته أصل كل خير وسعادة قال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه : من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة فنسأل الله أن يمن علينا بكمال المتابعة لهذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

الاعراب : اذ تعليلية ولا نافية عاملة عمل ان ودليل اسمها وعلى الطريق متعلق بدليل والى الاله متعلق

لأعيذنه . واختلفوا فى تفسير أن الله تعالى يكون هذه الأعضاء ففسره الناظم تبعا لبعضهم بقوله أى مثل الخ أى يكون مثل هذه الأعضاء فى كون أعاجل للطالب بها فالله سبحانه وتعالى يكون للعبد المشتغل بالنوافل مسارعا فى قضاء حوائجه واجابة دعائه مثل هذه الأعضاء الأربعة فان مساعى الانسان انما تكون بها والمراد أن الله يتولى من أحبه فى جميع أحواله فحركاته وسكناته تكون به تعالى ويؤيد هذا التفسير ما حكى عن أبى عثمان الحيرى أنه سئل عن معنى هذا الخبر فقال كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاسماع وبصره فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى . وفسره بعضهم بقوله أى كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل سماعه وكنت حافظا بصره فلا ينظر إلا ما يحل أبصاره وحافظ يده فلا يأخذ إلا ما يحل أخذه وحافظ رجله فلا يمشى بها إلا فيما يحل المشى اليه والمراد أنه يصير ينقطع عن الشهوات ويستغرق فى الطاعات فلا يستعمل جوارحه إلا فيما خلقت لأجله وذلك كله بتوفيق الله تعالى وهدايته وفى الحديث اشارة إلى أن باب محبة الله للعبد هو التقرب اليه بالنوافل فلا يزال العبد يتقرب الى الله تعالى بها حتى يحب الله فيستغرق بملاحظة جناب قدسه بحيث لا يلاحظ شيئا إلا ويرى الله فيه وهو آخر درجات السالكين وأول درجات الواصلين رزقنا الله ذلك بمنه وكرمه قال النصراباذى باتباع السنة تنال المعرفة وبأداء الفرائض تنال القربة وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة . وقال القطب الشعرانى رضى الله عنه ومما من الله تعالى به على بعد ذلك كرخولى للإطلاع على معانى الكتاب والسنة من بابها وكذلك بتكثير النوافل فان من واظب عليها أحبه الله تعالى واذا أحبه قربه من حضرته واذا قربه من حضرته أطلعه على أسرار شريعته وكان بعض العارفين يقول لا يفتح على سالك قط إلا من باب اكثاره النوافل فانه فى الفرائض عبد اضطرار ان لم يصل الصلوات الخمس مثلا عذب بتركه بخلاف النوافل فانه فيها عبد اختيار فلا يتقرب بها خوفا من عقابه وانما ذلك محبة له جل وعلا اهـ

الاعراب : ما نافية ويزال فعل ماض ناقص وعبدى اسمها وبالنوافل متعلق بيقرب وجملة يقرب خبرها وحتى حرف غاية وجر وأكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا واسمها ضمير مستتر وجوبا تقديره أنا وله متعلق بأكون أو بمحذوف حال مما بعده ويدا خبرها والأرجل معطوف عليه وهو جمع رجل بكسر فسكون ووضع صيغة الجمع موضع المثنى نظرا الى أن أقل الجمع اثنان وقوله والسمع معطوف على يدا ومنه متعلق بمحذوف حال من السمع أى حال كونه كائنا من هذا العبد الذى يتقرب الى بالنوافل ثم عاطفة وعينا معطوف على يدا أيضا وباصره صفة لعينا وأى تفسيرية ومثل تفسير ليدا. وما بعده أى أكون مثل ذلك أى المذكور من اليد وما بعدها فافراده لاسم الاشارة مع أن المشار اليه متعدد لتأويله بالمذكور وفى المطالب متعلق بما بعده وهرول فعل ماض بمعنى أسرع وفاعله ضمير مستتر يعود على اسم الاشارة والألف للاطلاق والجملة فى محل نصب حال منه أى أكون مثل ذلك حال كونه مهرولا أى مسرعا فى المطالب أى قضائها وأفاد بهذا التفسير أن فى الحديث مضافا محذوفا فتنبه .

ومنها التوكل

أى ومن الوصايا التسع التوكل قال الامام الغزالى فى الاحياء قد أكثر الخائضون فى بيان التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقامه وأخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوف به ولا فائدة فى النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره الى فلان أى فوضه اليه واعتمد عليه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل

بالفرض) أى فم به كما فى المصباح (قوله بمثل ذلك) نائب فاعل لقوله لا يقرب (قوله أكملا) بصيغة الأمر وحذف العاطف وهو معطوف على قوله اهتم أى وأكمله ويجوز أن يكون أكمل بصيغة التفضيل صفة لمصدر محذوف والمعنى اهتم بالفرض اهتماما أكمل من اهتمامك بغيره (قوله حتى أكون له) الضمير المستتر عائد الى ذى العطاء الذى هو صفة للفظ الجلالة المحذوف والضمير المجرور عائد الى العبد (قوله والأرجلا) جمعه الناظم لضيق النظم ولأن الرجل اذا مشت تبعتها الأعضاء (قوله منه) بالاشباع والضمير عائد الى العبد ومن بمعنى اللام (قوله أى مثل ذلك فى المطالب هرولا) أى مثل ذلك المذكور من الأعضاء الأربعة أسرع ذو العطاء فى قضاء مطالب ذلك العبد (قوله مثل) مفعول لفعل محذوف تقديره أعنى وهذا التفسير اشارة الى قول أبى عثمان الحيرى أحد أئمة الطريق معنى قوله تعالى كنت سمعه الخ كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاسماع وعينه فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى وهذا التفسير الذى سلكه الناظم قريب من قول بعضهم معناه كنت له فى النصرة كسمعه وبصره ورجله ويده فى المعاونة (ومنها) أى الوصايا التسعة (التوكل) وهو الاعتماد على الله تعالى أى الوثوق به ورجاء الرزق منه لان رؤية الرزق من الكسب كفر

قال العلامة أحمد السحيمى (وتوكلن متجردا فى رزقكا * ثقة بوعد الرب أكرم مفضلا) أى توكلن أيها المكلف على الله تعالى فى شأن رزقك حال كونك مجدا فى طاعته ومنفردا عن الزوجة والولد ثقة بوعد الرب فى قوله وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها حال كونه أكرم فانه يعطى من غير سؤال وكونه محسنا على خلقه فقوله أكرم ومفضلا حالان من الرب وأكرم اسم تفضيل ومفضلا اسم فاعل من أفضل بمعنى أحسن كما فى الصحاح قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال السيوطى فى النقاية واختلف القوم فى الاكتساب وتركه فقال بعضهم الاعراض عن أسباب الاكتساب باعتماد القلب على الله تعالى أفضل وقال بعضهم الاكتساب أفضل من تركه وقال بعضهم من يكون فى توكله لا يسخط عند ضيق الرزق عليه ولا يتطلع الى سؤال أحد من الخلق فالتوكل فى حقه أفضل لما فيه من الصبر والمجاهدة للنفس ومن يكون فى توكله بخلاف ما ذكر فالاكتساب فى حقه أفضل حذرا من السخط والتطلع والمختار عندى أنه لا ينافى التوكل الكسب بل يكون مكتسبا متوكلا بأن يرضى بما قسم الله ولا يتطلع الى أكثر منه وقد قال عمر رضى الله عنه لقوم قعدوا وادعوا التوكل إنما المتوكل الذى يلقى بذره فى الارض ويتوكل وعن سهل بن عبد الله قال التوكل حال النبى صلى الله عليه وسلم والكسب سنته فمن قوى حاله فلا يتركن سنته ولا ينافى التوكل أيضا الادخار قوت سنة فقد كان صلى الله عليه وسلم يدخر قوت عياله سنة كما فى الصحيحين وهو سيد المتوكلين انتهى وقال أبو جعفر الحداد وكان من المتوكلين وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهما أخفيت هذا التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت أكتسب فى كل يوم دينارا ولا أبيت منه دانقا ولا أستريح منه إلى قيراط أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل قال على الجيزى فى تحفة الحراص والحيلة المحصلة للتوكل هى ملازمة خمسة أذكار أحدها أن يلحظ أن الله تعالى عالم بحاله من جوع ونحوه ولو كان تحت سبع أرضين أو فى أقصى الدنيا وثانيها اعتقاد كمال قدرته تعالى وثالثها أن يلحظ أنه منزه عن السهو والنسيان ورابعها أن يلحظ أنه منزه عن خلف الوعد وخامسها أن يلحظ أن خزائنه لا تنقص أبدا :

(أما المعيل فلا يجوز قعوده * عن مكسب لعياله متوكلا) (قوله المعيل) بضم الميم أى من كثرت عياله قال الغزالى ومن له عيال حكمه يفارق المنفرد لأن المنفرد لا يصح توكله إلا بأمرين أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير تطلع الى أحد ومن غير ضيق نفس وثانيهما أن يطيب نفسا

عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل الحق وحده الخ اه وقوله واختلفت عباراتهم منها قول ذى النون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة بأن لا يرى لأحد حيلة ولا قوة إلا بالله وقول أبى بكر الدقاق التوكل رد العيش إلى يوم واحد واسقاط هم غد وقول بعضهم التوكل ترك الكسب اعتمادا على الله تعالى وإلى هذا أشار بقوله :

(وتوكلن متجردا فى رزقكا * ثقة بوعد الرب أكرم مفضلا)

أى وتوكل أيها السالك الراغب فى رقى الدرجات فى شأن رزقك على مولاك أى اترك الكسب حال كونك متجردا عن الأهل والأولاد ثقة بوعده واعتمادا على كمال كرمه ورحمته فانه سبحانه وتعالى ضمن وبالغ فى الايجاب على نفسه فى كتابه حيث قال وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها وأقسم عليه بقوله وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون فمن لم يعتمد على ضمان هذا الكريم ولم يثق بجود هذا النبى الرحيم ولم يطمئن قلبه بوعده فكيف يستقر الايمان فى قلبه ومن أين معرفته سئل سلطان العارفين أبو يزيد البسطامى من أين تأكل فقال مولاى يطعم الكلب والخنزير أفترى أن لا يطعم أبا يزيد وقال ابراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل قال ليس هذا العلم عندى ولكن أسأل ربك من أين يطعمنى والعجب ممن يدعى العقل وهو جرب ثلاثين أو أربعين أو خمسين سنة ليلا ونهارا ولم يفته غداؤه ولا عشاؤه أما يكفيه هذه التجربة ان لم يوجد العلم والمعرفة نعوذ بالله من الجهل الدائم والحرص الهائم وقد قيل مكتوب فى التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وقال النبى ﷺ من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها . فنسأل الله الكريم أن يمن علينا بالثقة بوعده وجوده إنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير .

الاعراب : وتوكلن فعل أمر مبنى على سكون مقدر لأجل الفتحة التى أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة ومتعلقه محذوف أى على الله ومتجردا حال من الفاعل وفى رزقك متعلق بتوكل وثقة مفعول لأجله أو منصوب على الحال على تأويله باسم الفاعل من فاعل توكلن أى توكلا لأجل الثقة أو حال كونك واثقا وبوعد متعلق بثقة وأكرم حال من الرب ومفضلا مثله وهو بضم الميم وسكون الفاء وكسر الضاد المخففة اسم فاعل من أفضل بمعنى أحسن :

(أما المعيل فلا يجوز قعوده * عن مكسب لعياله متوكلا)

ثم قال الجنيد : هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت فى نفسى انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت بالصرة الى النورى فقال هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له أنا لا أقبل منك شيئا وأخذ ما زاد على المائة . قال الراوى فزاد تعجبى فسألته

لما كان مما ينبغى للانسان أن يصون نفسه عن التذلل للخلق طمعا فيما عندهم اما بالتوكل إذ المتوكل قد قطع النظر عما عندهم فلا يكون له طمع ونظر إلا إلى الله تعالى واما بالتسبب فان المتسبب قد صان نفسه بواسطة كسبه عن منن المخلوقين والطمع فيهم نبه على ذلك بقوله لا تبذلن الخ أى لا تبذلن لأبناء الدنيا عرضك الشريف حال كونك طامعا فى مالهم وجاههم وحال كونك متذللا بالتردد فى خدمتهم والاعانة على أغراضهم والثناء عليهم والدعاء لهم واظهار حبهم وتكثير جمعهم فان ذلك من أثر محبة الدنيا وتعظيمها فى قلبه ومن أحبها وعظمها فانه يعظم من أقبلت الدنيا عليه ويتمنى أن ينال منها ما نال وهذه صفة عبيد الدنيا وعبيد هواهم

الاعراب : لا تبذلن لا ناهية تبذلن فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة والفاعل ضمير مستتر وعرضك مفعوله وهو بكسر العين محل المدح والذم وطامعا منصوب على الحال من فاعل تبذلن فى مالهم متعلق بطامعا وجاههم معطوف على مالهم ومتذللا حال ثانية من فاعل تبذلن مرادفة ويصح أن يكون حالا من فاعل طامعا وتكون متداخلة

ومنها الاخلاص

أى ومن الوصايا التسع : الاخلاص وهو الركن الأعظم من أعمال القلب الذى عليه مدار العبادات كلها . قال تعالى « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » وقال تعالى « ألا لله الدين الخالص » . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أخلص دينك يكفك العمل القليل » . وسئل عليه الصلاة والسلام عن الايمان فقال هو الاخلاص لله تعالى . وقال عليه الصلاة والسلام « لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصا له وابتغى بها وجهه » . وقال عليه الصلاة والسلام « من أخلص لله أربعين يوما أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » . وكان أبو ذر رضى الله عنه يقول سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ما هو فقال حتى أسأل عنه جبريل فسأل عنه جبريل فقال حتى أسأل عنه ميكائيل فسأل عنه ميكائيل فقال حتى أسأل عنه رب العزة فسأل ربه تعالى عنه فقال : الاخلاص سر من أسرارى أودعه قلب من أشاء من عبادى . وقال عليه الصلاة والسلام « من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض » . وقال عليه الصلاة والسلام « إنما تنصر هذه الأمة بضعفائهم بدعواتهم وصلاتهم واخلاصهم » ، ومعنى الاخلاص أن يكون قصد الانسان فى جميع طاعاته وأعماله مجرد التقرب إلى الله تعالى وارادة قربه ورضاه دون غرض آخر من مراآت الناس أو طلب محمدة منهم أو طمع فيهم . قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه : نظر الأكياس فى تفسير الاخلاص فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركته وسكونه فى سره وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا اه وهذا هو معنى قوله رضى الله عنه :

(أخلص وذا أن لا تريد بطاعة * إلا التقرب من إلهك ذى الكلا)

أى أخلص أيها الراغب فى لقاء الله تعالى والدرجات العلا وذا أى الاخلاص أن لا تريد بطاعة الله إلا التقرب من مولاك ذى الكلا وهذا المعنى هو أعلى مراتب الاخلاص الثلاث بالمرتبة الثانية

فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال الراوى فرددتها الى الجنيد فبكى وقال أخذ ماله تعالى ورد مالنا . ومنها أى الوصايا التسع (الاخلاص) وهو تصفية العمل من العجب به فان الالتفات الى العمل والنظر اليه عجب وهو من جملة الآفات وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها كذا ذكره الغزالى ؛ (أخلص وذا أن لا تريد بطاعة إلا التقرب من إلهك ذى الكلا) أى أخلص أيها الطالب لرضا الله تعالى والاخلاص أن لا تعبد إلا ربك وتستقيم فى عبادته كما أمرت كما قال صلى الله عليه وسلم جوابا للسائل عن الاخلاص أن تقول ربى الله ثم تستقيم كما أمرت وهذا إشارة الى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا . وقال سهل رحمه الله تعالى : الاخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض . وقال الجنيد رحمه الله : الاخلاص تصفية العمل من الكدورات (قوله ذى الكلا) بكسر الكاف وبالمد لكن قصر هنا للضرورة ، أى صاحب الحفظ لكلاءتى . وفى ذكر ذلك إشارة إلى طلب حفظ الأعمال من مفسداتها ·

الثانيـة : العمل طمعا فى الثواب وهربا من العقاب . المرتبة الثالثة : العمل لأجل أن الله يغنيه فى الدنيا عن الناس كأن يقرأ سورة الواقعة لذلك وهـذه المرتبة هى الدنيا وصاحبها يعد مخلصا .

الاعراب : أخلص فعل أمر وذا الواو للاستئناف البيانى كأن سائلا يقول : ما الاخلاص الذى أمرتنا به فأجابه بقوله وذا الخ وذا اسم إشارة عائد على الاخـلاص المفهوم من أخلص مبنى عـلى السكون فى محـل رفع بالابتـداء وأن لاتريد للمصـدر المؤول من أن والفعل بعـدها فى محـل رفـع خـبر وبطاعة متعلق بتريد وإلا التقرب إلا أداة حصر والتقرب مفعول تريد ومن إلـه متعلق بالتقرب وذى بمعنى صاحب صفة لإلـه وهو مضاف لـكلا وهو بالـكسر والمـد وقصر هنا للضرورة بمعـنى الحفظ . قال فى المصباح : كلأه الله يكلؤه مهموزا كلاءة بالـكسر والمـد حفظه وأما كلا بالـكسر والقصر فاسم لفظه مفرد ومعناه مثنى ويلزم إضافته الى مثنى يقال قام كلا الرجلين :

(لاتقصدن معه الى غرض الدنا * كثنائهم أو نحو ذاك توصلا)

هذا تصريح ببعض مافهم من الحصر السابق إذ يفهم منه شيئان النهى عن علم قصد التقرب الى الله تعالى رأسا والنهى عن قصد التقرب مع قصد التوصل الى غرض الدنيا . والمعنى لاتقصدن مع التقرب الى الله تعالى التوصل الى غرض الدنيا كثناء الخلق أو نحو ذلك كمحبتهم وأن يـكون له وقع عندهم . وقال الغزالى رحمه الله : وذلك مثل أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة به مع قصد التقرب الى الله تعالى ومثل أن يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه ومثل أن يصلى بالليل وله غرض فى دفع النعاس عنه لمراقب رحله وأهله أو يتعلم العلم ليـكون عزيزا بين العشيرة اه وقال السيد عبد الله الحداد فى النصائح فالذى يعمل لقصد التقرب الى الله تعالى وطلب مرضاته وثوابه هو المخلص والذى يعمل لله ولمرا آت الناس هو المرائى وعمله غير مقبول والذى يعمل لمرا آت الناس فقط ولولا الناس لم يعمل أصلا أمره خطر هائل ورياؤه رياء المنافقين نعوذ بالله من ذلك ونسأله العافية من جميع البليات اه .

الاعراب : لا ناهية وتقصدن فعل مضارع مجزوم مؤكد بالنون الخفيفة ومعه متعلق بتقصدن وضميره يعود على التقرب والى غرض الدنا متعلق بتوصلا فى آخر البيت كثنائهم خبر لمبتدا محذوف أى وذلك أى غرض الدنيا كائن كثنائهم أو نحو ذلك معطوف على ثنائهم واسم الاشارة يعود على غرض الدنا وتوصلا مفعول تقصدن وهو مصدر توصلا :

(واحـذر رياء محبطا لعبادة * وانظر الى نظر العليم فتـكملا)

لما أمر بالاخلاص نبه على التحذير من ضده وهو الرياء لأنه من أعظم المهلكات فقال : واحذر رياء الخ يعنى اجتنب رياء محبطا لعبادتك أى مبطلا ثوابها وانظر الى نظر الله العليم . يعـنى واستحضر ولاحظ نظر الله العليم بأسرارك حال بروز العبادة منك متـكملا . يعـنى إن اجتنبت الرياء ولاحظت نظر الله فيـك تـكمل أى تصير من الـكاملين العارفين فان الـكامل العارف هو الذى يتوجـه الى الله تعالى بكليته ويـكتفى بنظر الله تعالى عن نظر من سواه وان الجاهل المغرور هو الذى لا يلاحظ نظر من هو أقرب اليـه من حبل الوريد ويلاحظ نظر غيره من العبيد ولا يلتفت الى استحسان خالقـه ومولاه ويلتفت الى استحسان أقربائه وأحبائه وأعدائه فاذا عمل الانسان عملا ولم يرد به الا الرياء فهو سبب للمقت والعـذاب لتلبيسه على الخلق

أى لاتقصد مع طلب القرب من الله تعالى وسيلة الى مقصد الدنيا كثناء الخلق والرياسة بينهم فان ذلك ينفى الاخلاص كما قال عيسى عليه السلام لما قال الحواريون ما الخالص من الأعمال هو الذى يعمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد وكما قال الخواص من شرب من كأس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وكما قال المحاسبى الاخلاص هو اخراج الخلق عن معاملة الرب وهـذا اشارة الى مجرد نفى الرياء وكما قال أبو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق فقط وهذا اشارة الى آفة الرياء فقط : (واحذر رياء محبطا لعبادة وانظر الى نظر العليم فتكملا) خص الناظم الرياء بالذكر لأنه أقوى الأسباب المشوشة للاخلاص . قال فى تحفة الخواص والرياء هو فعل العبادة بقصد اطلاع الناس لتحصيل مال أو جاه أو مدح وهو من الكبائر وكل عمل خالطه الرياء فهو باطل مردود وأما غيره كحج مع تجارة وطهارة مع تبرد ففيه الثواب بقدر باعث الآخرة ولو مغلوبا والرياء يدخل كل الأعمال حتى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم على الأصح كما أفتى به شيخ الاسلام والرملى اه

(قوله محبطا لعبادة) بالحاء المهملة أى مبطلا ثوابها كما فى الصحاح (قوله وانظر الى نظر العليم) أى انتظر اعانة العليم بجميع أحوالك كما فى القاموس والمصباح : (لاتظهرن فضيلة كى تعتقد * لاتبرزن لينكروك رذائلا) أى لاتظهر للناس طاعتك لتعتقد أنك فاضل بكثرة الطاعات أما الاظهار للقدوة وترغيب الناس فى الخير فهو أفضل من السر ان لم يكن فيه شوائب الرياء وهو قسمان أحدهما إظهار نفس العمل وعلى من يظهر العمل وظيفتان إحداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتضى به أو يظن ذلك فرب ما يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به

جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محلته وأما العالم المعروف فهو يقتدى به الناس كافة فغير العالم اذا أظهر بعض الطاعات ربما نسبوه الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو فى محل القدوة والثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفى فيدعوه الى الاظهار وانما شهوته التجمل بالعمل وهو لا يشعر فيهلك وثانيهما أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر فى هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرى فى الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة عظيمة فى اظهار الدعاوى الا أن هذا أهون لأنه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر فى افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها ولا تظهر للناس المعاصى لينكروك إذ ورد فى الخبر أن من ستر الله عليه فى الدنيا ذنبا ستره عليه فى الآخرة والممنوع أن يستر المعاصى ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائى وأما الصادق الذى لايرائى فله ستر المعاصى وهو مطلوب لثمانية أمور : الأول الفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره فى القيامة للحديث المار . والثانى علمه أن الله تعالى يكره ظهور المعاصى ويحب سترها . والثالث كراهة ذم الناس له بذلك من حيث انه يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله وبهذه العلة ينبغى أن يكره الحمد الذى يشغله عن ذكر الله تعالى ويصرفه عن الذكر . الرابع كراهته لذم الناس من حيث يتأذى فان الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم

بتخييل أنه مخلص مطيع لله وأنه من أهل الدين مع أنه ليس كذلك والتلبيس حرام . واعلم أن معنى الرياء طلب المنزلة والتعظيم عند الناس بعمل الآخرة كالذى يصلى ويصوم ويتصدق ويحج ويغزو ويقرأ القرآن ليعظمه الناس لذلك ويكرموه أو يعطوه من أموالهم فذلك هو المرائى وعمله مردود وسعيه خائب سواء فعل له الناس ما أمله منهم أو لم يفعلوه له قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون وقال عليه السلام يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برئ وهو نصيب للشريك وقال عليه السلام من صام يرائى فقد أشرك ومن صلى يرائى فقد أشرك ومن تصدق يرائى فقد أشرك وقال عليه السلام من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس الله وجهه ومحق ذكره وأثبت اسمه فى النار وقال عليه السلام من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساء الصلاة حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه تعالى والأخبار الواردة فى ذم الرياء لاتحصر فعلى المؤمن العاقل أن يجتهد فى دفع الرياء عن نفسه وأن لايكون له نية ولاقصد فى جميع طاعاته وعباداته الا التقرب الى الله وطلب ثواب الآخرة فبذلك يخلص من الرياء ويسلم من شره وبليته إن شاء الله تعالى فنسأل الله أن يسلمنا منه ومن سائر الأوصاف المذمومة .

الاعراب : احذر فعل أمر ورياء مفعوله ومحبطا بكسر الباء صفة له ولعبادة متعلق به وانظر فعل أمر وهو يتعدى بنفسه تارة وبحرف الجر أخرى يقال نظرته ونظرت اليه أى أبصرته لكن النظر هنا بمعنى الفكر وعليه تكون الى بمعنى فى أى فكر فى نظر الله والمراد لاحظ واستحضر نظر الله فيك فتكمل الفاء سببية وتكمل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة فى جواب الأمرين قبله أعنى احذر وانظر والفاعل مستتر تقديره أنت والألف للاطلاق :

(لاتظهرن فضيلة كى تعتقد * لاتبرزن لينكروك رذائلا)

أى لاتظهر للناس طاعتك لأجل أن يعتقدوا أنك فاضل لأن ذلك حظ للنفس تستريح اليه النفوس وتميل اليه وأما إظهارها لأجل أن يقتدى بك الجهال ويرغبوا فى الخير فهو أفضل من اسرارها قال الحبيب عبد الله الحداد فى النصائح ومهما خاف على نفسه الرياء فليخف أعماله ويفعلها فى السر حيث لايطلع عليه الناس فذلك أحوط وأسلم وهو أفضل مطلقا أعنى العمل فى السر حتى لمن لم يخف على نفسه الرياء الا للمخلص الكامل الذى يرجو اذا أظهر العمل أن يقتدى به الناس فيه نعم ومن الأعمال ما لايتمكن الانسان من فعله الا ظاهرا كتعلم العلم وتعليمه وكالصلاة فى الجماعة والحج والجهاد ونحو ذلك فمن خاف من الرياء حال فعله شيئا من هذه الأعمال الظاهرة فليس ينبغى له أن يتركه بل عليه أن يفعله ويجتهد

للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا يعصي بذلك وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم والخامس كراهة الذم من حيث أن الشخص الذام قد عصى الله تعالى به . السادس خوف قصد الناس إياه بشر اذا عرف ذنبه . والسابع الحياء فانه نوع ألم غير ألم الذم والقصد بشر وهو خلق نفيس ووصف محمود اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي الا بخير . الثامن أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرئ عليه غيره و يقتدى به و بهذه العلة ينبغي أن يخفي العاصي معصيته من أهله وولده لأنهم يتعلمون منه

ذكر ذلك كله الامام الغزالي وقال النووي وذكر محاسن نفسه ضربان مذموم ومحبوب فالمذموم أن يذكرها للافتخار واظهار الارتفاع والتميز على الأقران وشبه ذلك والمحبوب أن يكون في ذكرها مصلحة دينية وذلك بأن يكون آمرا بالمعروف أو ناهيا عن المنكر أو ناصحا أو مشيرا بمصلحة أو معلما ومؤدبا أو واعظا ومذكرا أو مصلحا بين اثنين أو يدفع عن نفسه شرا ونحو ذلك فيذكر محاسنه ناويا بذلك أن يكون هذا أقرب الى قبول قوله واعتماد ما يذكره أو أن هذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به أو نحو ذلك : (ايمان مرء لا يكون تكاملا حتى يرى ناسا بابل مثلا) قال الغزالي وعلامة الاخلاص أن يكون الخاطر يألفه في الخلوة كما يألفه في الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببا في ذلك فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء فعلم من هذا الكلام ومن هذا الموضع أن المراد بالايمان في كلام الناظم الاخلاص وقوله تكاملا فعل ماض والفاعل عائد الى الايمان والجملة خبر لا يكون الواقع خبر المبتدإ (قوله بابل) بسكون الباء للتخفيف كما في المصباح والوزن وهو متعلق بمثلا المبني للمجهول الواقع صفة لناسا انتهى : (فيكون مدحهم وذمهم سواء لم يخش لومة لائم في ذي الملا) قال الشيخ أبو مدين الحديدي في الحكم : علامة الاخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة

ويجتهد في دفع الرياء عن نفسه ويستعين بالله تعالى فانه نعم المولى ونعم المعين اهـ ولما صرح بالنهي عن اظهار الفضائل لأجل أن يعتقد صرح بالنهي أيضا عن اظهار المعاصي بقوله لا تبرزن لينكروك رذائلا أي لا تظهر للناس الرذائل من أعمالك أي المعاصي لأجل أن ينكروها عليك فان فيه التفاتا الى الناس واعتمادا عليهم وقد أمر النبي ﷺ بستر الذنوب فقال من ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله عليه فسترها ليس من الرياء بل هو ممدوح لأمور منها الفرح بستر الله عليه فاذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره يوم القيامة في الخبر أن من ستر عليه في الدنيا ستر عليه في الآخرة ومنها علمه أن الله يكره ظهور المعاصي ويحب سترها ومنها غير ذلك مما هو مذكور في الشرح .

الاعراب : لا تظهرن لا ناهية وتظهرن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم والفاعل مستتر تقديره أنت وفضيلة مفعوله كي حرف تعليل وجر وتعتقد فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعد كي وهو مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت لا تبرزن لا ناهية تبرزن فعل مضارع مؤكد بالنون الثقيلة أيضا والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت ورذائلا مفعوله ولينكروك اللام لام كي وينكروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل وهو من أنكر اذا عاب فهو يطلب مفعولين أحدهما بلا واسطة والآخر بواسطة قال في المصباح يقال أنكرت عليه فعله إنكارا اذا عبته ونهيته اهـ اذا علمت ذلك فكاف الخطاب منصوب باسقاط الخافض ومفعوله محذوف أي لينكروا عليك اتيانك بالرذائل .

(ايمان مرء لا يكون تكاملا * حتى يرى ناسا بابل مثلا
فيكون مدحهم وذمهم سواء * لم يخش لومة لائم في ذي الملا)

لما بين أن كلا من اظهار العامل الفضائل لأجل اعتقاد الناس له واظهاره المعاصي لأجل انكار الناس عليه أمر منهي عنه ذكر ما لا يكمل إيمان المرء الا به بقوله ايمان مرء الخ يعني أن ايمان المرء لا يكون كاملا حتى يعتقد أن مشاهدة الناس والابل لعمله على حد سواء وهذا مأخوذ من قوله عليه السلام لا يكمل ايمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعر أي في مشاهدة العمل فما دام يفرق بينهما فهو ليس بمخلص قال الامام الغزالي علامة الاخلاص أن يكون الخاطر يألفه في الخلوة كما يألفه في الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهائم سببا في ذلك فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو خارج عن صفو الاخلاص ومدنس الباطن بالشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ثم ذكر الناظم أنه اذا كان مشاهدة الناس والابل سواء يكون مدح الناس له وذمهم سواء عنده فلا تغمه المذمة ولا يسره المدح لأن من كان عمله لله لا يبالي

الحق ثم قال أحمد بن علان في شرحه اذ حقيقة الاخلاص الخلوص من شهود الأكوان والدخول في مقام الاحسان انتهى وقال الغزالي
الأصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا أمير

بالمدح ولا بالذم ولا يخشى في الله ذي العلا لومة لائم لأنه يرى أن كلامهم ريح يخرج من أفواههم ويزول
الاعراب • الايمان مبتدأ ومرء مضاف اليه والمرء الرجل لا يكون لا نافية يكون فعل مضارع واسمها
يعود على الايمان وتكاملا فعل ماض وفاعله يعود على الايمان والجملة خبر يكون حتى يرى حتى غائية ويرى
فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر
وفاعله ضمير يعود على مرء وناسا مفعول أول وبأي متعلق بمثلا وهو فعل ماض مبني للمجهول ونائب
الفاعل ضمير يعود على ناسا وذكر وأفرد لأن ناسا اسم جمع لانسان واسم الجمع يجوز تذكير ضميره
وافراده وممن نص على أن ناسا اسم جمع شيخي زاده عند قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم وأما الجمع فهو
أناسي والجملة في محل نصب مفعول ثان ليرى لأنها علمية فيكون الفاء تفريعية ويكون فعل مضارع مرفوع
ومدحهم اسم يكون وذمهم معطوف عليه ومتعلق مدح وذم محذوف أي له والميم فيهما للجمع وهي مضمومة
مشبعة للوزن وسواء خبر يكون وقصر للوزن ولم يخش لم جازمة ويخش فعل مضارع مجزوم بحذف الألف
والفتحة قبلها دليل عليها وفاعله ضمير يعود على المرء والجملة في محل نصب خبر ثان ليكون ولومة مفعول
يخشى ولائم مضاف اليه وفي ذي العلا متعلق بيخش وذي بمعنى صاحب أي يكون لم يخش في دين ذي
العلا وهو الله سبحانه وتعالى عذل عاذل والمراد أنه يكون قويا في الدين لا يبالي بما يفعله أعداء الحق من
الازراء بأهل الدين وقلب محاسنهم مساوي ومناقبهم مثالب حسدا وبغضا وكراهة للحق وأهله .

(عمل لأجل الناس شرك تركه * للناس ذاك هو الرياء سبهللا)

لما بين أن الرياء من المهلكات وكان من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرائيا أشار الى ذمه
بقوله عمل لأجل الناس الخ يعني أن العمل لأجل الناس شرك وتركه لأجل الناس هو الرياء لأن فيه التفاتا
الى الخلق وجره الى البطالة وترك الخيرات وهذا مأخوذ من قول الفضيل رضي الله عنه ترك العمل لأجل
الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما قال الامام الغزالي وأما ترك
الطاعة خوف الرياء فلا وجه له بل ينبغي أن يعمل ويخلص الا اذا كان العمل فيما يتعلق بالخلق كالقضاء
والامارة والوعظ فاذا علم من نفسه أنه بعد الخوض فيه لا يملك نفسه بل يميل الى دواعي الهوى فيجب عليه
الاعراض والهرب كذلك فعل جماعة من السلف .

الاعراب • عمل مبتدأ ولأجل الناس متعلق بعمل وشرك خبره وتركه مبتدأ أول وللناس اللام تعليلية
متعلقة بتركه وذاك مبتدأ ثان هو الرياء هو ضمير فصل والرياء خبر المبتدأ الثاني والثاني وخبره خبر
الأول وقوله سبهللا الذي يظهر أنه مفعول ثان لمقدر أي ويسمى التارك للعمل سبهللا وهو مأخوذ
من قول عمر رضي الله عنه اني لأكره أن أرى أحدكم سبهللا أي لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة
قال في القاموس جاء سبهللا أي سبغللا أي مختالا غير مكترث ولا في عمل دنيا ولا آخرة ويمشي سبهللا
اذا جاء وذهب في غير شيء .

(لا تطلبن عند المهيمن منزله * ان كنت تطلب عند ناس منزلا)

يعني لا تطلب عند الله المهيمن منزلة أي درجة رفيعة ان كنت تطلب أن تكون لك منزلة عند الناس
وفي هذا البيت ذم حب الجاه والرفعة وقد ورد في ذمه شيء كثير من الآيات الشريفة والأحاديث المنيفة
فمن ذلك قوله تعالى «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا» وقوله صلى
الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقوله صلى الله عليه وسلم

المؤمنين وما عمل العلانية قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه وقال أبو مسلم الخولاني ما عملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا اتياني أهلي والبول والغائط وهذه درجة عظيمة لا ينالها كل أحد (قوله مدحهم وذمهم) باشباع الميم فيهما والضمير فيهما عائد للناس (قوله في ذي العلا) أي في هذه الدرجات العلا وهي العبادات فذي اسم اشارة للمؤنث وليس بمعنى صاحب كما قد يتوهم (عمل لأجل الناس شرك تركه للناس ذاك هو الرياء سبهللا) وهذا البيت مأخوذ من كلام سيدي الفضيل فانه قال ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما (قوله سبهللا) مأخوذ من قول عمر رضي الله عنه اني لأكره أن أرى أحدكم سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة :
(لا تطلبن عند المهيمن منزله ان كنت تطلب عند ناس منزلا)
هذا البيت اشارة الى ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له واشارة الى ما روي عن عبادة أن الله عز وجل يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشركة من عمل لي عملا فأشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي (قوله المهيمن) أي الشاهد

ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر إفسادا من حب المال والجاه فى دين الرجل المسلم . وهذا البيت مأخوذ من قول أبى بكر الوراق لاتطلبن المنزلة عند الله وأنت تطلب المنزلة عند الناس وذلك لأن الجمع بين هذين المعنيين محال . وهذا مفسد به كثير من الأعمال فان من طلب المنزلة فى قلوب الناس صار مشغوفا بالتودد اليهم والمراآة لأجلهم ملتفتا الى مايعظم منزلته عندهم فى أقواله وأفعاله وذلك عين النفاق . واعلم أنه لايمكن للانسان أن لايحب المنزلة فى قلوب الناس مادام يطمع فيهم ولاينقطع طمعه عنهم الا بالقناعة ولايتم ترك الجاه الا بها .

الاعراب لا ناهية تطلبن فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة فى محل جزم عند المهيمن متعلق به والمهيمن هو الشاهد الذى شهد على كل نفس بما كسبت أو العالم الذى لايعزب عن علمه شىء ومنزله مفعول تطلب منصوب بفتحة مقدرة لأجل الوقف ان كنت ان شرطية وكنت فعل ماض ناقص واسمها تاء المخاطب وجملة تطلب خبرها وعند ناس متعلق بتطلب ومنزلا مفعول تطلب :

ومنها العزلة

أى ومن الوصايا التسع العزلة وهى التفرد عن الخلق فعليك بها لأن الخلق يشغلونك عن الله ويوقعونك فى الشر والهلاك . واعلم أن الناس فى العزلة ليسوا سواء فمنهم من لاحاجة للخلق اليه فى علم و بيان حكم فهذا الأولى له التفرد وعدم المخالطة الا فى جمعة أو جماعة أو عيد أو حج أو مجلس علم أو حاجة فى معيشة لابد له منها والا فيوارى شخصه ويلزم كنه أى محله لايعرف ولايعرف فان أراد عدم مخالطتهم ألبتة لا فى جمعة ولا جماعة ولا فى غيرهما لما يرى فى ذلك من مصلحته وفراغ قلبه فليصر الى موضع لاتلزمه فيه الجمعة والجماعة كالبرية ورؤس الجبال ان أمن على نفسه من تلاعب الشيطان وغوايته ومن أذية غير الشيطان من بنى آدم ولكن الأولى له الجلوس بين الناس مع الاعتزال عنهم الا فيما تقدم لأنه أحصن له . ومن الناس من يكون قدوة فى العلم بحيث يحتاج الناس اليه فى أمر دينهم لبيان حق أو رد على مبتدع أو دعوة الى خير بفعل أو قول أو نحو ذلك فلا يسع هذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينصب نفسه بينهم ناصحا لخلق الله ذابا عن دين الله مبينا لأحكام الله تعالى لقوله ﷺ اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله و يحتاج حينئذ فى صحبة الناس الى صبر طويل وسلم عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله دائمة ويكون فى المعنى منفردا عنهم وان كان بالشخص معهم فان كلموه كلمهم وان زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم وان سكتوا عنه وأعرضوا اغتنم ذلك منهم وان كانوا فى خير وحق ساعدهم وان صاروا الى لغو وشر خالفهم ورد عليهم وهجرهم و زجرهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعيادات وقضاء الحاجات التى ترفع اليه مما أمكنه ولايطالبهم بالمكافأة ولايرجو ذلك منهم ولا يرى من نفسه احتياجا لذلك و يباسطهم بالبذل و ينقبض عنهم فى الأخذ ان أعطوا و يحتمل منهم الأذى و يظهر لهم البشر و يتجمل لهم بظاهره و يكتم حاجاته عنهم فيقاسيها و يعالجها فى سره و باطنه ثم ينظر الى نفسه فيجعل لها حظا من العبادة الخالصة وهذا محصل ما سيذكره الناظم فى الأبيات الآتية ثم انه رحمه الله تعالى قدم النهى عن صحبة البطالين المتساهلين فى الدين على الكلام على العزلة اشارة من أول الأمر الى أن العزلة المطلوبة انما هى عن هؤلاء فقال :

(لاتصحبن من كان أهل بطالة ✲ وتساهل فى الدين ذاك هو البلا)

أى لاتصحبن أيها السالك المريد للآخرة من كان متأهلا للبطالة والتساهل فى الدين أى متصفا بهما لأن صحبة من كان كذلك بلاء محض ومصيبة عظمى اذ الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على الاقتداء بمن تستحسن حاله وما أحسن قول بعضهم :

الذى شهد على كل نفس بما كسبت أو العالم الذى لايغيب عن علمه شىء كذا ذكره الشنوانى وقوله منزله بسكون الهاء أى مرتبة ومثله له منزل بلا هاء كما فى الصحاح (ومنها) أى الوصايا التسعة (العزلة) أى البعد عن مخالطة الخلق :

(لاتصحبن من كان أهل بطالة

وتساهل فى الدين ذاك هو البلا)

(قوله بطالة) بتثليث الباء كما فى المصباح أى تعطل من العمل وقوله ذاك أى مصاحبة من ذكر هو البلاء فاحذره . قال الشيخ أحمد بن عطاء الله فى حكمه لاتصحب من لاينهضك حاله ولايدلك على الله مقاله وقال أبو مدين فى حكمه من جالس الذاكرين انتبه من غفلته ومن خدم الصالحين ارتفع لخدمته وقال أيضا نافخ الكبر إن لم يحرقك بناره آذاك بشرره وحامل العطر ان لم يحذك من عطره متعك بنشره والمعنى ومحبة الأشرار كصحبة نافخ الكير ان لم يحرقك بناره آذاك بشرره وكذلك الردى ان لم يضرك بمقاله جرك الى الفحشاء بقبيح فعاله ومحبة الأخيار

بنى اجتنب كل ذى بدعة ✽ ولا تصحبن من بها يوصف
فيسترق طبعك من طبعه ✽ وأنت بذلك لا تعرف

وروى عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفى الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أخوف ما أخاف على أمتى ضعف اليقين وضعف اليقين انما يكون من رؤية أهل الغفلة ومخالطة أهل البطالة والقسوة وقيل لبعض الأبدال المنقطعين الى الله كيف الطريق الى التحقيق والوصول الى الحق قال لا تنظر الى المخلوقات فان النظر اليها ظلمة قلت لا بد لى منهم قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لى منهم قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران ووحشة وحسرة قلت أنا بين أظهرهم ولا بد لى من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله أن يمكننى ثم قال يا هذا أتنظر الى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد أن تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات لا يكون هذا أبدا . وقال ابن عطاء الله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله قال شارحه ابن عباد فانهاض الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو فائدة الصحبة ومعنى الحال المنهضة ههنا هو أن تكون همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة عن المخلوقين لا يلجأ فى حوائجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل فى أموره الا على الله تعالى قد سقط اعتبار الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا وأسقط نفسه من عينه فلا يشاهدها فعلا ولا يقضى لها حظا ويكون فى أعماله كلها جاريا على مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذه صفة العارفين الموحدين فصحبة من هذه حاله وان قلت عباداته ونوافله مأمونة الغائلة محمودة العاقبة جالبة لكل فائدة دينية ودنيوية . ثم قال والحاصل أن صحبة الصوفية هى التى يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب لأنهم خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها غيرهم وسريان ذلك من الصاحب الى المصحوب هو غاية الأمل والمطلوب فقد قيل من لم يحقق بحاله لم يحل محاضروه منها كمن جلس على دكان العطار لم يفقد الرائحة الطيبة هذا فى الحضور والمجالسة فما ظنك فى الصحبة والمؤانسة قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه ماذا أصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا للوقت فمن يصحب مثل هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وقال أيضا رضى الله عنه والله ما سار الأولياء والأبدال من قاف الى قاف الا ليلقوا واحدا مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم وقال أيضا رضى الله عنه الولى اذا أراد أغنى وقال أيضا رضى الله عنه والله ما بينى وبين الرجل الا أن أنظر اليه نظرة وقد أغنيته اه ملخصا واذا علمت ذلك تعلم أن قول الناظم من كان أهل بطالة وتساهل فى الدين للاحتراز عمن ليس كذلك فانه ليس صحبته منهيا عنها بل هى مطلوبة ولله در القائل :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا ✽ مضافا لأرباب الصدور تصدرا
واياك أن ترضى بصحبة ناقص ✽ فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

الاعراب : لا تصحبن لا ناهية وتصحبن فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة فى محل جزم والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت ومن اسم موصول مبنى على السكون فى محل نصب بتصحبن وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر يعود على من وأهل خبر كان وبطالة مضاف اليه وتساهل معطوف على بطالة وفى الدين متعلق بتساهل كذاك اسم اشارة مبتدأ مبنى على السكون فى محل رفع والكاف حرف خطاب وهو ضمير فصل على الأصح لا محل له من الاعراب والخبر محذوف تقديره المبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الالف منع من ظهورها التعذر :

(والعزلة الأولى اذا فسد الزمن ✽ أو خاف من فتن بدين مبتلى)

كصحبة حامل العطر ان لم يعطك من عطره متعك برائحته الطيبة كذلك الصالح ان لم ينفعك بمقاله جذبك الى مولاك بحسن سيرته وفعاله:

(والعزلة الاولى اذا فسد الزمن أو خاف من فتن بدين مبتلى)

(وكذا إذا خاف الوقوع بشبهة * أو فى حرام أولذاك مماثلا) قال: الغزالى وفوائد العزلة ست الأولى التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى فى أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرض الثانية التخلص من المعاصى التى تنشأ عن المخالطة غالبا وهى الغيبة والنميمة والرياء (٣٩) والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة الثالثة الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين الرابعة الخلاص من شر الناس وإيذائهم بالغيبة أو بسوء الظن أو بالافتراحات والأطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها أو بالنميمة أو الكذب الخامسة انقطاع طمع الناس عن المنزل وانقطاع طمعه عنهم السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمق ومقاساة حمقهم وأخلاقهم اه وقوله اذا فسد الزمن أى بكثرة المعاصى (قوله اذا خاف الوقوع بشبهة) أى فى مال شبهة فالباء بمعنى فى وقوله أو مماثلا معطوف على الوقوع الذى هو مفعول به وقوله لذاك متعلق بمماثلا (والاختلاط بناسنا فى جمعهم

وجماعة أو نحو ذلك فضلا

هذا لمن بالعرف يقدر يأمرا

وعن المناكر قد نهى متحملا

صبرا على كل الأذى لايغلب

فى ظنه عصيانه بمحافلا)

قال الغزالى وفوائد المخالطة سبع الأولى التعليم والتعلم وهما أفضل العبادات فى الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الثانية النفع للناس بماله أو ببدنه والانتفاع بالناس بالكسب والمعاملة الثالثة التأديب بأن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية والتأدب بأن يرتاض بمقاساة الناس و بالمجاهدة فى تحمل أذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات الرابعة الاستئناس والايناس وهو غرض من يحضر الولائم

يعنى الأولى عند فساد الزمان وخوفه من فتن تعود على الدين الاعتزال عن الناس وقد وصف صلى الله عليه وسلم زمان العزلة فقال اذا رأيتم الناس مرجت عهودهم أى ذهب الوفاء بها وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه فقال له عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما ما أصنع عند ذلك جعلنى الله فداك قال الزم بيتك وأمسك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة ووصف صلى الله عليه وسلم ذلك الزمن فى حديث آخر بأنه حين لا يأمن الرجل جليسه وفى حديث آخر أن ذلك الزمن كثير خطباؤه قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه قائد العلم قال ومتى ذلك قال اذا أميتت الصلاة وقبلت الرشا وباع الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجا والنجا ثم النجا وجميع ما ذكر فى هذه الأخبار تراه بعينك فى زمانك وأهله وعن سيدنا عمر رضى الله عنه قال ان فى العزلة راحة من خلطاء السوء وكان الثورى رحمه الله يقول والله الذى لا إله إلا هو لقد حلت العزلة فى هذا الزمان قال الامام الغزالى رحمه الله ولئن حلت فى زمانه ففى زماننا هذا وجبت وافترضت وقال سفيان بن عيينة لسفيان الثورى أوصنى فقال له أقلل من معرفة الناس ما استطعت فان التخلص منهم شديد وقال الفضيل هذا زمان احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وقال الثورى هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقال داود الطائى لبعض أصحابه صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد فهؤلاء السلف الصالح أجمعوا على التحذير من زمانهم وأهله وآثروا العزلة وأمروا وتواصوا بها ولاشك أنهم كانوا أبصر وأنصح وأن الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان بل أشر وأمر نسأل الله الحفظ والسلامة من هذا الزمان وأهله بجاه نبيه وآله وصحبه.

الاعراب: العزلة مبتدأ خبره الأولى أو بالعكس واذا فسد اذا ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه وجواب اذا محذوف يدل عليه ما قبله وأو خاف أو بمعنى الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة فسد الزمان ومن فتن متعلق بمبتلى وهو مصدر بمعنى ابتلاء على صورة اسم المفعول وبدين متعلق بمحذوف صفة لفتن أى وخاف ابتلاء من فتن واقعة فى الدين:

(وكذا اذا خاف الوقوع بشبهة * أو فى حرام أو لذاك مماثلا)

ذكره بعد ما قبله من ذكر الخاص بعد العام اذ الوقوع فى الفتن العائدة الى الدين يشمل الواقعة فى الشبهة والحرام يعنى وكذلك تكون العزلة أولى اذا خاف الوقوع فى مال شبهة أو مال حرام أو خاف مماثلا لما ذكر من الشبهة والحرام

الاعراب: وكذا الواو عاطفة وكذا الجار والمجرور متعلق بمحذوف هو جواب اذا أى واذا خاف الوقوع بشبهة فالأولى العزلة كالذى قبله وخاف فعل الشرط وفاعله يعود على السالك المريد للآخرة والوقوع مفعوله وبشبهة متعلق بالوقوع أو فى حرام معطوف على بشبهة أو لذاك أو عاطفة ولذاك متعلق بمماثلا وهو معطوف على الوقوع:

(والاختلاط بناسنا فى جمعهم * وجماعة أو نحو ذلك فضلا)

(هذا لمن بالعرف يقدر يأمرا * وعن المناكر قد نهى متحملا)

(صبرا على كل الأذى لايغلب * فى ظنه عصيانه بمحافلا)

والدعوات وموضع المعاشرة وهذا قد يستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط فى العبادة و يستحب أيضا اذا كان لأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله فى الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمة التقوى الخامسة نيل الثواب بحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين وكذا حضور الاملاكات والدعوات ففيه ثواب من حيث انه ادخال سرور على قلب مسلم وانالته بأن يفتح . الباب لتعوده الناس أو ليعزوه فى المصائب أو يهنئوه على النعم فانهم ينالون بذلك ثوابا وأما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة فى سائر الصلوات أيضا لارخصة فى تركه الالخوف ضرر ظاهر يقاوم مايفوت من فضيلة الجماعة و يزيد عليه السادسة التواضع فانه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه فى الوحدة وقد يكون الكبر سببا فى اختيار العزلة السابعة التجارب فانها تستفاد من المخالطة للخلق ومجارى أحوالهم والعقل الغريزى ليس كافيا فى تفهم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة (قوله فى جمعهم) بضم الجيم وسكون الميم للضرورة جمع جمعة (قوله فضلا) بالبناء للمفعول أما الجمعة فلأنها فرض عين وأما الجماعة فى سائر الصلوات فلأنها لارخصة فى تركها الا لعذر من الأعذار المذكورة فى كتب الفقه (قوله هذا) أى تفضيل الاختلاط مع الناس (قوله بالعرف) متعلق بقوله يأمرا وهو ماعرفه الشرع والعقل بالحسن (لكن كما قاله العزيزى (قوله يقدر) صلة من وقوله يأمرا منصوب بأن المقدرة وهو فى تأويل مصدر لأنه مجرور بعلى المحذوفة للضرورة وهو معمول لقوله يقدر فانه متعد بعلى والألف للاطلاق (قوله عن المناكر) متعلق نهى وقوله قد نهى معطوف على صلة من وقوله متحملا حال من فاعل يقدر أونهى أى متحملا المشقة وقوله صبرا معطوف على متحملا بحذف العاطف و متأول باسم الفاعل (قوله لايغلب) معطوف على يقدر بحذف حرف العطف أى وهذا أيضا لمن لايغلب (قوله بمحافلا) أى فى مجالس الناس والباء بمعنى فى

يعنى أن الاختلاط بالناس فى الجمع والجماعة ونحو ذلك من مشاهد الخير كعيادة المرضى وحضور الجنائز والعيد ومجلس الذكر والعلم فضل على العزلة لما ذكر كالتقييد لما تقدم من كون العزلة أولى أى محل أولويتها فى غير ما ذكر وقد تقدم الكلام على ذلك قال الامام الغزالى فوائد المخالطة سبع الأولى التعليم والتعلم وهما أفضل العبادات ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الثانية النفع للناس بماله أو بدنه والانتفاع بالناس بالكسب والمعاملة الثالثة التأديب بأن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية والتأدب بأن يرتاض بمقاساة الناس و بالمجاهدة فى تحمل أذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات الرابعة الاستئناس والايناس وهذا مستحب فيما اذا كان لأمر الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين سمة التقوى الخامسة نيل الثواب بحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين وأما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة فى سائر الصلوات لارخصة فى تركه أيضا الا لخوف ضرر يقاوم مايفوت من فضيلة الجماعة و يزيد عليه السادسة التواضع فانه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه فى الوحدة وقد يكون الكبر سببا فى اختيار العزلة السابعة التجارب فانها تستفاد من المخالطة للخلق ومجارى أحوالهم والعقل الغريزى ليس كافيا فى تفهم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة اه ثم ان الناظم قيد تفضيل الاختلاط على العزلة بقوله هذا الخ يعنى أن محل كون اختلاط الناس فيما ذكره مفضلا على العزلة فيمن له قدرة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع التحمل والصبر على مايصيبه من أذى الخلق له بسبب أمره ونهيه قال تعالى حكاية عن لقمان أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور ومع غلبة ظنه أن لا يحصل منه عصيان فى المحافل أى مجالس الناس :

الاعراب : الاختلاط مبتدأ وبناسنا متعلق به ومثله فى جمعهم وهو بضم الجيم وتسكين الميم للضرورة جمع جمعة أو بفتح الجيم مع تسكين الميم من غير ضرورة بمعنى جماعة الناس أى مجمعهم فى الخير لكن عليه يضيع قوله أو نحو ذلك اذ المراد به حضور مجامع الخير من الأعياد وزيارة المرضى وحضور الجنائز فالأولى الاحتمال الأول وقوله فضلا هو فعل مبنى للمجهول ونائب فاعله يعود على الاختلاط والجملة خبر المبتدإ وهذا اسم اشارة مبتدأ والجار والمجرور بعده خبره وبالعرف متعلق بيأمرا وجملة يقدر صلة من ويأمر فعل مضارع مرفوع وأصله أن يأمر فلما حذفت أن ارتفع الفعل على حد تسمع بالمعيدى وأن المقدرة وما بعدها فى تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أى يقدر على الأمر بالمعروف وعن المناكر متعلق بنهى ومتحملا حال من فاعل يأمر وفاعل نهى وقوله صبرا اما مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره و يصبر صبرا والفعل معطوف على متحملا لشبهه بالفعل واما مؤول باسم الفاعل وهو معطوف على متحملا أى صابرا وعلى كل الأذى متعلق بصبرا ولا يغلب على حذف العاطف والجملة معطوفة على جملة يقدر أى وهذا أيضا لمن لايغلب على ظنه الخ وعصيانه بالرفع فاعل يغلب وبمحافل متعلق بعصيانه وهو جمع محفل كمجلس وهو مجتمع الناس :

(لكن يقول البعض من متأخرِ الـ * فضلاءِ عزلةَ ذا الزمانِ مفضلا
اذ نادرٌ حقاً خلوُّ عافلٍ * عن حوبةٍ فانظر لنفسك عاقلا)

لما ذكر أن الاختلاط لأجل الجمع والجماعات مفضل على العزلة بالقيد المذكور السابق في الأبيات السابقة استدرك وقال إن بعض الفضلاء يقول إنه في هذا الزمان العزلة مفضلة مطلقاً ولو في مجامع الخير لأنه يندر في هذا الزمان خلو المحافل عن المعاصي ومنهم كالشيخ شمس الدين الكرماني فانه قال المختار في عهدنا تفضيل الانعزال لندور خلو المحافل عن المعاصي وكالامام أبي حامد الغزالي فانه كان معتزلاً احدى عشرة سنة منها سنتان في منارة مسجد دمشق وكالشيخ نجم الدين الأصبهاني فانه كان يصلي مدة فوق جبل أبي قبيس مقتديا بالامام مقلداً لبعض المذاهب وحكايات المشايخ في ذلك تطول وبالجملة فقد قال الشيخ المقتدى به من وجد قلبه في مكان أو شيء مخصوص فليلزمه

الاعراب : لكن أداة استدراك ملغاة لا عمل لها يقول فعل مضارع البعض فاعل ومن متأخرى الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من البعض وعزلة مبتدأ مضاف الى اسم الاشارة اضافة على معنى في الظرفية والزمان بدل أو عطف بيان مفضلا خبر يكون مقدرة إذ تعليلية ونادر خبر مقدم وخلو عافل مبتدأ مؤخر وحقا مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أحقه حقا أو منصوب باسقاط الخافض بمعنى يقينا وعن حوبة متعلق بخلو أى خلو عافل عن حوبة أى خطيئة وإنه نادر باليقين فانظر الفاء للتفريع وانظر فعل أمر ولنفسك متعلق بانظر وعاقلا حال أى فانظر أيها السالك في نفسك حال كونك عاقلا حتى تلزم ما ينفعك وتترك ما يضرك :

(كل المعاصي كالريا وكغيبة * أو نحو ذلك باختلاطك حصلا)

يعنى أن كل المعاصي مثل الرياء والغيبة ونحوهما تحصل باختلاطك بالناس واذا كان الاختلاط هو السبب في الوقوع في المعاصي كانت العزلة مفضلة عليه وهذا باعتبار الغالب فلا ينافي التفضيل الذي مر بيانه ولله در القائل :

لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا * لأخذ العلم أو اصلاح حال

الاعراب : كل مبتدأ وهو مضاف للمعاصي وكالرياء خبر لمبتدإ محذوف وكغيبة معطوف على كالرياء أو نحو معطوف على الرياء وهو مضاف لاسم الاشارة وباختلاطك متعلق بحصل وحصل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل يعود على كل والجملة خبره والألف للاطلاق

ومنها حفظ الأوقات

أى ومن الوصايا التسع حفظ الأوقات اى صرفها في الطاعات كما سيذكره ولما كان استغراق الأوقات في الطاعة مما يبعثك على التركة عن الناس والتفرد ويهون ذلك عليك ويسهله لك ذكره عقب العزلة :

(واصرف الى الطاعات وقتك كله * لا تتركن وقتا سدى متساهلا)

يعنى يجب عليك أن تصرف وقتك كله في الطاعات وأن تترك فضول الكلام وكل ما لا يعنيك قال عليه السلام من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فاذا رأيت نفسك تتطلع الى كلام الناس وملاقاتهم من غير حاجة وضرورة فاعلم أن ذلك فضول ساقه اليك الفراغ والبطر فاذا لزمت العبادة وجدت

(لكن يقول البعض من متأخر الخ * فضلاء عزلة ذا الزمان مفضلا اذ نادر حقا خلو عافل * عن حوبة فانظر لنفسك عاقلا
كل المعاصي كالريا وكغيبة * أو نحو ذلك باختلاطك حصلا) قال الغزالي وينبغي أن تزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها وهي فوائد العزلة وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة فقد حكى عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة أو زيارة القبور وبعضهم فارق الأمصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل (قوله يقول البعض الخ) أى ذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثورى وابراهيم ابن أدهم وداود الطائى وفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشى وبشر الحافى وبعضهم اختار المخالطة واستكثار المعارف والاخوان والتألف والتحبب الى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى (قوله مفضلا) خبر تكون المقدر والجملة خبر المبتدإ وقوله نادر خبر مقدم وقوله حقا مفعول مطلق لفعل محذوف أى أحقه حقا وقوله خلو مبتدأ مؤخر وقوله عافل بالصرف للوزن (قوله حوبة) بفتح الحاء المهملة أى خطيئة كما في المصباح (قوله حصلا) بالبناء للمفعول والجملة خبر المبتدإ والألف للاطلاق (ومنها) أى الوصايا التسعة (حفظ الأوقات) بتوزيعها في الأوراد من الصباح الى المساء : (واصرف إلى الطاعات وقتك كله * لا تتركن وقتا سدى متساهلا

حلاوة المناجاة واستأنست بكتاب الله واشتغلت عن الخلق واستوحشت من صحبتهم وكلامهم ويجب عليك أن لا تترك أوقاتك سدى أى مهملة متساهلا فيها لأنك إن تركتها كذلك تمر كالبهائم لاتدرى ما تشتغل به فينقضى أكثر أوقاتك ضائعا فيتحسر انا ما حينما فات أوقاتك عمرك رأس مالك وعليه تجارتك وبه وصولك الى النعيم المؤبد فى جوار الله تعالى فكل نفس من أنفاسك جوهر لاقيمة له وإذا فات لا عود له فينبغى أن لا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح فانهما رفيقاك يصحبانك فى القبر حيث يتخلف عنك أهلك ومالك وأولادك وأصدقاؤك

الاعراب : واصرف فعل أمر الى الطاعات متعلق به وقتك مفعول به وكله توكيد له لاتتركن لا ناهية والفعل مجزوم بها محلا مبنى على الفتح والفاعل مستتر تقديره أنت وقتا مفعول أول لتتركن لأنه بمعنى تصير وسدى مفعوله الثانى أى لا تصير وقتك سدى أى مهملا من غير عبادة ومتساهلا حال من فاعل الفعل ومتعلقه محذوف أى فيه وذكر هذه الجملة أعنى لاتتركن الخ بعد ما قبلها للتأكيد اشارة الى كمال الاهتمام بصرف الأوقات الى الطاعات

(وتصير أوقات المباح بنية * مصروفة فى الخير فاصح بلا اتلا)

هذه الجملة واقعة فى جواب سؤال ناشئ مما قبله تقديره كيف تأمرنا بصرف جميع الأوقات فى الطاعات مع أن ذلك لايتأتى إذ لابد لنا من فعل المباح كأكل وشرب ونوم وغير ذلك . وحاصل الجواب أن ذلك يتأتى بالنية إذ كل مباح ينقلب طاعة بها كما قال ابن رسلان :

لكن اذا نوى بأكله القوى * لطاعة الله له ما قد نوى

فاذا نويت بالأكل والشرب التقوى على العبادة لا الاستلذاذ وبالنوم دفع الملل والسآمة فى العبادة لا إراحة النفس وبالمضاجعة مع حليلتك قضاء حقها المتعين فى الشرع وبالجماع تحصين دينك وتكثير أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انقلب ذلك طاعة تثاب عليها . واعلم أنه يتضاعف العمل الواحد بقدر النيات فيه كجلوس فى المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة والخلوة عن شواغل القلب والعزلة عن الناس والذكر وقراءة القرآن ونية حفظ السمع والبصر واللسان عما لايعنيه وعمارة للمسجد بالذكر فينبغى للانسان أن يستحضر عند كل عمل النيات الصالحة فيه لأجل المضاعفة . وقد حكى أن العبد يأتى يوم القيامة ومعه حسنات كأمثال الجبال فينادى مناد من كان له عند فلان حق فليأت له وليأخذ حقه منه فيأتى الناس فيأخذون حسناته حتى لم يبق له حسنة فيصير حيران فيقول الله تعالى له إن لك عندى كنزا لم يطلع عليه أحد من خلقى فيقول يارب وما هو فيقول نيتك التى كنت تنوى بها الخير كتبتها لك عندى سبعين ضعفا وروى بعضهم فى المنام بعد موته فقيل له مافعل الله بك قال غفر لى ورفع درجاتى فقيل له بماذا ؟ فقال شيخنا يتأملون بالجود لا بالركوع والسجود ويخلون بالنية لا بالحسنة ويغفر لهم بالفضل لا بالفعل

الاعراب : وتصير فعل مضارع من صار الناقصة وأوقات اسمها والمباح مضاف اليه وبنية متعلق بتصير أو بما بعده ومصروفة خبر تصير وفى الخير متعلق بمصروفة فاصح الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر واصح فعل أمر مجزوم بحذف الواو والضمة قبلها دليل عليها وبلا اتلا الباء جارة ولا اسم بمعنى غير نقل اعرابها الى مابعدها لكونها على صورة الحرف وهى مضاف واتلا مضاف اليه والجار والمجرور متعلق باصح أى اذا عرفت أن أوقات المباح تصير بالنية مصروفة فى الخير فاصح أى تنبه لتحصيل النية الحسنة من غير تقصير فيها

وتصير أوقات المباح بنية مصروفة فى الخير فاصح بلا اتلا

(وزّع بعون الله وقتك واصرفن * كلا بما هو لائق متبتلا) أى وزع أوقاتك على أنواع العبادات ولا تجعل وقتك مهملا من غير عبادة حال كونك متساهلا فى وقتك فتصير كالبهائم لاتدرى بماذا تشتغل فيذهب أكثر أوقاتك ضائعا فقد خسرت خسرانا مبينا فينبغى أن تصرف وقتك فى نفع الناس بعلمك فى تدريس أو مطالعة الكتب فان أمكنك استغراق الأوقات فى ذلك فهو أفضل ماتشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها هذا ان كنت عالما وان كنت متعلما فاشتغل بطلب العلم النافع فى الدين فحضورك جالس العلم أفضل من اشتغالك بالأوراد والنوافل ثم تصرف وقتك فى وظائف العبادات كالصلوات النافلة وقراءة القرآن والذكر والتسبيح ثم تصرفه فيما هو إعانة للمسلمين وادخال سرور فى قلوبهم ثم تصرفه على الكسب مع مواظبة قراءة القرآن أو الذكر أو التسبيح ومع قصد التصدق بما فضل عن حاجتك فذلك أفضل من مجرد الأذكار لأن الكسب على هذه النية عبادة لك فى نفسه تقربك الى الله تعالى وتنجلب اليك بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر فان المباح يصير بحسن النية طاعة كما أن الطاعة تصير بسوء النية سيئة (قوله لاتتركن) من أفعال التصيير فيتعدى لمفعولين وقوله وقتا مفعول أول وسدى مفعول ثان وذلك كقوله تعالى - وتركنا بعضهم يومئذ (٤٣) يموج فى بعض - أى جعلنا بعض يأجوج ومأجوج يوم القيامة يختلط ببعض (قوله متساهلا) حال من الضمير المستتر فى تتركن وقوله بنية متعلق بقوله مصروفة وهو على حذف الصفة أى بنية حسنة والباء للسببية أو متعلق بمحذوف فى محل نصب حال من المباح والباء للملابسة (قوله مصروفة) خبر تصير أى راجعة (قوله فاصح بلا انتسلا) بضم الحاء أى تنبه لهذه النية الحسنة حال كونك ملتبسا بلا تقصير فيها ويتضاعف أجر العمل بقدر النيات فيه كما اذا جلس فى المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة والخلوة عن شواغل القلب والعزلة عن الناس والذكر وقراءة القرآن ونية حفظ السمع والبصر واللسان عما لا يعنيه وعمارة المسجد بالله كرفانه لا يكون كمن جلس لأحدها فقط . وحكى عن بعض فضلاء الصوفية أنه كان مريضا فدخل عليه بعض اخوانه يعوده فقال لهم : انووا بنا حجا انووا بنا و بالطاعة وعد دلهم أنواعا من البر فقالوا له كيف ذلك وأنت على هذه الحالة ؟ فقال إن عشنا وفينا وان متنا حصل لنا أجر النية .

وروى بعضهم فى النوم بعد موته فقيل له مافعل الله بك ؟ قال غفر لى ورفع درجاتى فقيل له بماذا ؟ فقال ههنا يعاملون بالجود لا بالركوع والسجود ويعطون بالنية لا بالخدمة ، يغفر لهم بالفضل لا بالعمل ، ذكر ذلك كله ابراهيم الشبرخيتى فى الفتوحات الوهبية (قوله وزع وقتك) أى قسمه وفرقه فان الاجتهاد فى العمل لا يحصل الا بذلك . (قوله واصرفن كلا بما هو لائق) أى أجرين كل الوقت بما هو مناسب بالوقت ومتعلق بك كما فى المباح والصحاح (قوله متبتلا) أى منقطعا الى الله تعالى عن الدنيا الا بقدر اللمبتة :

(فلما بدا لجر فصل تختما * متدبرا لقراءة ومكملا)

(وَزِّعْ بِعَوْنِ اللهِ وَقْتَكَ وَاصْرِفَنْ * كُلًّا بِمَا هُوَ لَائِقٌ مُتَبَتِّلَا)

لما أمر أولا بصرف جميع الأوقات فى الطاعات ذكر ما يعين على ذلك فقال وزع الخ يعنى وزع أوقاتك وفصلها وحددها واصرف كل وقت فى طاعة معينة ورتب الأوراد والوظائف عليك وعين لكل وقت شغلا لا يتعداه والسبب فى الأمر بتوزيع الأوقات الى الطاعات أن النفس اذا وردت على نمط واحد من الطاعات أظهرت الملل والاستثقال لكونها مجبولة على السآمة فكان من اللطف بها أن تروح بالنقل من نوع الى نوع آخر بحسب كل وقت لتزيد لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغى أن يستغرق جميع الأوقات أو أكثرها فان النفس مائلة بطبعها الى ملاذ الدنيا . قال الامام الغزالى فى الاحياء من أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق جميع أوقاته بالطاعة ومن أراد أن ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب فى الطاعة أكثر أوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره خطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله أى يغفر له بجوده وكرمه .

الاعراب : وزع فعل أمر والفاعل ضمير تقديره أنت وبعون الله متعلق بوزع ووقتك مفعوله واصرفن فعل أمر مبنى على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التى أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة وكلا مفعوله وبما متعلق باصرفن وجملة هو لائق صلتها ومتبتلا حال من فاعل اصرفن أى اصرفنه حال كونك متبتلا أى منقطعا الى الله بالكلية :

(فَاذَا بَدَا لِجْرٍ فَصْلَ تَخَتُّمًا * مُتَدَبِّرًا لِقِرَاءَةٍ وَمُكَمِّلَا)

(واجهد لتحضر فى صلاتك قلبكا * جهدا بليغا كى تنال فضائلا   لاتنس أن الله ناظر قلبكا * وحضوره وشهوده لك فايجلا)

أى اذا ظهر فجر صادق فصل" صلاة الفجر سنتها وفرضها حال كونك متحملا لمشقة الخشوع أى إقبال القلب وحال كونك متأملا للمعانى القراءة بطريق الاجمال فلاتبالغ فى ذلك بل تتصور المعانى إجمالا كذا قاله عطية وحال كونك مكملين لصلاتك باتمام الأركان والشروط والأبعاض والهيآت ويسن أن يفصل بين سنة الفجر وفرضها باضطجاع لأجل تذكر ضجعة القبر أول النهار ليكون باعثاله على أعمال الآخرة ويقول حال اضطجاعة اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ورب محمد صلى الله عليه وسلم أجرنى من النار ثلاث مرات وجد" فى إحضار قلبك فى الصلاة جدا مترقيا الى أعلى نهايته لتنال فضائل كثيرة لأن حضور القلب برفع الحجاب لمن صلى بلا حضور القلب فهو لاه كما قاله عمر السهروردى ولا تنس فى صلاتك أن الله ناظر لقلبك ولا تنس حضوره تعالى عندك وشهوده اى اطلاعه عليك فان هذا التذكر إعانة على المراقبة وهو دوام اشتغال القلب واستغراق الأعضاء مع الله تعالى (قوله فايجلا) فعل أمر بقلب الواو ياء لكسرة الهمزة التى قبل الواو كذا فى الصحاح لكن يقرأ هنا بادماج الهمزة وسكون الياء للوزن مع أن الهمزة همزة وصل . والمعنى خف الله أى كخوفك من بعض ملوك الزمان قال عمر السهروردى ومثل فى صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك فان القلب اذا شغل بذكر الآخرة تنقطع عنه الوسوسة فيكون هذا التمثيل مداويا للقلب بدفعها . وحكى أن الله تعالى أوحى الى بعض الأنبياء فقال اذا دخلت الصلاة فهب لى من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فانى قريب انتهى .

هذا تفصيل وشرح للبيت السابق يبين به كيفية توزيع الأوقات وصرفها فى الطاعات . والمعنى اذا ظهر الفجر أى الصادق فصل سنة الصبح وفرضه حال كونك متخشعا متدبرا لما تقرؤه فى صلاتك أى متأملا فى معانيه مكملا لها بأن تأتى بجميع السنن والهيآت والآداب والتخشع تكلف الخشوع وقد اختلفوا فى تفسيره فقيل هو غض البصر وخفض الصوت وقيل أن لا يلتفت المصلى يمينا وشمالا وقيل أن لا يعرف من عن يمينه ولا من يساره وقيل هو جمع الهيبة والاعراض عما سوى الصلاة وهذا الأخير هو التحقيق لأنه عبارة عن عمل الجوارح وعمل القلب فيكون المصلى خاشعا بقلبه بأن لا يحضر فيه غير ما هو فيه و بجوارحه بأن لا يعبث بواحد منها . واعلم أنه مما يحصل الخشوع استحضاره أنه بين يدى ملك الملوك الذى يعلم السر وأخفى وأنه يناجيه وأنه ربما تجلى عليه اذا لم يخشع بصفة القهر فرد عليه صلاته وعاقبه .

الإعراب : فما كان الفاء فاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر أى اذا أردت كيفية توزيع الأوقات وتفصيلها فى الطاعات فأقول لك اذا بدا الفجر الخ واذا ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه وبدا فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر وفجر فاعل فصل الفاء واقعة فى جواب اذا وصل فعل أمر مبنى على حذف الياء والكسرة قبلها دليل عليها وتخشعا منصوب على الحال بتأويله باسم الفاعل أى متخشعا أو منصوب باسقاط الخافض أى بالتخشع متدبرا حال ثانية على الأول ولقراءة متعلق به ومكملا معطوف على متدبرا :

(وَاجْهَدْ لِتُحْضِرَ فِى صَلَاتِكَ قَلْبَكَا * جَهْدًا بَلِيغًا كَىْ تَنَالَ فَضَائِلَا)

يعنى اجتهد وابذل الوسع فى صلاتك اجتهادا بليغا لأجل أن تحضر قلبك فيها فتنال بذلك الفضائل قال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وعن الحسن البصرى أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع وقال النيسابورى الصلاة أربعة أشياء حضور وشهود وخضوع وخشوع فالحضور بالنفس فمن لم يحضر بالنفس فهو ساه ومن لم يشهد بالقلب فهو لاه ومن لم يخضع بالأركان فهو واه ومن لم يخشع بالسر فهو مضاه قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون وقد أنشد الشيخ أبو حيان فى ذم من ينتمى الى الفلاسفة فقال :

وَمَا انْتَسَبُوا الَى الاسْلَامِ الَّا * لِصَوْنِ دِمَائِهِمْ أَنْ لَا تُسَالَا

فَيَأْتُونَ الْمَنَاكِرَ فِى نَشَاطٍ * وَيَأْتُونَ الصَّلَاةَ وَهُمْ كُسَالَى

الاعراب : اجهد فعل أمر لتحضر اللام لام الأمر وتحضر بضم الأول وكسر الثالث فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا وفى صلاتك تنازعه كل من اجهد وتحضر وقلبك مفعول بتحضر وجهدا مفعول مطلق لاجهد وبليغا صفة له وكى مصدرية ناصبة للفعل المضارع بعدها وفضائلا مفعول الفعل والألف للإطلاق . ثم ذكر الناظم ما يعين على حضور القلب فى الصلاة فقال :

(لَاتَنْسَ أَنَّ اللهَ نَاظِرُ قَلْبِكَا * وَحُضُورَهُ وَشُهُودَهُ لَكَ فَايْجَلَا)

أى اذا قمت الى الصلاة فلا تنس أن الله ناظر الى قلبك ومطلع عليك وأنه حاضر مشاهد لك وقوله فايجلا

أي خف من الله أن يرى قلبك غافلا في صلاتك فانه بئس الصنيع (لطيفة) حكي عن شخص من أشياخ الطريقة أنه صلى من الليل ركعات ثم نام فرأى قصرا عظيما مشيدا عاليا فأعجبه ذلك القصر فقال ليت شعري لمن هذا القصر فقيل له انه لك وانه ثواب ركعاتك البارحة فمشى حوله فوجد منه نحو شرافتين قد سقطتا فقال لو كانتا عليه لكان أحسن فقيل انهما كانتا عليه ولكنك التفت وأنت تصلي فسقطتا . وحكي عن رابعة العدوية رضي الله عنها أنها أتت بركعات من الليل ثم نامت فرأت شجرة حسنة المنظر طيبة الرائحة خضرة الاوراق باسقة الفروع عليها ثمر كثدي الابكار يلمعن في الضحى كالشموس وفي الدجى كالاقمار فأعجبتها فقالت ليت شعري لمن هذه الشجرة فقيل لها انها لك وانها ثواب ركعاتك اللاتي صليتهن البارحة فدنت منها ومشت تحتها فوجدت قد تساقط منها ثمرة كلون الذهب الابريز فقالت لو كانت هذه الثمرة الساقطة عليها كان أحسن فقيل لها انها كانت عليها لكنك تفكرت وأنت في الصلاة في العجين هل اختمر أم لا فتساقطت هذه من عليها .

الاعراب : لا ناهية وتنس فعل مضارع مجزوم بها وان حرف توكيد ونصب ولفظ الجلالة اسمها وناظر خبرها وهو مضاف الى قلبك والمصدر المؤول من ان واسميها مفعول تنس وحضوره بالنصب معطوف على المصدر المؤول وشهوده معطوف عليه ولك متعلق به فاجلا الفاء للفصيحة أو للتفريع واجلا فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتي بها لاجل نون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفا :

(لا تتركن جماعة قد فضلت * بالسبع والعشرين من فضل علا)

(ولم التعلم ان تكن تتساهل * في مثل هذا الربح أخسر أجهلا)

لما كانت الجماعة في الصلاة من أهم ما تطلب فيها لما ورد فيها من الثواب الجزيل وفي تركها من الوعيد الشديد صرح بالنهي عن تركها فقال لا تتركن الخ يعني لا تترك الجماعة في المكتوبات الخمس لأن الصلاة مع الجماعة تفضل على صلاة الفذ أي المنفرد بسبع وعشرين درجة وقيل بخمس وعشرين درجة كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام وقال صلى الله عليه وسلم ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الجماعة الا استحوذ عليهم الشيطان أي غلب فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية رواه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم وقال صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كان أكثر فهو أحب الى الله رواه أبو داود وغيره وصححه ابن حبان وغيره . وقال بعض السلف اذا قامت الجماعة نظر الله الى قلب الامام ان كان فيه خير رضي عنهم وقبل صلاتهم وغفر لهم وان لم يكن فيه خير نظر الى قلوب المأمومين فان كان فيهم من في قلبه خير رضي عنهم وقبل صلاتهم وان لم يكن فيهم من في قلبه خير نظر الى اجتماعهم في الصلاة والى قيامهم بين يديه فيرضى عنهم ويتقبل صلاتهم ويغفر لهم وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله مدينة في الجنة يقال لها مدينة الجلال وفيها قصر يقال له قصر العظمة وفيه بيت يقال له بيت الرحمة وفيه أربعة آلاف سرير وعلى كل سرير أربعة آلاف حوراء وفيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قيل يارسول الله لمن هذا قال لمن صلى الصلوات الخمس في الجماعة (قوله ولم التعلم الخ) أي ولأي شيء التعلم للعلم ان تكن تتساهل في مثل هذا الربح الكثير الذي هو فائدة رأس مال تجارة الآخرة وذلك لأنه لا فائدة لك في طلب العلم الذي تزعم أنك حريص على اقتباسه فانما ثمرة العلم النافع العمل به ومن أفضله صلاة الجماعة في المسجد فان تعذرت ففي بيتك لاسيما مع أهلك تحصيلا لثوابها لهم وتمرينا لهم عليها (ظريفة) وحكى أن رجلا أعمى كان ملازما لصلاة الجماعة فيأتيها من غير قائد يقوده فوقع

(لا تتركن جماعة قد فضلت بالسبع والعشرين من فضل علا ولم التعلم ان تكن تتساهل في مثل هذا الربح أخسر أجهلا) أي لا تترك الصلاة مع الجماعة فهي قد فضلت على صلاة المنفرد بسبع وعشرين صلاة لاسيما الصبح والعشاء قال صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وقال أيضا من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة وقال أيضا من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة فان كنت تتساهل في مثل هذا الربح وهو فضيلة الجماعة فأي فائدة لك في طلب العلم وانما ثمرة العلم العمل به (قوله من فضل) تمييز للسبع والعشرين وقوله علا فعل ماض وفاعله عائد الى فضل والجملة صفة له (وقوله ولم التعلم) بحذف الألف الاستفهامية لانه اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية وجب حذف ألفها فرقا بينها وبين غيرها والتعلم مبتدأ مؤخر أي والتعلم للعلم لأي شيء أردت بذلك (قوله أخسر أجهلا) خبران لتكن

يوما في الطريق فشجت رأسه فحمل الى داره فقالت له زوجته يا هذا ان صلاة الجماعة غير واجبة عليك وأنت على تلك الحالة فقال لها ان كان الله تعالى قد أخذ نور بصري فقد أبقى على نور قلبي فلا أنقطع عن الجماعة فنام تلك الليلة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له لم تشاجرت مع زوجتك فقال من أجل اتباع سنتك يارسول الله فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة على عينيه فعاد بصيرا ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وبركة سنته اللهم وفقنا لصلاة الجماعة وغيرها من الطاعات وجنبنا التخلف عنها واحفظنا من السيئات آمين .

الاعراب : لاتتركن لاناهية وتتركن فعل مضارع مؤكد بالنون الثقيلة مبني على الفتح في محل جزم والفاعل مستتر وجماعة مفعوله قد فضلت قد للتحقيق والجملة من الفعل ونائب الفاعل في محل نصب صفة لجماعة وبالسبع متعلق بفضلت والعشرين معطوف على السبع والمعطوف على المجرور مجرور وعلامة جره الياء المكسور ماقبلها لانه ملحق بجمع المذكر السالم ومن فضل تمييز للعدد أي بسبع وعشرين فضلا أي ثوابا ودخول من على تمييز العدد غير جائز قال ابن مالك * واجرر بمن ان شئت غير ذي العدد * فلا تقول عندي عشرون من رجل وذلك لان التمييز يجر بمن البيانية وهي يشترط في مجرورها أن يصح الاخبار به ولا يصح ذلك في تمييز العدد لانه مفرد والمميز الذي هو العدد متعدد فلهذا أدخل من عليه للضرورة وعلا فعل ماض وفاعله ضمير يعود على فضل والجملة في محل جر صفة لفضل ويصح جعل من فضل متعلقا بفضلت أي فضلت من فضل الله بسبع وعشرين وعليه يكون تمييز العدد محذوفا أي درجة وكم الكلام جارة وما استفهامية حذفت ألفها لقول ابن مالك :

وما في الاستفهام ان جرت حذف * ألفها وأولها الها ان تقف

والجار والمجرور خبر مقدم والتعلم مبتدأ مؤخر ان تكن ان شرطية وتكن فعل الشرط وجواب الشرط محذوف يدل عليه ماقبله والتقدير فالتعلم لماذا وتتساهل فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والجملة خبر تكن وفي بعض النسخ متساهلا بصيغة اسم الفاعل وعليه يكون خبرا مفردا لتكن وفي مثل متعلق به وهو مضاف لاسم الاشارة والربح بدل أوعطف بيان من اسم الاشارة وأخسر أجهلا حالان من فاعل تتساهل وهي لازمة أي تتساهل حال كونك أخسر وحال كونك أجهل :

(ثم اشتغل بالورد لاتتكلمن * مستقبلا ومراقبا ومهللا
بطريقة معهودة لمشايخ * لترى بها نارا ونورا حاصلا
فيضي موجه القلب بالنور الجلي * ويصير مغموم الطبائع زائلا
فتصير أهلا للمشاهدة التي * هي نعمة عظمى فصر متأهلا)

يعني ثم اذا فرغت من صلاة الصبح مراعيا للآداب المتقدمة فاشتغل بالورد من الأذكار والتسبيح والأدعية والآيات التي وردت في فضلها الى طلوع الشمس قال عليه السلام من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة قال حجة الاسلام الغزالي ان هذا الوقت أعني ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله تعالى «فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» وقوله عزوجل «ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى» وقوله تعالى «واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا» واذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي أن تكون وظيفته الى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر وكيفية ترجع الى فنين أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة

للقدر الواقع جوابا للشرط

(ثم اشتغل بالورد لا تتكلمن
مستقبلا ومراقبا ومهللا
بطريقة معهودة لمشايخ
لترى به نارا ونورا حاصلا
فيضي موجه القلب بالنور الجلي
ويصير مغموم الطبائع زائلا .
فتصير أهلا للمشاهدة التي
هي نعمة عظمى فصر متأهلا) .

أي ثم بعد صلاة الصبح اشتغل بالورد ولا تتكلم الى طلوع الشمس حال كونك مستقبل القبلة وحال كونك مراقبا كما قال أبو مدين في الحكم لايكمل العبد . الأ بالاخلاص والمراقبة أي لان كمال العبد بكمال العبودية ولا تكمل العبودية الابالاخلاص التام في خدمة مولاه ولا يحصل

الاخلاص إلا بكمال المراقبة وهى دوام ذكر القلب بنظر الله اليه وحال كونك قائلا لا إله الا الله بعد أداء الورد بطريقة معروفة لمشايخ الطريقة لترى بسبب الاتيان بالتهليل على طريقة المشايخ نارا بسبب وصول حرارة التهليل الى القلب فلذلك قال القوم إن من الآداب المؤكدة للذكر عدم شرب الماء عقب التهليل أو أثنائه لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجليات والواردات وشرب الماء يطفئ تلك الحرارة وأقله أن يصبر نحو نصف ساعة فلكية وكلما كان أكثر كان أحسن ولترى أيضا نورا حاصلا من ذلك فتضىء بصيرة القلب بالنور الظاهر وتصير الطبائع المذمومة زائلة عن النفس فتصير أنت مستحقا للمشاهدة التى هى نعمة عظيمة فصر قابلا لاستحقاقها والمشاهدة هى أن يكون فى حال العبادة مثل حال من رآه تعالى قال صلى الله عليه وسلم من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة وقال صلى الله عليه وسلم لأن أقعد فى مجلسى أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب ﴿فائدة﴾ قال السهروردى وينبغى أن يلازم موضعه الذى هو فيه أى حال صلاة الفجر الا أن يرى انتقاله أسلم لدينه لئلا يحتاج الى حديث أو التفات الى شىء فان السكوت فى هذا الوقت وترك الكلام له أثر ظاهر بين يجده أهل المعاملة وأرباب القلوب وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك ثم يقرأ الفاتحة وأول سورة البقرة الى المفلحون والآيتين وهما وإلهكم إله واحد وآية الكرسى والآيتين بعدها وآمن الرسول والآية قبلها وشهد الله وقل اللهم مالك الملك وإن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض الى المحسنين ولقد جاءكم رسول الى الآخر وقل ادعوا الله الآيتين وآخر الكهف من إن الذين آمنوا وذا النون إذ ذهب مغاضبا الى خير الوارثين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وسبحان ربك الى آخر السورة ولقد صدق الله وأول سورة الحديد الى بذات الصدور وآخر سورة الحشر من لو أنزلنا ثم يسبح ثلاثا وثلاثين وهكذا يحمد مثله ويكبر مثله ويتمها بلا إله الا الله وحده لا شريك له فاذا فرغ من ذلك يشتغل بتلاوة القرآن حفظا أو من المصحف أو يشتغل بأنواع الأذكار ولا يزال كذلك من غير فتور ونعاس فان النوم فى هذا الوقت مكروه جدا فان غلبه النوم فليقم من مصلاه قائما مستقبل القبلة فان لم يذهب النوم بالقيام يخط خطوات نحو القبلة ويتأخر خطوات كذلك ولا يستدبر القبلة فى ادامة استقبال القبلة وترك الكلام والنوم ودوام الذكر فى هذا الوقت أثر كبير وبركة

بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ثم يرتب وظائفه فى يومه الذى بين يديه ويدبر فى دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه خلل من أعماله ليصلحه ويحضر فى قلبه النيات الصالحة من أعماله فى نفسه وفى معاملته للمسلمين . الفن الثانى فيما ينفعه فى علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة فى نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها وفى عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الاله واستغنائه ويزيد خوفه منها ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين أحدهما زيادة للمعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثانى زيادة المحبة إذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة اهـ ملخصا وقوله لا تتكلمن الخ بيان لكيفية اشتغاله بالورد أى وكيفيته أن لا تتكلم فى هذا الوقت وأن تكون مستقبلا للقبلة ومراقبا والمراقبة علم القلب بنظر الله اليك ومهللا أى قائلا لا إله الا الله على الطريقة أى الكيفية المعهودة للمشايخ نفعنا الله بتراب أقدامهم وأمدنا بمددهم وذلك لأن للذكر طرقا كثيرة وكيفيات عديدة عند المشايخ منها أن يبدأ بقول لا إله من فم القلب كأنه يخرج منه ما سوى الله ويمد العنق والرأس الى الجانب الأيمن ثم الى الأيسر ويضرب بكلمة إلا الله على فم القلب كأنه يدخل فيه شيئا من أنوار الله تعالى ويجهر بصوت الربط وهو الضرب بكلمة التوحيد فى القلب اللحمى الصنوبرى ثم علل الاتيان بالتهليل على طريقة المشايخ بقوله ﴿لترى به نارا ونورا حاصلا﴾ فكأنه قال وائت بالتهليل على ما ذكر لأجل أن ترى نارا ونورا . والمراد بنار الذكر تخلى القلب من الكدورات النفسانية وبنوره تجلى القلب بالأنوار المستلزمة لصفاء الروح والأسرار والثانى تابع للأول فأولا تصل حرارة نار الذكر الى القلب وتحرق كل وصف ذميم فيه ثم يظهر فيه نور التجلى من حضرة المتجلى وهذا هو المراد بقوله فيضىء وجه الخ أى اذا حصل فى القلب نار الذكر ونوره يضىء وجه القلب أى ذاته بالنور الجلى أى الواضح الحاصل من تأثير نار الذكر ويصير مذموم الطبائع أى المذموم من الطبائع أى أوصاف الطبيعة زائلا عن النفس واذا الشمس قلبك الأوصاف الذميمة وتحلى بالأوصاف الحميدة زدت نورا على نور وصرت أهلا للمشاهدة التى هى نعمة عظيمة عليك فصر متأهلا لهذه النعمة العظيمة بمواظبتك على الذكر فعلى قدر المواظبة على الذكر بشرائطه تظهر النتيجة ﴿تنبيه﴾ قد علم مما تقرر أنه لا بد للمريد من ذكر وورد يواظب عليه لأن الذكر يكون كالمصباح فى يده يستضىء به

وتحصل الواردات فى قلبه بتفرد ذكره وورده قال سيدى الشيخ عبد الرحمن السقاف من لا له ورد فهو قرد ومن لبس له أذكار فليس بذكر ومن لا يطالع الأحياء ليس له حياء ومن لم يقرأ المهذب ما عرف المذهب ومن لا له أدب فهو ذنب ويتخذ المريد ما يأمره به شيخه من الأذكار واذا فقد الشيخ المرشد فالأذكار النبوية الواردة عن النبى ﷺ أفضل من غيرها ويكفى منها الورد اللطيف للقطب الحداد فان الأذكار التى فيه هى أمهات الأذكار المأثورة وكذا يكفيه تلاوة القرآن والصلاة على النبى ﷺ وذكر العلامة سيدى عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس نزيل مصر فى شرحه على صلاة سيدى أحمد البدوى فى كتابه المسمى مرآة الشموس فى مناقب آل العيدروس أنه بعدم المرشدين فى آخر الزمان يصير ما يوصل الى الله تعالى الا الصلاة على النبى ﷺ مناما ويقظة وأن جميع الأعمال منها المقبول ومنها المردود الا الصلاة على النبى ﷺ فانها مقطوع بقبولها اكراما له ﷺ وحكى اتفاق العلماء على ذلك .

الاعراب : ثم اشتغل ثم حرف عطف وهى للترتيب بتراخ واشتغل فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت وبالورد متعلق به لا تتكلمن لا ناهية وتتكلمن فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة والجملة مستأنفة لبيان كيفية اشتغاله بالورد كما يعلم من الحل السابق ومستقبلا حال من فاعل تتكلمن أو خبر لكن مقدرة ومراقبا معطوف عليه ومهللا معطوف على الأول أيضا وفى الكلام حذف أى ومسبحا وقارئا للقرآن بطريقة متعلق بمحذوف صفة لمصدر مهللا والباء بمعنى على أى مهللا بتهليل كائن على طريقة ومعهودة صفة لطريقة وللمشايخ متعلق بإسم المفعول لتقوى اللام لام كى وترى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعد لام كى وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر والفاعل مستتر تقديره أنت وبه متعلق بترى ونارا مفعول ترى وهى بصرية هنا فلا تطلب الا مفعولا واحدا ونورا معطوف على نارا أو حاصلا صفة لنورا فيضىء الفاء تفريعية ويضىء من أضاء فهو بضم الياء فعل مضارع ووجه فاعله والقلب مضاف اليه بالنور متعلق بيضىء الجلى صفته ويصير فعل مضارع من صار الناقصة ومنهوم اسم يصير والطبائع مضاف اليه ورائلا خبر يصير فتصير أهلا الفاء تفريعية أيضا وتصير فعل مضارع واسمها مستتر تقديره أنت وأهلا خبرها وللمشاهدة متعلق بأهلا والتى اسم موصول مبنى على السكون فى محل جر صفة للمشاهدة وجملة هى نعمة من المبتدأ والخبر صلة التى وعظمى صفة نعمة فصر متأهلا الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره واذا علمت ما مر جميعه فصر متأهلا أى فاستعد وتهيأ لهذه النعمة العظيمة وكل ذلك يحصل باشتغالك بالورد المذكور :

(حتى اذا شمس بدت كرميحنا * صل لاشراق وقرآنا تلا

حزبا فأكثر بانعاظ مع أدب * وحضور قلب خاشعا ومرتلا)

حتى تفريعية والمفرع عليه محذوف أى ولا يزال مشتغلا بالورد الى طلوع الشمس فاذا طلعت كرمح صلى ركعتى الاشراق بنية الاشراق يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية

غير قليلة وجدنا ذلك بحمد الله ويوصى به الطالبين وأثر ذلك فى حق من يجمع فى الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والنهار محل الافك فاذا أحكم أوله بهذه الرعاية فقد أحكم بنيانه وتنبنى أوقات النهار جميعا على هذا البناء فاذا قارب طلوع الشمس يبتدئ بقراءة المسبعات وهى من تعليم الخضر عليه السلام ابراهيم التيمى وذكر أنه تعلمها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وينال بالمداومة عليها جميع الفرق فى الأذكار والدعوات وهى عشرة أشياء سبعة سبعة الفاتحة والمعوذتان وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسى وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والصلاة على النبى وآله ويستغفر لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات ويقول سبعا اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رءوف رحيم روى أن ابراهيم التيمى لما قرأ هذه بعد أن تعلمها من الخضر رأى فى المنام أنه دخل الجنة ورأى الملائكة والأنبياء وأكل من طعام الجنة قيل انه مكث أربعة أشهر لم يطعم فاذا فرغ من المسبعات أقبل على التسبيح والاستغفار والتلاوة الى أن تطلع الشمس قدر رمح ثم يصلى ركعتين قبل أن ينصرف من مجلسه انتهى كما قال الناظم (حتى إذا شمس بدت كرميحنا * صل لاشراق وقرآنا تلا ولا حزبا فأكثر بانعاظ مع أدب * وحضور قلب خاشعا ومرتلا) أى فاذا ظهرت الشمس وارتفعت قدر رمح وهو مقدار سبعة أذرع أو قدر نصفه كما فى الاحياء وكما أشار الى ذلك الناظم بقوله كرميحنا بصيغة التصغير صل ركعتين لاشراق أى بنية صلاة الاشراق يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة الله نور السموات والأرض الى بكل شىء عليم وفى الثانية فى بيوت أذن الله أن ترفع الى بغير حساب نقل ذلك الشيخ عبد العزيز عن

الرسالة القدسية للشيخ زين الدين الحوافي وقال السهروردي في عوارف المعارف وتكون نيته في هاتين الركعتين الشكر لله على نعمه في يومه وليلته وأحب أن يقرأ فيهما في الأولى آية الكرسي وفي الأخرى آمن الرسول والله نور السموات والأرض إلى آخر الآية ثم بعد الصلاة يقرأ قرآنا قدرا ورداً قابلاً لموعظته متأدباً بأن يصون يده حال القراءة

ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم — وفي الثانية — في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب — واختلفوا هل صلاة الاشراق هي صلاة الضحى أو غيرها ذهب بعضهم إلى الأول وبعضهم إلى الثاني وعليه جرى الناظم لأنه ذكر هنا صلاة الاشراق وسيذكر صلاة الضحى ثم إذا فرغ من الصلاة المذكورة تلا قرآنا حزبا واحدا أو أكثر فهو مخير في ذلك وتكون قراءته باتعاظ بها ولا يحصل إلا بالتدبر فيها قال سيدنا علي كرم الله وجهه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وتكون أيضا مع الأدب فيها بأن يصون جوارحه من العبث حال القراءة ويكون على طهارة مستقبلا للقبلة وأن يلبس أنظف ثيابه وأن يتعمم ويتطيلس وأن يكون مع حضور القلب بحيث يبعد عنه حديث النفس وأن يكون خاشعا كأنه قرأ على الله وهو ناظر إليه ومستمع منه أو كأن الله يتكلم معه ويخاطبه بإنعامه وإحسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وأن يقرأ مرتلا قراءته لأن الترتيل يعين على التدبر وهو تبيين الحروف وفصل كل عن أختها وإخراج كل حرف من مخرجه والوقف في محله.

الاعراب: حتى تفريعية كما علمت وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان وشمس فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور وجملة بدت مفسرة لا محل لها كرمح حال متعلق بمحذوف أي بدت الشمس وارتفعت كرمح أي قدر رمح وهو مقدار أربعة أذرع ورميح تصغير رمح وصلى جواب إذا وهو فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على مريد الآخرة وللاشراق متعلق بصلى وقرآنا مفعول مقدم لتلا وتلا فعل ماض وفاعله مستتر يعود على مريد الآخرة وحزبا بدل من قرآنا بدل بعض من كل والضمير الذي يشتمل عليه بدل البعض مقدر أي منه فأكثر الفاء عاطفة وأكثر معطوف على حزبا باتعاظ متعلق بمحذوف حال من فاعل تلا أي تلا حال كونه مصاحبا للاتعاظ ومع أدب متعلق بمحذوف حال ثانية من فاعل تلا وحضور قلب معطوف على أدب وخاشعا حال ثالثة من فاعل تلا أيضا وهم تلا معطوف عليها:

(ودواء قلب خمسة فتلاوة * بتدبر للمعنى وللبطن الخلا)
(وقيام ليل والتضرع بالسحر * ومجالسات الصالحين الفضلا)

لما ذكر فيما تقدم أنه إذا صلى الاشراق يقرأ قرآنا مشتملا على ما ذكر من الحضور وغيره ذكر هنا ما تتعين ملاحظته على تلاوته والمواظبة عليه وهو أنه من جملة أدوية القلب الخمسة فقال مصرحا به وبسائر الأدوية ودواء قلب خمسة الخ يعني أن دواء القلب أي أسباب صلاحه الذي إذا وجد وجد صلاح سائر الأعضاء كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام خمسة أشياء أولها تلاوة القرآن وثانيها إخلاء البطن وثالثها قيام الليل ورابعها التضرع وقت السحر وخامسها مجالسة الصالحين وقد نظمها بعضهم في قوله:

دواء قلبك خمس عند قسوته * فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره * كذا تضرع باك ساعة السحر

عن العبث وعينه عن تفريق النظر من غير حاجة ويكون على طهارة مستقبل القبلة ويجلس بوقار أي حسن هيئة وتكون ثيابه بيضاء نظيفة ويجلس متربعا إن شاء أو غير متربع وروى أن عبدالله بن مسعود كان يقرئ الناس في المسجد جاثيا على ركبتيه كذا في التبيان للامام النووي حاضر القلب من غير غفلة خاشعا كأنه يتكلم مع الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا مرتلا والترتيل كما قال علي كرم الله وجهه إخراج الحروف من مخارجها والوقوف في محله: قال السهروردي ثم بعد ذلك إن كان متفرغا ليس لمشتغل في الدنيا يشتغل بأنواع العمل من صلاة وتلاوة وذكر إلى وقت الضحى انتهى وهو إذا مضى من النهار قريب من ربعه: (ودواء قلب خمسة فتلاوة بتدبر المعنى وللبطن الخلا وقيام ليل والتضرع بالسحر ومجالسات الصالحين الفضلا) هذان البيتان مأخوذان من قول السيد الجليل ذي المواهب والمعارف إبراهيم الخواص رضي الله عنه دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وإخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين كذا في التبيان ونظم هذه الخمسة بعضهم من بحر البسيط فقال: دواء قلبك خمس عند قسوته * فدم عليها تفز بالخير والظفر * خلاء بطن وقرآن تدبره * كذا تضرع باك ساعة السحر

كذا قيامك جنح الليل أوسطه ❊ وأن تجالس أهل الخير والخبر

وزاد بعضهم سادسا وهو أكل الحلال قال وهو رأسها وقد قيل اذا صمت فانظر على طعام من تفطر فان الرجل ليأكل الأكلة فتنقل قلبه كالسم فلا ينتفع أبدا ، وانما كانت تلاوة القرآن العظيم من أدوية القلب لأنه ينشرح بها ويستنير ويحصل له الخشية والحزن لكن بشرط مراعاة الآداب السابقة واللاحقة قال الحسن البصري والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهب بن الورد نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره وانما كان خلاء البطن من الأدوية أيضا لأن فيه راحة القلب والسلامة من الطغيان والبطر وخفة البدن للعبادات ودفع الأمراض وفي الشبع أضدادها وقد ورد في مدح الجوع وذم الشبع أحاديث كثيرة ذكرها السيوطي في لباب الحديث منها قوله صلى الله عليه وسلم سيد العمل الجوع ومنها قوله عليه الصلاة والسلام الجوع مخ العبادة ومنها قوله عليه الصلاة والسلام أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق وقوله عليه السلام أقربكم مني يوم القيامة أكثركم جوعا وتفكرا وقوله عليه الصلاة والسلام من كثر طعامه كثر عذابه وقوله عليه السلام لا صحة مع كثرة النوم ولا صحة مع كثرة الأكل ولا شفاء بحرام وقوله عليه السلام ثلاثة تورث قسوة القلب حب النوم وحب الراحة وحب الأكل وقوله عليه السلام من شبع في الدنيا جاع يوم القيامة ومن جاع في الدنيا شبع يوم القيامة وسيذكر الناظم آفات الشبع بقوله آفات شبع الخ وسيأتي شرح ذلك إن شاء الله تعالى بأبسط مما هنا ، وانما كان قيام الليل من الأدوية أيضا لأنه مذهب كيد الشيطان وناه عن الاثم ودافع الداء عن الجسد ومرضي الرب ودأب الصالحين والمراد بقيام الليل فعل العبادة فيه بصلاة أو غيرها كما ذكره الصاوي في تفسير قوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل فقال المعنى قم للصلاة والعبادة قال الحبيب عبد الله الحداد في نصائحه : واعلم أن قيام الليل من أثقل شيء على النفس ولاسيما بعد النوم وانما يصير خفيفا بالاعتياد والمداومة والصبر على المشقة والمجاهدة في أول الأمر ثم بعد ذلك ينفتح باب الأنس بالله تعالى وحلاوة المناجاة له والتلذذ بالخلوة به عز وجل وعند ذلك لا يشبع الانسان من القيام فضلا عن أن يستثقله أو يكسل عنه كما وقع ذلك للصالحين من عباد الله حتى قال قائلهم ان كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه بالليل انهم لفي عيش طيب وقال آخر منذ أربعين سنة ما غمني شيء إلا طلوع الفجر وقال آخر أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم وقال آخر لولا قيام الليل وملاقاة الاخوان في الله ما أحببت البقاء في الدنيا وأخبارهم في ذلك كثيرة مشهورة وقد صلى خلائق منهم الفجر بوضوء العشاء رضي الله عنهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فعليك رحمك الله بقيام الليل وبالمحافظة عليه وبالاستكثار منه وكن من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما واتصف ببقية أوصافهم التي وصفهم الله بها في هذه الآيات الى آخرها وان عجزت عن الكثير من القيام بالليل فلا تعجز عن القليل منه قال الله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القرآن أي في القيام من الليل وقال عليه السلام عليكم بقيام الليل ولو ركعة وما أحسن وأجمل الذي يقرأ القرآن الكريم بالغيب أن يقرأ كل ليلة في قيامه بالليل شيئا منه ويقرأه على التدريج من أول القرآن الى آخره حتى تكون له في قيام الليل ختمة إما في كل شهر أو في كل أربعين أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب النشاط والهمة اه وانما كان التضرع في السحر من الأدوية أيضا لأنه وقت مناجاة الله والدعاء فيه أقرب الى الاجابة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعوني

فاستجيب

كذا قيامك جنح الليل أوسطه
وأن تجالس أهل الخير والخبر
وزاد بعضهم العزلة والصمت وترك الخوض في الناس
وزاد آخر أكل الحلال وهو رأس الكل فانه ينور القلب ويصلحه فتزكو بذلك الجوارح وتدرأ المفاسد وتكثر المصالح
(قوله والبطن) متعلق بالخلاء

فأستجيبَ له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفرَ له وإنما أفرده بالذكر وعدّه نوعا مخصوصا مع أنه مندرج فيما قبله لشرفه على غيره من بقية أجزاء الليل لما مر آنفا ولأن العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى. وإنما كانت مجالسة الصالحين من الأدوية أيضا لأنها تورث الاقتداء بهم في أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم وتدعو إلى أن لا يرضى لنفسه أن يقصر عنهم ولا أن يكون في الخير دونهم فتبعثه المنافسة على مساواتهم أو الزيادة عليهم فيصيرون سببا لسعادته وباعثا على استزادته والصالحون هم القائمون بحقوق الله وحقوق العباد

الإعراب: ودواؤه مبتدأ مضاف إلى قلب وخبره خمسة فتلاوة الفاء زائدة للقصر وتلاوة بدل من خمسة أو خبر لمبتدإ محذوف أي أحدها تلاوة بتدبر الباء بمعنى مع متعلقة بمحذوف صفة لتلاوة أي تلاوة كائنة مع تدبر المعنى وللبطن الواو عاطفة للبطن متعلق بالخلاء وهو معطوف على تلاوة أي والخلاء للبطن وقيام معطوف على تلاوة أيضا وهو مضاف لليل وكذا قوله والتضرع وبالسحر متعلق بالتضرع ومجالسات معطوف على تلاوة أيضا وهو مضاف للصالحين والفضلا بضم الفاء وتشديد الضاد المفتوحة صفة للصالحين وصفة المجرور مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر :

(والقارئ والحافظ يتخلق * بمحاسن الشيم الرضية مكملا)

لما وقع الكلام على قراءة القرآن ناسب أن يذكر ما ينبغي للقارئ أن يتخلق به ويتصف به حال القراءة فقال والقارئ والحافظ الخ يعني أنه ينبغي للقارئ والحافظ أن يتخلق بمحاسن الشيم أي الأخلاق الرضية التي بينها القرآن العظيم والسنة الشريفة التي أبرزها النبي الكريم

الإعراب: والقارئ الواو بحسب ما قبلها واللام لام الابتداء قارئ مبتدأ والحافظ معطوف عليه عطف خاص على عام إذ الأول يشمل من لا يحفظه عن ظهر قلب والثاني قاصر على من يحفظه عن ظهر قلب وفي بعض النسخ ويحافظ بميم في أوله بدل اللام وعليه يكون المعنى ويحافظ عليه أي يداوم ويواظب عليه والعطف يكون أيضا من عطف الخاص على العام إذ القارئ تارة يحافظ ويواظب على القراءة وتارة لا يكون كذلك ويتخلق فعل مضارع والفاعل ضمير مستتر يعود على المذكور من القارئ والحافظ والجملة خبره وبمحاسن متعلق بالفعل وهو جمع حسن غير مقيس وهو مضاف لما بعده من إضافة الصفة للموصوف أي الشيم المحاسن وهي جمع شيمة بمعنى الطبيعة والرضية صفة أيضا للشيم صفة لازمة باعتبار وصفها بالمحاسن إذ يلزم من كونها محاسن أن تكون رضية أي مرضية ومكملا حال من فاعل يتخلق ومتعلقه محذوف أي يتخلق بالمحاسن حال كونه مكملا لها

(كزهادة الدنيا كذا اترك مبا * لاة بها وبأهلها متقللا)

شروع في بيان الشيم والأخلاق الحميدة يعني أن من جملة الأخلاق الحميدة الزهادة في الدنيا وترك المبالاة بها وبأهلها حال كونه متقللا منها وقد تقدم الكلام على بيان معنى الزهد

الإعراب: كزهادة خبر لمبتدإ محذوف أي وذلك كائن كزهادة الدنيا وكذا متعلق بما بعده واترك فعل أمر والفاعل أنت وفي بعض النسخ ترك بصيغة المصدر وعليه يقرأ بالتنوين ويكون مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله وعلى كل فمبالاة منصوب على المفعولية وبها متعلق به وبأهلها معطوف على بها ومتقللا حال من الضمير المستتر في اترك ومتعلقه محذوف أي من الدنيا وأهلها وذكر قوله كذا الخ بعد ذكر الزهادة من ذكر الخاص بعد العام إذ من أفراد الزهد عدم المبالاة بالدنيا وبأهلها بل هو الزهد عينه أو لازم له ويدل عليه تعريف الناظم أول الكتاب للزهد بقوله وازهد وزاهد فقد علاقة قلبكما الخ إذ عدم المبالاة بها وبأهلها عبارة عن عدم التعلق بها وبأهلها أو لازم له

(والقارئ والحافظ يتخلق * بمحاسن الشيم الرضية مكملا)

كزهادة الدنيا كذا اترك مبا * لاة بها وبأهلها متقللا

(وكذا السخا والجود ثم مكارم الـ * أخلاق ثم طلاقة لا خاتلا)

يعني أن من جملة الشيم الحميدة أيضا السخاء والجود قال في الشرح ولا فرق بين السخاء والجود إلا أن الأول صفة غريزية فلا يتطرق اليها الرياء لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن ارادة الأعواض وفي مقابلة الشح وهو من لوازم صفة النفس والجود يأتى به الإنسان متطلعا إلى عوض إما من الخلق كالثناء أو غيره أو من الحق كالثواب ولذا يتطرق اليه الرياء وفي مقابله البخل فالسخاء أتم وأكمل من الجود فكل سخي جواد ولا عكس هذا حاصل ما في العوارف والذي في القشيري أن الجود أعلى رتبة من السخاء ونصه السخاء عند القوم هو الرتبة الأولى ثم الجود ثم الايثار فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضرر وآثر غيره على نفسه فهو صاحب إيثار اهـ بتصرف وقوله ثم مكارم الأخلاق أى ثم يتصف بمكارم الأخلاق كالتوكل على الله في جميع أموره وحسن الظن به والخوف والرضا والانصاف في المعاملة والرفق في المجادلة والعدل في الأحكام والاحسان في السر والايثار في العسر واحتمال الأذى وفي الحديث إن الله كريم يحب مكارم الأخلاق ، ولله در القائل :

بمكارم الأخلاق كن متخلقا * ليفوح مسك ثنائك العطر الشذى

وانفع صديقك إن أردت صداقة * وادفع عدوك بالتي فاذا الذى

يشير بقوله وادفع الخ الى آية ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله ثم طلاقة أي للوجه وهي إشراقه واستبشاره قال بعضهم البر شيء هين وجه طلق وكلام لين وقوله لا خاتلا أي ولا يكون خاتلا أي خادعا وهو الذي يظهر خلاف ما يبطنه

الإعراب : وكذا الواو عاطفة والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم والسخاء مبتدأ مؤخر والجود معطوف عليه ثم مكارم معطوف على السخاء من عطف العام على بعض أفراده وهي جمع مكرمة بضم الراء وهي الخصلة التي يكرم الشخص بسببها والأخلاق مضاف اليه والأخلاق جمع خلق بضم اللام واسكانها وهو السجية والطبع ثم طلاقة معطوف على مكارم من عطف الخاص على العام لا خاتلا لا نافية وخاتلا خبر ليكون مقدرة أي ولا يكون خاتلا :

(والحلم ثم الصبر ثم تنزه * عما دنا من مكسب متجملا)

يعني أن من جملة الشيم الحميدة أيضا الحلم وهو بكسر الحاء ترك العجلة والتأني في الأمور وسعة الصدر واذا أسند للمولى بأن قيل الله حليم فمعناه الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه بل يمهل العاصي ويستره ويمده بالرزق والعافية فاذا تاب قبله الله فحلم الله على عباده من أكبر النعم ومن جملة الشيم أيضا الصبر وهو حبس النفس عن الجزع وقال الجنيد الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس وقال الصاوي الصبر تحمل المكاره في طاعة الله تعالى واذا أسند الى المولى بأن قيل صبور فمعناه الذي لا يعجل بالعقوبة فهو يرجع لمعنى الحلم ومن جملة الشيم أيضا التنزه عن خسيس الصنائع كالحجامة والكناسة حال كونه متجملا بشريف الصنائع

الإعراب : والحلم معطوف على طلاقة ثم الصبر معطوف على الحلم أو على طلاقة ثم تنزه معطوف على الصبر عما عن حرف جارة وما موصولة ودنا فعل ماض وأصله دنأ بالهمزة لأنه من الدناءة بمعنى الخسة والنقيصة قلبت الهمزة ألفا لأجل الوزن وفاعله ضمير مستتر يعود على ما والجملة صلته ومن مكسب بيان لما فهو متعلق بمحذوف حال منها ومتجملا حال من فاعل تنزه المحذوف أى تنزه عما ذكر حال كونه متجملا :

(وملازمات السكينة والورع * وخشوعه وتواضع متكملا)

يعني أن من جملة الشيم الحميدة التي يتصف بها القارئ والحافظ ملازمته السكينة أي الطمأنينة والوقار وللورع وللخشوع والتواضع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وللعلماء العاملين العارفين حال كونه

متكملا

(وكذا السخا والجود ثم مكارم الـ * أخلاق ثم طلاقة لا خاتلا
والحلم ثم الصبر ثم تنزه * عما دنا من مكسب متجملا
وملازمات السكينة والورع * وخشوعه وتواضع متكملا

متكملا بهذه الأشياء .

الاعراب : وملازمات بفتح الزاي جمع ملازمة معطوف على تنزه والسكينة متعلق بملازمات والورع معطوف على السكينة وهو بسكون العين للضرورة وخشوعه بالجر معطوف على السكينة أيضا وتواضع معطوف أيضا عليه ومتكملا حال من فاعل المصدر المحذوف أي ملازمته حال كونه متكملا بهذه الأشياء :

(ولقص شارب ونسريح اللحى * وازالة ظفرا وابطا فافعلا)

يعني وملازمته أيضا لقص شارب به اذا احتاج اليه بأن طال ولتسريح اللحى ولازالة الأظفار وشعر الابط فافعلن هذه الأشياء موافقة للسنة .

الاعراب : ولقص الواو عاطفة ولقص معطوف على السكينة وتسريح معطوف على السكينة وهو مضاف للحى واللحى بكسر اللام وفتح الحاء جمع لحية وازالة يقرأ بالتنوين مع الجر لأنه معطوف على السكينة أيضا أو على قص وظفرا مفعوله وابطا معطوف على ظفرا وهو على حذف مضاف أي شعر ابط فافعلا الفاء فاء الفصيحة وافعلا فعل أمر مبنى على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفا :

(وازالة الريح الكريهة والوسخ * وملابس مكروهة فتكملا)

أي ومن جملة الشيم الحميدة ملازمته لازالة الريح الكريهة والوسخ من جسده ولباسه وازالة الملابس المكروهة فتكملن بازالة ما ذكر وهو كالتأكيد لما قبله اذ يعلم من كون الازالة المذكورة من الشيم الحميدة أن التكمل يحصل بها .

الاعراب : وازالة معطوف على سكينة أو على قص وهو مضاف للريح والكريهة صفتها والوسخ معطوف على الريح وملابس يقرأ بالصرف للضرورة وهو معطوف على الريح أيضا ومكروهة بالجر صفة للملابس فتكملا الفاء للتفريع وتكملا فعل أمر مبنى على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفا ومتعلقه محذوف أي بازالتها :

(وكذا اجتنابا للمضاحك لازمن * وكذاك اكثارا مزاحا زيلا)

أي ومن جملة الشيم الحميدة أن تلازم اجتناب الضحك كملازمة مثل ملازمتك لازالة هذه الأشياء لأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، ومن جملة الشيم الحميدة أيضا أن تلازم اجتناب اكثار المزاح لأنه يورث الضحك وقسوة القلب ويشغل عن ذكر الله تعالى وعن الفكر في مهمات الدين وزيلا أي ميزن بينه وبين المزاح الجائز وهو الذي ليس فيه إفراط ولا كثرة وأمرك الناظم بذلك لأجل أن تكون على بصيرة فيما تفعله من المزاح ، وما أحسن قول بعضهم :

ودع مزاح الرجال ان مزحوا * لم أر قوما تمازحوا سلموا

فالجرح جرح اللسان تعلمه * فرب قول يسيل منه كلم

الاعراب : وكذا الواو للاستئناف والجار والمجرور صفة لمصدر لازمن محذوف واجتنابا مفعول مقدم للازمن وللمضاحك متعلق باجتنابا وهو جمع مضحك مصدر ميمي بمعنى الحدث وهو الضحك ويحتمل أن يكون بمعنى المكان والمعنى لازم اجتناب الأماكن التي ينشأ منها الضحك ولازمن فعل أمر والفاعل أنت وكذاك الجار والمجرور أيضا صفة لمصدر لازمن المقدر بعد واكثارا منصوب باسقاط الخافض متعلق باجتنابا مقدر ومزاحا مفعول اكثارا لأنه مصدر يعمل عمل الفعل وزيلا فعل أمر مبنى على سكون مقدر لأجل الفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفا وفاعله مستتر والجملة معطوفة على

ولقص شارب وتسريح اللحى
وازالة ظفرا وابطا فافعلا
وازالة الريح الكريهة والوسخ
وملابس مكروهة فتكملا
وكذا اجتنابا للمضاحك لازمن
وكذاك اكثارا مزاحا زيلا

جملة لازم من القدرة والتقدير ولازم من اجتناب اكثار المزاح ملازمة مثل ملازمتك لاجتناب الضحك وزيلن بينه و بين غيره .

(وليحذرن عجبا رياء والحسد * والاحتقار لغيره بالاعتلا)

يعنى أن من جملة الشيم الحميدة اجتناب العجب والرياء والحسد والاحتقار لغيره بالاعتلاء عليه أى التكبر عليه وانما فصل هذه الجملة عما قبلها إيذانا بشدة الاعتناء بها فانها ذنوب مهلكات وهى أمهات خبائث القلب والعجب استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان نسبتها الى المنعم سبحانه وتعالى والعجب يكون ببدنه فى جماله وصحته وتناسب أشكاله ويكون بعقوله وبشرف نسبه و بكثرة الأعداد من الأولاد والخدم والأموال و بغير ذلك وسببه إفراط الجهل وعلاجه المعرفة المضادة له بأن يعلم أن ما يعجب به من العبادة أو الجمال ان كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله فهو جهل لأن المحل مسخر ومجرى لا مدخل له فى الايجاد فكيف يعجب بما ليس له وان كان يعجب به من حيث إنه باختياره وقدرته فينبغى أن يتأمل فى قدرته وارادته وأعضائه أنها من أين كانت له فان كانت نعمة من الله فينبغى أن يكون إعجابه بجود الله وكرمه إذ أفاض عليه ما لا يستحقه والرياء العمل لأجل الناس وقد تقدم الكلام عليه مستوفى فارجع اليه إن شئت . والحسد تمنى زوال نعم الله تعالى عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح سواء كانت النعمة دينا أو دنيا وأعظم أسبابه العداوة فان من آذاه انسان وغضب عليه تولد منه الحقد المقتضى للانتقام فان عجز منه بنفسه أحب أن يتشفى منه بتغير الزمان وعلاجه أن تعلم أن الكل بتقدير الله تعالى وان تتذكر مضار الحسد فى الدين والدنيا أما فى الدين فسخطك لقضاء الله وكراهتك لمنحته التى قسمها بين عباده وأما فى الدنيا فتألمك وغمك على الدوام إذ أعداؤك لا يخليهم الله من نعم يفيضها عليهم فلا تزال تعذب لكل نعمة تراها عليهم وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما ضيق الصدر والاحتقار لغيره هو استصغار غيره واستعظام نفسه وهو حرام ان كان لمسلم قال صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم وسببه الاعجاب والتكبر وعلاجه أن يعرف ربه ونفسه فانه اذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء الا له تعالى واذا عرف نفسه علم أنه أذل من كل ذليل وأنه لا يليق به الا التواضع وقد بسط الكلام على ذلك فى الشرح فارجع اليه إن شئت .

الإعراب : وليحذرن اللام لام الأمر ويحذر فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة فى محل جر والفاعل يعود على كل من القارئ والحافظ عجبا مفعوله ورياء معطوف عليه بحذف حرف العطف والحسد معطوف عليه أيضا والاحتقار معطوف عليه أيضا لغيره متعلق بالاحتقار وبالاعتلاء الباء بمعنى من متعلقة بمحذوف حال من الاحتقار أو صفة له أى حال كونه ناشئا أو الناشئ من الاعتلاء أى على الغير وصح جعلها سببية متعلقة بمحذوف حال أو صفة أى حال كونه حاصلا بسبب الاعتلاء أو الحاصل بسبب الاعتلاء .

(واستعمل المأثور من ذكر دعا * وكذاك تسبيح وتهليل جلا
وراقب المولى بسر والعلن * وعلى الاله بكل أمر عولا)

يعنى أن من جملة الشيم الحميدة استعمال المأثور أى الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم من الذكر والدعاء والتسبيح والتهليل ومراقبة المولى سبحانه وتعالى فى السر والعلانية واعتماده عليه فى جميع أموره لأن ذلك كله تفتح عليه أبواب اللطف وينشرح صدره وتتفجر من قلبه ينابيع الحكم اللطائف ويبارك له فى علمه وحفظه ويوفق فى أفعاله وأقواله .

الإعراب : واستعمل فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب أو فعل ماض وفاعله يعود على كل من القارئ

وليحذرن عجبا رياء
والحسد
والاحتقار لغيره بالاعتلا
واستعمل المأثور من
ذكر دعا .
وكذاك تسبيح وتهليل
جلا
وراقب المولى بسر
والعلن
وعلى الاله بكل أمر عولا

والفصال جمع فصيل وهو الصغير من الإبل والمعنى حين ينام الفصيل في ظل أمه عند حر الشمس وقد ورد في فضل صلاة الضحى أحاديث كثيرة منها قوله عليه السلام صلاة الضحى تجلب الرزق وتنفي الفقر وقوله عليه السلام لا يحافظ على صلاة الضحى إلا كل أواب وقوله عليه السلام إن في الجنة بابا يقال له باب الضحى فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يصلون صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله ومنها خبر مسلم يصبح على كل سلامى صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان يصليهما من الضحى وإذا صلى أربعا قرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة والشمس وفي الثانية والليل وفي الثالثة والضحى وفي الرابعة ألم نشرح وفي تحفة الاخوان عن أنس رضى الله عنه من صلى صلاة الضحى يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وعشر مرات آية الكرسي وفي الثانية فاتحة الكتاب وعشر مرات قل هو الله أحد استوجب رضوان الله الأكبر اهـ ثم إنه لما كان ذكر الموت هو الدواء القاطع للأمل الجالب للخوف والهيبة وحضور القلب في الأعمال صرح بالنهي عن ترك ذكره والتفكر فيه فقال ولا تدع الفكر يعني ولا تترك التفكر في هجوم الموت أي نزوله بك بغتة وفي التحسر على ما ضيعته من عمرك وفي البلى في القبر وذلك لأن العمل من غير تفكر في ذلك قليل الجدوى والتأثير والعمل مع التفكر في ذلك وذكره سريع التأثير كالضرب بالمعاول أي بالفأس العظيمة . واعلم أن ذكر الموت مستحب ومرغب فيه وله منافع وفوائد جليلة منها قصر الأمل والزهد في الدنيا والقناعة منها باليسير والرغبة في الآخرة والتزود لها بالأعمال الصالحة قال عليه السلام أكثروا من ذكر هاذم اللذات يعني قاطعها وهو الموت وكان عليه السلام يقوم من الليل فينادي جاء الموت بما فيه جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن الأكياس من الناس من هم قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا ونعيم الآخرة . واعلم أن رأس مالك الذي يمكنك أن تشتري به من الله سعادة الأبد عمرك فإياك أن تنفق أوقاته وأيامه وساعاته وأنفاسه فيما لا خير فيه ولا منفعة فيطول تحسرك ويعظم أسفك بعد الموت إذا عرفت قدر الفائت وتحققته وقد ورد أنه تعرض على الانسان في الدار الآخرة ساعات أيامه ولياليه في هيئة الخزائن لكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة بعدد ساعاتهما فيرى الساعة التي عمل فيها بطاعة الله تعالى خزانة مملوءة نورا والتي عمل فيها معصيته مملوءة ظلمة والتي لم يعمل فيها بطاعة ولا معصية يجدها فارغة لا شيء فيها فيعظم تحسره إذا نظر الى الفارغة في كونه لم يعمل فيها بطاعة الله فيجدها مملوءة نورا وأما التي يجدها ظلمة فلو قضى عليه أن يموت عند النظر اليها من الأسف والحسرة لمات غير أنه لا موت في الآخرة إذا علمت ذلك فاختر لنفسك رحمك الله مادمت في دار الاختيار ما ينفعها ويرفعها فانك لو قدمت خرج الأمر عن اختيارك وبادر ولا تسوف فان التسويف شر والانسان معرض لآفات وشواغل كثيرة قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك . فنسأل الله أن يوفقنا للأعمال الصالحة والتجارة الرابحة آمين .

الاعراب : ثم الضحى ثم عاطفة وهي للترتيب والضحى مفعول مقدم لصل وهو فعل أمر وياؤه للاشباع ويحتمل أن يكون فعلا ماضيا وعليه يكون في قوله بعد ولا تدع التفات من الغيبة الى الخطاب ولا تدع لا ناهية تدع فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وحرك بالكسر للتخلص من الساكنين والفكر بكسر ففتح جمع فكرة وبهجوم الباء بمعنى في متعلق بالفكر وهو مضاف للموت والتحسر معطوف على هجوم والبلى بكسر الباء و بالقصر مصدر بلى يبلى من باب تعب معطوف أيضا على هجوم محل مبتدأ والمسوغ للابتداء به وصفه بما بعده بلا ذكر البلاء جارة ولا اسم بمعنى غير وهو مضاف

قول الشيخ عمر بن عبد الرحمن العمل مع التحقق بحقيقة ذكر الموت كالضرب بالمعول في التأثير والعمل مع الغفلة عن ذكر الموت كالضرب بالفتيل في عدم التأثير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال ابن عمر رضى الله عنهما أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم الناس يارسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة (قوله معاولا) جمع معول وهو الفأس العظيمة

(ثم اشتغل بالعلم أو بعبادة * أو بالمعيشة واخترن الأفضلا) أى ثم بعد صلاة الضحى اشتغل أنت بالعلم النافع فى الدين بالتعليم أو بالتعلم أو بالمطالعة أو بالنسخ للكتب قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صلاة ولا صوم ولا حج

إلا الهموم فى طلب العلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاء أجله وهو يطلب العلم لقيني ولم يكن بينه و بين الأنبياء إلا درجة واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتب حرفا الرجل مسلم فكأنما تصدق بدينار وأعتق رقبة وكتب الله له بكل حرف حسنة ومحا عنه سيئة أو اشتغل أنت بوظائف العبادات فقد كان فى الصحابة من ورده فى اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة والى ألف ركعة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان بعضهم يقضى اليوم أو الليلة فى التفكر فى آية واحدة يرددها ومن العبادات الاشتغال بما يوصل بخير الى المسلمين وما يسر قلوبهم وما تيسر به الأعمال الصالحة كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين وكالتردد فى أشغالهم كما روى فى الحديث من خدم عالما سبعة أيام فكأنما خدم الله تعالى سبعة آلاف سنة والتردد على زيارة المرضى وعلى تشييع الجنائز الى المقابر وكاطعام الطعام للفقراء والمساكين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض ادخال السرور على المسلم واشتغل أنت بما تحتاج اليه

وذكر مضاف اليه وهو مضاف للنية والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لعمل ولا نافية للجنس وأجر اسمها وخبر لا محذوف أى فيه والجملة خبر المبتدا وبذكرها معطوف على بلا أى عمل كائن بذكر النية وحقا حال من ذكر وكضرب متعلق بمحذوف خبر للمبتدا المقدر أى وعمل موصوف بذكرها كائن كضرب المعاول ومعاول مضاف اليه مجرور بالفتحة وهو جمع معول وهو الفأس العظيمة :

(ثم اشتغل بالعلم أو بعبادة * أو بالمعيشة واخترن الأفضلا)

أى ثم بعد صلاة الضحى اشتغل بالعلم أى النافع فى الدين تعلما وتعليما وتأليفا وكتابة أو اشتغل بالعبادة من صلاة وذكر وقراءة وتسبيح أو اشتغل بالمعيشة أى بما تحتاج اليه من أمر المعيشة من الاكتساب لنفسك أو عيالك بشرط سلامة دينك وسلامة المسلمين من لسانك ويدك فتكون بذلك من أصحاب اليمين واخترن من هذه الأمور الثلاثة الأفضل وهو الاشتغال بالعلم النافع ثم ان محل التخيير بالنسبة لفرض الكفاية من العلم أما بالنسبة لفرض العين من عمل الجوارح كالصلاة والصوم والحج والزكاة وعمل القلب كالرضا والشكر والزهد من الأوصاف الحميدة وكالعجب والكبر من الأوصاف الذميمة فتعلمه مقدم على غيره وفى الشرح ما نصه : اعلم أن الشيخ عبد الله اليافعى رحمه الله تعالى ذكر تفصيلا حسنا فى تفضيل الاشتغال بالعلم أو بالعبادة فقال الذى أراه وأقول به أن ذلك يختلف باختلاف الناس فى أحوالهم وذوقهم وقابلياتهم وأذهانهم ونياتهم فينقسمون بذلك خمسة أقسام : الأول رجال غلبت عليهم أحوال قوية أزعجتهم واضطرتهم الى الاشتغال بالله وحده ولم تدع فيهم للاشتغال بغيره بقية وهؤلاء ليس لنا عليهم حكم فهم الفرسان فى الحقيقة . القسم الثانى قوم لهم ذوق فى العبادة وأنس وحلاوة فى مناجاة مولاهم وبلحقهم تعب وتكدير فى المخالطات وتفرق لهم عند الاجتماع فى الاشتغال بالعلم فهؤلاء إن عرفوا الزيادة فى قلوبهم وأحوالهم من النقصان لزموا الذى يجدون به الزيادة حيثما كان وان لم يعرفوا ذلك فينبغى أن يكثروا من صلاة الاستخارة والدعاء والتضرع الى مجيب الدعوات فى التوفيق للأفضل فى حقهم من العلم والعمل هذا كله بعد تعلم أحكام فرض العين من تصحيح الاعتقاد وصلاح القلب من العبادات كالصلاة والصوم والطهارة وكذا الحج إن وجب عليهم ومثله الجهاد والزكاة ومع هذا فالذى أراه لمن عرف من نفسه نجابة فى الاشتغال بالعلم وقابلية وصلاح نية أن يشتغل مع التشتت والتفرق بفرض الكفاية مع مزج العلم بالعمل ولزوم طريق الزهد والاحتراز فى الخلطة من الآفات . القسم الثالث ناس لهم رغبة فى العلم وذوق وذكاء ونية صالحة فهؤلاء ينبغى أن يبذلوا الجهد فى الاشتغال بالعلوم بتقديم الأهم منها فالأهم مع التقلل من الدنيا ولزوم سيرة العلماء الأخيار . القسم الرابع ناس فى أذهانهم بلادة لا يجىء منهم إفادة ولا استفادة فهؤلاء ينبغى لهم بعد تعلم فرض العين أن يستغرقوا أوقاتهم فى العبادة . القسم الخامس ناس فيهم دواعى العلم وجودة الأفهام مع خلوهم من صلاح النية فينبغى لهؤلاء أن يجاهدوا نفوسهم فى تحصيل الاخلاص ويذكروها فناء الدنيا وحقارتها وغرورها وفتنها وما جاء فى الوعد والوعيد وتشبيه بعض العلماء بالحمير والكلاب فى نص الكتاب وأن يشتغلوا بعد فرض العين بذكر الله تعالى وعبادته فى الليل والنهار ليعيد الله من بركات العبادة على قلوبهم حتى تصلح وتشرق فيها الأنوار وحينئذ ينتج اشتغالهم بالعلم النفع وتثمر أزكى الثمار انتهى ملخصا

الاعراب : ثم حرف عطف واشتغل فعل أمر بالعلم متعلق به أو بعبادة معطوف على بالعلم أو بالمعيشة معطوف أيضا عليه واخترن فعل أمر مبنى على سكون مقدر للفتحة التى أتى بها لأجل نون

- التوكيد

من أمر المعيشة من الاكتساب لنفسك ولمن تمونه لأنه ليس لك أن تضيع العيال وتستغرق الأوقات فى العبادات وذلك بشرط سلامة دينك من المعاصي وسلامة المسلمين من شر لسانك ويدك واختر الأفضل من العلوم والعبادات لأنه يختلف باختلاف حال الشخص فلينظر الى قلبه فما راه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فاذا أحس بملال منه فلينتقل الى غيره لأن الملال هو الغالب على الطبع كذا أفاده الغزالي وكذا تختار الأليق بك من المكاسب :

(فلعالم فضل على من يعبد * (٦١) فضل البدور على الكواكب فى الجلا)

التوكيد الثقيلة وفاعله مستتر تقديره أنت الأفضل مفعوله :

(فَلِعَالِمٍ فَضْلٌ على مَنْ يَعْبُدُ * فَضْلَ البُدُورِ على الكَوَاكِبِ فى الجلا

هذا البيت مقتبس من قول النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ففضل صلى الله عليه وسلم القمر ليلة كماله على بقية الكواكب أجمع وهو يستلزم التفاوت العظيم بين القمر وغيره من بقية الكواكب فى الضوء وجعل ﷺ فضل العالم كفضل القمر وفضل العابد كفضل بقية الكواكب وكذلك يستدعي أن يكون بينهما بون كبير فى الفضل والمراد بالفضل ما يعطي الله للعبد فى الآخرة من درجات الجنة ولذاتها وما كلها ومشاربها ومناكحها وما يعطيه إياه من مقامات القرب ولذة النظر اليه وسماع كلامه والمراد بالعالم من غلب اشتغاله بالعلم على اشتغاله بالعمل لا الخالي عن العمل بالكلية وبالعابد من غلب اشتغاله بالعمل على الاشتغال بالعلم لا الخالي عنه كذلك فان العابد لا بد له من العلم بما يتعلق بالعبادة التى يواظب عليها والا لم تصح عبادته كما قال ابن رسلان :

وكل من بغير علم يعمل * أعماله مردودة لا تقبل

ويدل على هذا المراد قوله صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم »

فشبه النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم بفضله وفضل العابد بفضل أدنى رجل من أصحابه ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه متصفون بالعلم والعمل ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سيدهم وأكملهم علما وعملا وعقلا وغير ذلك وكذلك يستلزم أن المراد بالعالم العابد والمراد بالعابد العالم ولكن اشتغال الأول بالعلم أكثر من اشتغال الثاني به واشتغال الثاني بالعبادة أكثر من اشتغال الأول بها ويستلزم أن بين العالم والعابد تفاوتا كثيرا فى الفضل كالتفاوت بين النبي ﷺ وأدنى رجل من أصحابه وكذلك لأن العالم نفعه متعد والعابد نفعه قاصر على نفسه والمتعدي أفضل من القاصر

الاعراب : فلعالم الفاء بحسب ما قبلها واللام حرف جر وعالم مجرور بها والجار والمجرور خبر مقدم وفضل مبتدأ مؤخر على من على حرف جر ومن موصولة وجملة يعبد صلتها والجار والمجرور متعلق بما تعلق به الخبر فضل منصوب باسقاط الخافض أى كفضل والبدور مضاف اليه وهو جمع بدر والبدر القمر ليلة كماله وجمعه مع أنه واحد باعتبار أجزائه فكأن كل جزء منه لكمال نوره يسمى بدرا على الكواكب متعلق بفضل فى الجلا متعلق أيضا بفضل وهو بفتح الجيم ضد الخفاء يقال جلا لى الخبر يجلو جلاء أى وضح والمراد به الظهور :

(إِنَّ الاله وأَهلَ كُلِّ سمائه * والأَرضِ حتى الحوتِ مع نَمْلِ الفَلا

كلٌّ يصلي يا حبيبَ على الذي * قد علَّم الخيرَ الأناسَ محصِّلا)

هذان البيتان مقتبسان من قول النبي ﷺ فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم

(قوله فى الجلا) بكسر الجيم وبالمد لكن هنا يقصر للضرورة وهو مصدر جلوت العروس كما فى المصباح أي فى اظهار النور والضياء وهذا البيت مأخوذ من رواية أبي نعيم عن معاذ ابن جبل أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قال العزيزي المراد بالفضل كثرة الثواب الشامل لما يعطيه الله للعبد فى الآخرة من درجات الجنة ولذاتها ومآكلها ومشاربها ومناكحها وما يعطيه الله تعالى العبد من مقامات القرب ولذة النظر اليه تعالى وسماع كلامه والمراد بالعالم هو العامل بعلمه وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم رواه ابن ماجه عن أبي هريرة والمراد بالعلم علم شرعي أو ما كان آلة له فتعلم العلم صدقة وهو من أفضل أنواع الصدقة لأن الانتفاع به فوق الانتفاع بالمال لأنه ينفد والعلم باق :

(إن الاله وأهل كل سمائه * والأرض حتى الحوت مع نمل الفلا

كل يصلي يا حبيب على الذى * قد علم الخير الأناس محصلا)

هذان البيتان مأخوذان من قوله ﷺ إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير أى يستغفرون له . وقال صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم وان طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان فى البحر رواه

إنَّ اللهَ وملائكتَه وأهلَ السمواتِ والأرضين حتى النملةَ في جحرها وحتى الحوتَ في البحرِ ليصلّون على معلّمِ الناسِ الخيرَ رواه الترمذي وقوله على أدناكم المخاطب به الصحابة أو جميع الأمة وهو فيه تمام المدح للعالم كما تقدم وقوله إن الله وملائكته الخ جملة مستأنفة أتى بها لبيان فضل العالم وقوله ليصلّون فيه تغليب العاقل على غيره حيث أتى بضمير العقلاء وهو الواو والمراد من الصلاة القدر المشترك وهو العطف ويفسّر بالنسبة لله بالرحمة وبالنسبة للملائكة بالاستغفار وبالنسبة لغيرهم بالدعاء كما اختاره ابن هشام في مغنيه وقوله على معلم الناس الخير يؤخذ منه أن ما ذكر إنما هو لتعليمه الناس الخير فلابد من ذلك . قال الإمام الغزالي وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالصلاة عليه وهو مشغول بنفسه

الإعراب : إنّ الإله إن حرف توكيد ونصب والإله اسمها وأهل معطوف على الإله وهو مضاف وكل مضاف إليه وهو مضاف وسماء مضاف إليه والأرض معطوف على كل أي وأهل الأرض حتى الحوت حتى عاطفة والحوت بالنصب معطوف على أهل المقدّرة قبل الأرض وهي غاية ذكرت لاستيعاب جميع الحيوانات أي جميع الحيوانات عظيمها وحقيرها حتى الحوت بيم نمل الفلا ثم ظرف مبني على السكون متعلق بمحذوف حال من الحوت وهي مضاف ونمل مضاف إليه ونمل مضاف والفلا مضاف إليه وهو جمع فلاة مثل حصاة وحصى وهي الأرض التي لا ماء فيها كل مبتدأ وتنوينه عوض عن المضاف إليه أي كلهم وجملة يصلّي خبره والمبتدأ وخبره خبر إن والرابط المضاف إليه المقدّر يا حبيب يا للنداء وحبيب منادى منصوب بفتحة مقدّرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة لياء المتكلم المحذوفة تخفيفاً أو مبني على الضم إذا قصد به معين على الذي الجار والمجرور متعلق بيصلّي وقد علم الجملة صلة الذي والخير مفعول ثان له والناس مفعول أول وقوله محصلا بكسر الصاد حال من فاعل علم مؤكدة ومفعوله محذوف أي علّمهم الخير حال كونه محصلا إياه لهم :

(مَن في طريقِ التعلّمِ يسلكُ * فإلى الجنانِ له طريقٌ سُهّلا)

يعني من يسلك في طريق لأجل التعلم سهّل الله له طريقا إلى الجنان وهذا مقتبس من قوله ﷺ من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له طريقا إلى الجنة رواه الترمذي عن أبي هريرة وقوله من سلك طريقا أي حسية أو معنوية أو هما معا فتشمل أنواع الطريق الموصلة إلى تحصيل أنواع العلوم الدينية وقوله يلتمس فيه علما أي يطلب في ذلك الطريق علما نافعا سواء كان قليلا أو كثيرا وقوله سهل الله له طريقا إلى الجنة أي في الدنيا بأن يوفقه للعمل الصالح وفي الآخرة بأن يسلك به طريقا لا صعوبة فيه حتى يدخل الجنة سالما . وسبب ذلك أن العلم إنما يحصل بتعب ونصب وأحب الأعمال أحمزها بالحاء المهملة والزاي المعجمة أي أشقها فمن تحمل المشقة في تحصيل العلم سهل الله له طريقا إلى الجنة وظاهر الحديث يقتضي أنه يترتب ذلك عليه وإن لم يحصل المطلوب بأن بذل الجهد بنية صافية وإن لم يحصل شيئا النحو لبلادة يحصل له الجزاء الموعود به لعدم تقصيره لكن إذا حصل المقصود كان أعلى ولبعضهم :

العلمُ نورٌ فلا تُهمل مجالسَه * واعمل جميلا ترى فالفضلُ في العملِ
لا ترقدِ الليلَ ما في النومِ فائدة * لا تكسلنّ ترى الحرمانَ في الكسلِ

الإعراب : من موصول مبتدأ أو اسم شرط جازم وفي طريق متعلق بيسلك وعدّي بفي لأنه بمعنى يذهب قال في المختار سلك الطريق إذا ذهب فيه وبابه دخل اهـ والتعلم اللام تعليلية متعلقة بيسلك أي من يذهب في طريق لأجل التعلم ويسلك فعل مضارع مرفوع على جعل من موصولة ومجزوم على جعل من شرطية وحرّك بالضم لأجل الوزن وفاعله ضمير مستتر يعود على من والجملة على الأول صلة الموصول قال الكافيجي دخلت على الجملة الخبرية لكون المبتدأ مما يشبه الشرط في العموم على الاحتمال الأول

أو

ابن عبد البر عن أنس وذلك لأن صلاح العالم منوط بالعالم بتبيينه الأحكام الشرعية التي منها أن الحيوان يحرم تعذيبه

(قوله الفلا) جمع فلاة مثل حصاة وحصى وهي الأرض التي لا ماء فيها (قوله حبيب) بكسر الباء على حذف ياء المتكلم (قوله الخير) مفعول ثان والناس مفعول أول فإن الآخذ هو المفعول الأول والمأخوذ هو المفعول الثاني سواء قدم أو أخر (قوله محصلا) أي لإزالة الجهل وللدين ولرضا الله والشكر على نعمة العقل وصحة البدن وللدار الآخرة وهو حال من فاعل علم :

(من في طريق التعلم يسلك * فإلى الجنان له طريق سهلا) (قوله من) اسم موصول مبتدأ وقوله يسلك صلة (قوله في طريق) مفعول مقدم ولذلك زيد عليه في التقوية وقوله إلى الجنان متعلق بسهلا وقوله له طريق مبتدأ مؤخر وخبر مقدم والجملة خبر الموصول وقوله سهلا بالبناء للمفعول والجملة صفة لطريق وهذا البيت مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة رواه الترمذي عن أبي هريرة أي من سلك طريقا يطلب فيه علما شرعيا أو آلة له سهل الله له طريقا إلى الجنة في الدنيا بأن يوفقه للعمل الصالح أو في الآخرة بأن يسلك به طريقا لا صعوبة فيه ولا هول إلى أن يدخل الجنة سالما كذا أفاده العزيزي

أو هى فاء الجزاء على الاحتمال الثانى وإلى الجنان متعلق بمحذوف حال من طريق لأن صفة النكرة إذا تقدمت عليها أعربت حالا ولكم متعلق بسهل وطريق مبتدأ وجملة سهلا من الفعل ونائب الفاعل خبره :

(وملائك تضع الجناح له إذا * يسعى برضا بمرامه متقبلا)

يعنى أن الملائكة الذين فى الأرض ويحتمل العموم تضع أجنحتها للشخص إذا يسعى لطلب العلم رضا بما يطلبه ويرومه وهذا البيت مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب رواه ابن عبد البر عن أنس رضى الله عنه وقوله لتضع أجنحتها يحتمل أن يكون حقيقة وإن لم نشاهده أى تبسط أجنحتها تحت قدمى طالب العلم لتكون وطاء كلما مشى أو تكف أجنحتها عن الطيران وتضعها فى مجالس العلم لاظلالهم بها ويحتمل أن يكون مجازا عن التواضع لطالب العلم أو عن المعونة وتيسير السعى له فى طلب العلم والأجنحة جمع جناح وهو للطائر بمنزلة اليد للانسان لكن لا يلزم أن تكون أجنحة الملائكة كأجنحة الطائر وناهيك بمن توقره الملائكة وتدعو له وتستغفر له ولو لم تعلم الملائكة أن منزلته عند الله عظيمة ما وقرته ولو لم يكن فى طلب العلم الا دعاء الملائكة كان جديرا بأن يتنافس فيه فان أحدنا يرغب فى دعوة يرجو بركتها من رجل صالح فما الظن بقوم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

الاعراب : وملائك مبتدأ وهو جمع ملك فانه يجمع على ملائك بلا تاء وملائكة بالتاء كما فى المختار وصرف بادخال التنوين للضرورة وجملة تضع الجناح خبر المبتدأ وله متعلق بتضع وضميره يعود على من فى البيت السابق بقطع النظر عن الصلة والا كان قوله بعد إذا يسعى ضائعا لأن السلوك فى طريق التعلم هو السعى بطلب العلم إذا يسعى ظرف لما يستقبل من الزمان ويسعى فعل الشرط ومتعلقه محذوف أى لطلب العلم وجواب إذا محذوف أى فالملائك تضع الأجنحة له رضا مفعول لأجله وبمرامه متعلق برضا ومتقبلا حال من فاعل يسعى أى يسعى حال كونه مقبولا عند الله :

(وتعلم للباب من علم له * فضل على مائة الركيعة نافلا)

يعنى أن تعلم باب من العلم أى نوع منه أفضل من مائة ركعة نافلة وهذا مقتبس من قول النبى صلى الله عليه وسلم لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير لك أن تصلى مائة ركعة رواه ابن عبد البر وعن الامام الشافعى رضى الله عنه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة أى طلب العلم النافع أكثر ثوابا من صلاة النافلة والكلام فى العلم المندوب والا فالعلم الفرض أفضل الفروض كما أن نفله أفضل النوافل وعن أبى هريرة وأبى ذر رضى الله عنهما أنهما قالا باب من العلم نتعلمه أحب الينا من ألف ركعة تطوعا وباب من العلم نعلمه عمل به أو لم يعمل أحب الينا من مائة ركعة تطوعا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جاء طالب العلم الموت وهو على هذه الحالة فهو شهيد وروى ابن المنير فى شرح البخارى باسناده عن يحيى ابن يحيى قال أول ما حدثنى به مالك بن أنس حين أتيته طالبا لما ألهمنى الله اليه فى أول يوم جلست اليه قال لى ما اسمك . قلت أكرمك الله يحيى وكنت أحدث أصحابى سنا فقال يا يحيى الله الله عليك بالجد فى هذا الأمر وسأحدثك فى ذلك بحديث يرغبك فيه ويزهدك فى غيره قال قدم المدينة غلام من أهل الشام بحداثة سنك فكان معنا يطلب ويجتهد حتى نزل به الموت فلقد رأيت على جنازته شيئا لم أره على أهل بلدنا فرأيت جميع العلماء يزدحمون على نعشه فلما رأى الأمير ذلك أمسك عن الصلاة وقال قدموا من أحببتم فقدم أهل العلم ربيعة فألحده فى قبره ربيعة وزيد بن أسلم ويحيى ابن سعيد وابن شهاب وأقرب الناس اليهم محمد بن المنكدر وصفوان بن سليم وأبو حازم وأشباههم وبنى اللبن على لحده ربيعة وهؤلاء يناولونه اللبن . قال مالك فلما كان اليوم الثالث من دفنه

(قوله يسعى) أى يذهب الى العالم (قوله بمرامه) أى بمطلوبه (قوله رضا) مفعول لأجله تعليل لتضع (قوله متقبلا) حال من فاعل يسعى أو من الهاء المجرور باللام أى مقبولا عند الله وهذا البيت مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب رواه ابن عبد البر عن أنس وفى معنى وضع الأجنحة ثلاثة أقوال الأول التواضع لطالب العلم تعظيما لحقه والثانى النزول عند مجالس العلم وترك الطيران والثالث بسط الأجنحة ثم فى هذا البسط ثلاثة أقوال الأول وضع الأجنحة لتكون وطاء لطالب العلم كما مشى والثانى اظلالهم بها والثالث المعونة وتيسير السعى فى طلب العلم

(وتعلم للباب من علم له فضل على مائة الركيعة نافلا)

(قوله نافلا) حال من فضل مؤكد له أى زائدا والمسوغ لصاحب الحال مع كونه نكرة هو المسوغ للمبتدا ويصلح أن يكون حالا من فاعل تعلم مقدر أى حال كون الشخص رابحا لأفضل العبادات (قوله تعلم) مبتدأ وجملة قوله له فضل خبره وقوله الركيعة بصيغة التصغير للوزن وهذا البيت مأخوذ من قوله عليه

لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير لك من أن تصلي مائة ركعة رواه ابن عبد البر وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة والصيام والحج والجهاد رواه الديلمي عن ابن عباس وذلك لأن نفعه متعد للغير وصحة العبادة تتوقف على العلم :

(هذا اذا قصد الاله وآخره بالعلم الا فالهلاك تحصلا)

(قوله الا) بحذف الواو للوزن أي والا يقصد ذلك بأن قصد نحو جاه أو طلب دنيا فقد حصل له الهلاك وهذا الشطر الثاني من هذا البيت مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله فليتبوأ مقعده من النار أي فليتخذ له فيها منزلا ثم بين الناظم الهلاك بقوله

رآه رجل في النوم من خيار أهل بلد نافع أحسن صورة غلام أمرد عليه بياض متعمم بعمامة خضراء وتحته فرس أشهب نازلا من السماء كأنه يأتيه قاصدا فسلم عليه وقال هذا مما بلغني اليه العلم فقال له الرجل وما الذي بلغك اليه فقال أعطاني الله بكل باب تعلمته من العلم درجة في الجنة فلم تبلغ بي الدرجات الى درجة أهل العلم فقال عز وجل زيدوا ورثة أنبيائي فقد حتمت على نفسي أنه من مات وهو عالم بسنتي وسنة أنبيائي أو طالب لذلك أجمعهم في درجة واحدة فأعطاني ربي حتى بلغت الى درجة أهل العلم فليس بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الا درجتان درجة هو فيها جالس وحوله النبيون كلهم ودرجة فيها جميع أصحابه وجميع أصحاب النبيين الذين اتبعوهم ودرجة من بعدهم فيها جميع أهل العلم وطلبته فسيرني حتى توسطتهم فقالوا مرحبا مرحبا سوى مالي عند الله من المزيد فقال له الرجل ومالك عند الله من المزيد قال وعدني ربي أن يحشرني مع النبيين كما رأيتهم في زمرة واحدة فأكلمهم الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى يا معشر العلماء هذه جنتي قد أبحتها لكم وهذا رضواني قد رضيت عنكم فلا تدخلوا الجنة حتى تقفوا فتشفعوا فأعطيكم ما شئتم وأشفعكم فيمن استشفعتم له لأري عبادي كرامتكم ومنزلتكم قال فلما أصبح الرجل حدث بهذا الحديث أهل العلم وانتشر خبره بالمدينة قال مالك كان بالمدينة أقوام بدءوا معنا في طلب العلم ثم كفوا حتى سمعوا هذا الحديث فلقد رجعوا اليه وأخذوا بالجد وهم اليوم من علماء بلدنا يا يحيى جد في هذا الأمر اه ، ولبعضهم :

العلم مغرس كل فضل فاجتهد * أن لا يفوتك فضل ذاك المغرس
واعلم بأن العلم ليس يناله * من همه في مطعم أو ملبس
واحرص لتبلغ فيه حظا وافرا * واهجر له طيب المنام وغلس
لتعز حتى ان حضرت بمجلس * كنت الرئيس به وكنت صدير المجلس
ان الخلي من العلوم مقامه * عند النقال له صموت الأخرس

الاعراب : وتعلم مبتدأ والباب متعلق بتعلم ومن علم متعلق بمحذوف حال من الباب أي حال كون الباب كائنا من أبواب العلم لم خبر مقدم فضل مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدأ الأول على مائة متعلق بفضل وهي مضاف والركيعة مضاف اليه وهي تصغير ركعة ونافلا حال من مائة أي حال كون المائة نافلة وحذفت التاء منه للضرورة :

(هذا اذا قصد الاله وآخره * بالعلم الا فالهلاك تحصلا)

أي ما تقدم من فضائل العلم وأهله انما يحصل اذا قصد الاله والدار الآخرة بالعلم تعلما وتعليما وان لم يقصد به وجه الله والدار الآخرة بل نوى به غرضا من أغراض الدنيا فالهلاك يحصل له به وذلك لأنه اذا أراد به غير الله كان كالمستهزئ بالله ومثاله كمن يمثل بين يدي ملك قائم في معرض الخدمة وانما غرضه بذلك ملاحظة بعض غلمان الملك وجواريه فهذا جديره بالمقت والعقوبة ومما أحسن ما قيل في هذا المعنى :

تعلم ما استطعت لقصد وجهي * فان العلم من سفن النجاة
وليس العلم في الدنيا بفخر * اذا ما حل في غير الثقات
ومن طلب العلوم لغير وجهي * بعيد أن تراه من الهداة

الاعراب : هذا اسم اشارة مبتدأ اذا ظرف مجرد عن الشرطية متعلق بمحذوف خبر للمبتدا أي هذا كائن وقت قصد الاله وآخره وقصد فعل ماض وفاعله يعود على طالب العلم والجملة محلها جر بالاضافة والاله مفعوله وآخره معطوف على الاله والأصل وآخرة بالتاء وقف عليه بالهاء الساكنة كما هو قاعدة الوقف بالعلم متعلق بقصد الا أن شرطيه مدغمة في لا النافية وحذف فعل الشرط والأصل وان لم يقصد ذلك

كالملاك الكامل واقعة فى جواب الشرط الهلاك مبتدأ وجملة تحصلا خبر المبتدأ ومتعلقه محذوف أى تحصل له وجملة المبتدأ والخبر فى محل جزم جواب الشرط :

(وليحرمن عرف الجنان الفاخره * وليسقطن فى درك نار نازلا)

يعنى أن من قصد بالعلم غير الله تعالى يحرمه الله تعالى عرف الجنان الفاخرة أى ريح الجنة الطيبة ويسقطه فى درك نار نازلا والاول مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة والعرض متاع الدنيا والعرف بفتح العين واسكان الراء الريح الطيبة والثانى مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليجارى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله فى النار وفى رواية فليتبوأ مقعده من النار .

الاعراب : وليحرمن الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وسكنت للوزن ويحرمن فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة أو اللام لام الأمر ويحرمن فى محل جزم وعليه يكون هو بمعنى الخبر وأتى به على صورة الامر إعلاما بأنه محصل كما قيل به فى قوله تعالى « فليمدد له الرحمن مدا » وعلى كل الفعل مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر يعود على من يقصد بعلمه غير وجه الله تعالى وهو المفعول الاول وعرف مفعوله الثانى والجنان مضاف اليه والفاخرة صفة الجنان وليسقطن الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وسكنت للوزن أو لام الأمر على نسق ما تقدم ويسقطن فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة والفاعل مستتر يعود على من يقصد به غير الله تعالى وفى درك متعلق بيسقطن ونار مضاف اليه ونازلا حال مؤكدة من فاعل يسقطن :

(رجل به يؤتى غدا يلقى به * فى النار تخرج منه أمعاء جلا
فيها يدور كما يدور حمارنا * برحاه تطحن كالحصيد تذللا
فيجىء من فى النار يسأله أما * قد كنت تأمرنا وتنهى مقبلا
فيقول يا قومى بلى لكننى * ما كنت بالعلم المكرم عاملا)

ذكر هنا عقب البيت السابق زيادة التغليظ والتهديد لمن يقصد بعلمه غير الله تعالى ومعناه أن يؤتى بالرجل العالم يوم القيامة فيلقى فى النار وتخرج أمعاؤه ويدور بها فى النار كما يدور الحمار بالرحى وتطحن أمعاؤه كما يطحن الحصيد أى الزرع المحصود فيجىء أهل النار يسألونه ويقولون له يا مالك أما كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول لهم بلى يا قوم قد كنت آمركم بالمعروف وأنهاكم عن المنكر ولكنى ما كنت عاملا بالعلم المكرم فكنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه وهذا مقتبس من قول النبى صلى الله عليه وسلم يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فى النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أى فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه رواه الشيخان والتعذيب المذكور كما فى الشبرخيتى انما هو على فعل المنكر لا على انكاره وذلك لما

وليحرمن عرف الجنان الفاخره * وليسقطن فى درك نار نازلا) (قوله عرف الجنان الفاخرة) أى ريح الجنان الطيبة وهذا الشطر الاول مقتبس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة رواه أبو داود باسناد صحيح عن أبى هريرة كذا ذكره النووى فى التبيان وقال الغزالى فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الراس والشطر الثانى مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار رواه الترمذى عن كعب بن مالك (قوله ليجارى به العلماء) أى يجرى معهم فى المناظرة والجدل ليظهر علمه للناس رياء وسمعة (قوله ليمارى به السفهاء) أى يحاججهم ويجادلهم (قوله يصرف به وجوه الناس اليه) أى يصرف به وجوه العوام اليه بغية تحصيل المال والجاه هذا أفاده العزيزى :

(رجل به يؤتى غدا يلقى به * فى النار تخرج منه أمعاء جلا
فيها يدور كما يدور حمارنا * برحاه تطحن كالحصيد تذللا
فيجىء من فى النار يسأله أما * قد كنت تأمرنا وتنهى مقبلا
فيقول يا قومى بلى لكننى * ما كنت بالعلم المكرم عاملا) هذه الأبيات الأربعة مأخوذة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه كذا ذكره الغزالى من حديث أسامة بن زيد وهذا التعذيب انما هو على فعل المنكر لا على انكاره لان الطبرانى روى من حديث أنس أنه قال قلت يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نفعله ولا

تهى عن المنكر حتى نجتنبه فقال مروا بالمعروف وان لم تفعلوه وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه أى لانه يجب ترك المنكر وانكاره فلا يسقط أحدهما بترك الآخر كذا أفاده الشبرخيتى ويسن أن يقول حالة ازالة المنكر جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق ومايبدئ الباطل وما يعيد

وقال على كرم الله وجهه من نصب نفسه للناس إماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم.. وأنشدوا من بحر الكامل:

يأيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا كيما يصح به وأنت سقيم ونراك تصلح بالرشاد عقولنا أبدا وأنت من الرشاد عديم فابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم فهناك يقبل ماتقول ويهتدى بالقول منك وينفع التعليم لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

روي عن أنس رضى الله عنه أنه قال قلت يارسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نفعله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه فقال مروا بالمعروف وإن لم تفعلوه وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه . والحاصل الواجب عليه شيئان ترك المنكر وانكاره فلا يسقط أحدهما بترك الآخر ولكن يقبح على المرء أن ينهى غيره ولا ينتهى ويأمر غيره ولا يأتمر وما أحسن قول بعضهم :

يأيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا * كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا * أبدا وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ماتقول ويهتدى * بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك إذا فعلت عظيم

وما أحسن قول بعضهم أيضا

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما * اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا * فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها * وأنت أكثر منهم رغبة فيها

الاعراب : رجل مبتدأ وسوغ الابتداء به وصفه بالجملة بعده به متعلق بيؤتى ونائب فاعله قدم عليه للضرورة ويؤتى فعل مضارع والجملة فى محل رفع صفة له وغدا ظرف زمان متعلق به يلقى فعل مضارع وبه نائب فاعله فى النار متعلق بيلقى والجملة خبر المبتدأ وتخرج فعل مضارع وهو على حذف الفاء التفريعية للضرورة ومنه متعلق بتخرج وأمعاء فاعله وهو جمع معى قال فى المصباح المعى المصران وقصره أشهر من المد وجمعه أمعاء مثل عنب وأعناب وجمع الممدود أمعية مثل حمار وأحمرة اه وجلا فعل ماض والفاعل مستتر يعود على الخروج والجملة صفة لمصدر تخرج مقدر أى تخرج خروجا جلا أى ظاهرا أو بها الفاء تفريعية أيضا وبها متعلق بيدور وهو فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على من يقصد بعلمه غير وجه الله تعالى كما يدور الكاف حرف تشبيه وجر وما مصدرية ويدور فعل مضارع وحمار فاعله برحاه متعلق بيدور وتطحن فعل مضارع مبنى للمجهول ونائب فاعله يعود على أمعاء والجملة فى محل نصب حال من ضمير بها ويحتمل أن تكون تطحن مبنيا للمعلوم وفاعله يعود على رحاه وعليه تكون الكاف من كالحصيد زائدة بخلافه على الأول فانها أصلية مقدر بعدها مضاف والتقدير عليه فيدور بالأمعاء حال كونها تطحن تحت رجله كطحن الحصيد أى الزرع المحصود كدوران الحمار برحاه والتقدير على الثانى فيدور بأمعائه كدوران الحمار بالرحى حال كونها تطحن الحصيد والاحتمال الأول أولى لأن فيه التنصيص على طحن الأمعاء فيوافق الحديث المقتبس منه وتذللا مصدر بمعنى اسم الفاعل حال من فاعل يدور الاول أو الثانى فيجيء الفاء عاطفة ويجيء فعل مضارع ومن اسم موصول فى محل رفع فاعل الفعل وفى النار متعلق بمحذوف صلة الموصول أى الذى استقر فى النار ويسأله فعل مضارع وفاعله يعود على من والهاء مفعوله

(قوله جلا) بفتح الجيم والمد يقصر هنا للضرورة أى خروجا فهو مفعول مطلق وعامله تخرج أو تجلو مقدرا على الخلاف بين النحاة وهو مصدر جلوت عن البلد أى خرجت كذا فى المصباح (قوله تطحن) بالبناء للمفعول ونائب الفاعل ضمير عائد على الأمعاء (قوله كالحصيد) أى كالبر ونحوه (قوله تذللا) مصدر بمعنى اسم الفاعل حال من فاعل والجملة يدور وانما كان هذا الرجل العالم يدور وتخرج أمعاؤه ويطحنها يوم القيامة لانه كان فى الدنيا أتعب نفسه بأمر الناس ونهيهم وارشادهم وأخرج ذلك عن نفسه ولم يعمله فان الجزاء من جنس العمل (قوله يسأل) جملة حالية من فاعل يجيء أو معطوف على يجيء بحذف العاطف (قوله بالعلم) متعلق بعاملا قال صلى الله عليه وسلم لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقوله مقبلا حال من فاعل يجيء باعتبار لفظه.

والجملة فى محل نصب حال من فاعل يجىء أى يجىء حال كونه سائلا أما الهمزة للاستفهام وما نافية قد للتحقيق كنت فعل ماض والتاء اسمها وجملة تأمر نا فى محل نصب خبر كان وتنهى معطوف على تأمر ومفعوله محذوف أى وتنهانا ومقبلا حال من فاعل تأمر وفاعل تنهى والاستفهام علق تسأل عن المفعول الثانى فيقول الفاء عاطفة ويقول فعل مضارع والفاعل يعود على من يقصد بعلمه غير وجه الله والمراد يقول جوابا لهم ياقوم يا للنداء وقومى منادى منصوب لأنه مضاف الى ياء المتكلم بلى حرف جواب أى بلى كنت آمر وأنهى لكنى لكن حرف استدراك ونصب والنون للوقاية والياء اسمها ما كنت ما نافية وكان فعل ماض والتاء اسمها مبنى على الضم بالعلم متعلق بعاملا وعاملا خبر كان أى ما كنت عاملا بالعلم المكرم :

(يعصى امرؤ قد رام غير إلهه * وثواب أخرى بالتعلم غافلا)

هذا استئناف قصد به جواب سؤال ناشئ مما قبله فكأن سائلا قال لأى شيء استحق من ذكر العذاب الشديد فأجاب أن ذلك بسبب عصيانه بقصده غير وجه الله بعلمه وغير ثواب الآخرة وهذا يغنى عنه البيت السابق أعنى قوله هذا اذا قصد الخ إلا أن يقال إن ما هنا قاصر على التعلم وما هناك أعم فيكون من قبيل ذكر الخاص بعد العام لفائدة وهى زيادة التقريع والتهديد أو يقال إن البيت السابق ليس فيه التصريح بالعصيان وإن كان لازما للهلاك وهنا فيه التصريح بذلك فتنبه . والمعنى أنه يعصى من رام بتعلمه غير وجه الله وغير ثواب الآخرة وذلك كأن يطلب العلم ليكتسب به مالا أو ينال به عند الخلق مرتبة أو يستفيد به بين عشيرته وأقاربه عزا واحتراما أو ليدفع عن نفسه نكد الأقران أو أذى الجيران ومن كان كذلك يصير متعرضا لسخط الله تعالى منخرطا فى سلك علماء السوء متعرضا للوعيد الوارد فى حقهم كما ورد فى حق بلعام بن باعوراء حيث وصفه الله بالغواية واتباع الشيطان والانسلاخ من آيات الله تعالى وشبهه بالكلب فقال تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ الآية كل ذلك لأنه اتبع هواه وقصد غير وجه مولاه بعد أن كان فى مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه العلم وكان اذا نظر يرى العرش فنسأل الله الإخلاص فى العلم والعمل بجاه النبى المكمل آمين .

الاعراب : يعصى فعل مضارع امرؤ فاعله قد رام قد حرف تحقيق رام فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على امرؤ والجملة فى محل رفع صفة له ، وغير مفعوله ومضاف الى إلهه وثواب بالجر معطوف على إلهه أى وغير ثواب الآخرة وهو مضاف وأخرى مضاف اليه بالتعلم متعلق برام وغافلا حال من فاعله ومتعلقه محذوف أى عن عاقبة أمره :

(حرم عليه جراية المتفقه * الا بعلم نافع متشاغلا)

يعنى أنه يحرم على من يقصد بتعلمه غير وجه الله أن يأخذ من الجرايات أى الغلات المعينة على المتفقهين ويحرم أيضا على المتولى لذلك إعطاؤه وتحل لمن يشتغل بالعلم النافع وهو ما يزيد فى خوفك من الله وفى تبصرك بعيوب نفسك ويقلل من رغبتك فى الدنيا ويزيد فى رغبتك فى الآخرة ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها ويطلعك على مكايد الشيطان وغروره .

الاعراب : حرم بكسر الحاء وسكون الراء لغة فى حرام وهو خبر مقدم وعليه متعلق به وجراية مبتدأ مؤخر وهو مضاف والمتفقه مضاف اليه والا أداة استثناء ملغاة لا عمل لها وبعلم متعلق بمتشاغلا ونافع صفة لعلم ومتشاغلا منصوب بكان مقدرة على أنه خبرها واسمها ضمير يعود على مطلق متعلم أى الا أن كان المتعلم متشاغلا بعلم نافع فلا يحرم عليه أخذ الجراية :

أى قد عصى من طلب علما غافلا عن نية صحيحة بأن طلبه من غير طلب رضا الله ومن غير طلب ثواب الآخرة . قال سهل رحمه الله تعالى العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال أيضا الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون كلهم مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدرى ماذا يختم له به وقال عليه السلام خلق الله تعالى الدنيا للعبرة لا للعمارة وخلق العمر للتعبد لا للتنعم وخلق المال للانفاق لا للامساك وخلق العلم للعمل لا للمفارقة والجدال .

(حرم عليه جراية المتفقه الا بعلم نافع متشاغلا) أى الجراية المخصوصة بالمتعلمين للفقه حرام على من يقصد بالتعلم غير الله وغير الدار الآخرة ولا يجوز لمتولى الخيرات أو الوصايا أو الأوقاف اعطاؤها له ولا يجوز له تناولها اذا علم أن الذى أعطاه من الجرايات المعينة للمتفقهين وتحل تلك الجراية لمن يشتغل بعلم نافع وهو ما يزيد فى الخوف من الله وفى المعرفة بعيوب النفس والعبادة ويقلل الرغبة فى الدنيا ويزيد الرغبة فى الآخرة ويدل على مكايد الشيطان

(قوله حرم) خبر مقدم وهو بفتح الحاء والراء لأن لفظ حرام قد يقصر مثل رمان ورمن أو بكسر الحاء وسكون الراء وهو لغة كذا فى

(وكذاك يعصي من يعلم ذلكا * إلا لعلم نافع لا جاهلا)

كان الأولى تقديم هذا البيت على الذي قبله أي وكما أن المرء يعصي بالتعلم اذا قصد به غير وجه الله تعالى يعصي أيضا من يعلم ذلك المرء إذا كان عالما بنيته لأنه يصير معيناله على المعصية والاعانة على المعصية معصية واذا كان عاصيا بتعليمه فيجب منعه من التعليم لأن المنع من المعصية واجب فان كان جاهلا بنيته جاز له تعليمه لكونه معذورا بجهله. واعلم أن معلم من فسدت نيته كبائع سيف على قاطع طريق فكما أن العلم يصلح لأن يتقرب به إلى الله تعالى كالسيف يصلح للحرب لأن يغزى به فيضرب به رقاب أعدائه فمن علم ممن طلب السيف أنه يريد أن يستعمله في قطع الطريق و إيذاء المسلمين حرم عليه بذله له وكذلك العلم فمن علم ممن طلبه أنه يريد أن يتعلمه لقطع طريق الدين على عباد الله تعالى حرم عليه بذله له بل هذا أسوأ حالا وأضر من ذاك لأنه به يحصل نقصان الدين وذاك يحصل به نقصان الدنيا ومصيبة الدين أعظم فنسأل الله السلامة نعم اذا علمه العلم النافع الذي يزيل عنه هذا الداء فلا يعصي بتعليمه إياه بل يجب عليه لأن هذا مرض في قلبه وعلاجه هذا النوع من العلم النافع وهو كل علم فيه تخويف وتحذير ومن جملته علم القرآن والأخبار.

الاعراب: وكذاك الواو عاطفة والكاف حرف تشبيه وجر وذا اسم إشارة مبني على السكون في محل جر والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمصدر محذوف أي يعصي المعلم عصيانا كعصيان المتعلم عند فساد نيته ويعصي فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ومن اسم موصول فاعله ويعلم فعل مضارع وفاعله يعود على من والجملة صلة الموصول وذلك اسم اشارة عائد للمرء الذي رام غير إلهه وهو مبني على السكون في محل نصب مفعول يعلم الأول ومفعوله الثاني محذوف أي العلم إلا أداة حصر ملغاة لا عمل لها ولعلم اللام زائدة ومدخولها مفعول ثان لفعل محذوف أي إلا اذا علمه العلم النافع لا جاهلا لا عاطفة وجاهلا معطوف على محذوف أي يعصي إذا كان عالما بنيته لا جاهلا بها كما يعلم من الحل السابق:

(فاذا رأى متعلما يكبو على الشهوات متبعا هواه معاملا
متكالبا أيضا على روم الدنا * من غير منهاج مباح فائلا
أوقد تعاطى علم فرض كفاية * من قبل فرض العين علما وابتلا
فلقد تبين من قرائن حاله * قصد لغير الله فيه تغفلا)

لما ذكر في البيت السابق عصيان تعليم من يتعلم لغير وجهه تعالى وثواب الآخرة وكان القصد الذكور خفيا لا يطلع عليه للعلم اذ محله القلب وله علامات تدل عليه ذكرها فقال فاذا رأى الخ يعني فاذا رأى المعلم متعلما يكبو على الشهوات أي يرغب فيها حال كونه متبعا هواه في معاملاته وحال كونه متكالبا أيضا على تحصيل الدنيا أي شديد الحرص على ذلك من غير منهاج مباح أي طريق شرعي وحال كونه فائلا أي ضعيف الرأي ومخطئه كما في الشرح وكما يؤخذ من عبارة الصحاح أو رآه قد تعاطى وتناول تحصيل علم فرض الكفاية من قبل تعاطيه وتناوله فرض العين علما وعملا فقد تبين له حينئذ من هذه الأمور أنه قصد بتعلمه غير وجه الله تعالى وغير ثواب الآخرة. والحاصل اذا وجد عند المتعلم واحد من هذه العلامات فهو أمارة على أن قصده بتعلمه غير وجه الله تعالى وهي أن يكون مكبا على الشهوات متبعا هواه وأن يكون مسارعا في طلب الدنيا عاكفا عليها من غير طريق مباح شرعا وأن يكون مشتغلا بتعلم فرض الكفاية كالنحو والصرف والمعاني والطب قبل اشتغاله بتعلم فرض العين أو العمل به. ويروى أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في رأس العلم فقال وما رأس العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ما شاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ما شاء الله قال

صلى

المصباح (قوله تعلم) متعلق بمتشاغلا:

(وكذاك يعصي من يعلم ذلكا
إلا لعلم نافع لا جاهلا)

أي لا يجوز للمعلم أن يعلم ذلك المرء لأنه يصير معينا له على المعصية وهو كبائع سلاح لقاطع طريق فيشترك في الاثم الا اذا علمه علما نافعا يداوي به داء قلبه فيجوز تعليمه ومحل عدم جواز تعليم المعلم غير العلم الذي يداوي القلب اذا كان عالما بقصد ذلك المرء والا جاز لكونه معذورا بجهل حاله (قوله جاهلا) معطوف على محذوف هو حال من فاعل يعصي أو فاعل يعلم.

(فاذا رأى متعلما يكبو على الشهوات متبعا هواه معاملا
متكالبا أيضا على روم الدنا
من غير منهاج مباح فائلا
أوقد تعاطى علم فرض كفاية
من قبل فرض العين علما وابتلا
فلقد تبين من قرائن حاله
قصد لغير الله فيه تغفلا)

صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ماهناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم .

الاعراب : فاذا الفاء عاطفة واذا ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه ورأى فعل ماض وفاعله يعود على المعلم متعلما مفعول أول لرأى ان كانت غير بصرية ويكبو فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الواو منع من ظهورها النقل والفاعل يعود على متعلما والجملة فى محل المفعول الثانى ومعنى يكبو يسقط على وجهه يقال كبا لوجهه سقط كذا فى المختار والمراد به هنا يرغب و يسترسل فيها وعلى الشهوات متعلق به ومتبعا حال من فاعل يكبو وهواه مفعوله ومعاملا بضم الميم الأولى وفتح الثانية منصوب باسقاط الخافض أى فى المعاملة وحذفت منه التاء للضرورة و يحتمل أن يكون بكسر الميم الثانية على أنه اسم فاعل ومفعوله محذوف أى معاملا إياه أى هواه وعليه يكون حالا ثانية ذكرت بعد الأولى للتأكيد متكالبا حال ثالثة على الاحتمال الثانى فى معاملا وعلى الاحتمال الأول حال ثانية أيضا مفعول مطلق على روم متعلق بمتكالبا والرنا لغة فى الدنيا مضاف اليه ومن غير متعلق بروم ومنهاج مضاف اليه ومباح صفة له وفاتلا حال رابعة من فاعل يكبو ان كان متكالبا حالا ثانية أو قد تعاطى معطوف على يكبو فيكون لفظ رأى مسلطا عليه علم مفعول تعاطى وهو مضاف لفرض وهو مضاف لكفاية ومن قبل متعلق بتعاطى وهو مضاف لفرض وهو مضاف للعين وعلما حال من فرض العين وابتلا معطوف على علما ومعناه الاختبار والمراد الاختبار بما علمه أى العمل به فلقد الفاء واقعة فى جواب اذا واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وتبين فعل ماض من قرائن متعلق به وهى مضاف وحاله مضاف اليه والاضافة للبيان أى قرائن هى حاله المذكورة من كونه مكبا على الشهوات الخ قصد فاعل تبين لغير الله متعلق بقصد فيه متعلق بما بعده وتوغلا فعل ماض ومعناه دخل وفاعله ضمير يعود على المتعلم والجملة صفة لقصد والرابط ضمير فيه لأنه عائد على قصد أى قصد لغير الله دخل المتعلم فيه :

(وكذا اذا ترك الصلاة جماعة ❁ من غير عذر بل بأن يتكاسلا)

يعنى ومثل ماتقدم من الاكباب على الشهوات وما بعده ترك المتعلم الصلاة جماعة تكاسلا من غير عذر شرعى من أعذار ترك الجماعة كمطر وفقد ثوب لائق فانه يتبين به قصد غير الله تعالى وثواب الآخرة فانه لو كان يطلب العلم لزيادة الدين وسعادة الآخرة لم يتركها لأن صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ أى المنفرد بسبع وعشرين درجة فاذا كان زيادة سبع وعشرين درجة لاتصده عن هذا الكسل فمتى يرجى خيره وصلح نيته وكيف يتأتى منه العمل بالعلم وتجرع مرارة التقوى والكف عن الدنيا فنسأل الله التوفيق كما يحبه ويرضاه بجاه خير أنبياء آمين .

الاعراب : وكذا الواو عاطفة والجار والمجرور خبر ليكون مقدرة هى جواب اذا واذا ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه وترك فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على المتعلم والصلاة مفعوله وجماعة حال من الصلاة فهى قيد فى الصلاة وهو المراد من غير عذر متعلق بترك بل حرف اضراب انتقالى بأن الباء سببية وأن مصدرية ويتكاسلا فعل مضارع منصوب بأن :

(وكذاك ترك للرواتب والسنن ❁ ان أكدت فاعلمه واصح تبتلا)

يعنى ومثل ماتقدم من القرائن الدالة على فساد نية المتعلم تركه للرواتب والسنن المؤكدة فانه لو كان يطلب العلم لزيادة الدين وسعادة الآخرة لاشتغل بما يوصله الى ذلك وهو رواتب الصلوات المؤكدة والسنن المؤكدة كالضحى والوتر فان نفس المتعلم لله تعالى لاتسمح بالتهاون بها أصلا لما فيها من الفضائل والثواب فاعلم جميع

وكذا اذا ترك الصلاة جماعة ❁ من غير عذر بل بأن يتكاسلا وكذاك ترك للرواتب والسنن ❁ ان أكدت فاعلمه واصح تبتلا)

أشار الناظم بهذه الأبيات الستة الى أنه اذا وجد عند المتعلم واحد من هذه العلامات الخمسة تبين أن قصده بالعلم غير ثواب الله تعالى فى الآخرة. الأولى أى يكون مقبلا على الشهوات متبعا هواه متصرفا فى أمرها . الثانية أن يكون مسارعا فى طلب الدنيا عاكفا عليها من غير طريق مباح شرعا. الثالثة أن يكون مشتغلا بعلم فرض كفاية كالنحو والصرف والمعانى والطب والحساب قبل فراغه من تعلم فرض العين وعمله . الرابعة أن يكون تاركا للصلاة فى الجماعة من غير عذر من أعذار الجماعة . الخامسة أن يكون تاركا للرواتب المؤكدة والسنن المؤكدة قال بعضهم إنى رأيت الناس فى عصرنا لا يطلبون العلم للعمل إلا مباهاة لأصحابه وعدة للغش والظلم (قوله معاملا) بكسر الميم أى متصرفا فى هواه وهو حال من فاعل متبعا ان جعلناه حالا متداخلة وهى أولى أو حال من الضمير فى يكبو إن جعلناه حالا مترادفة وهى حال ثانية (قوله فاتلا) بالفاء ثم بالهمزة أى ما كرا وهو مأخوذ من قول الشيخ اسمعيل فى الصحاح والفئال لعبة للصبيان يخبئون الشيء فى التراب ثم يقسمونه ويقولون فى أيهما هو (قوله وابتلا) أى اختبارا للعلم وهو العمل به (قوله فيه توغلا) بالغينين أى فى ذلك القصد دخل وأسرع السير (قوله فاعلمه) أى افهم المذكور (قوله واصح تبتلا) اى تنبه حال كونك منقطعا الى الله عن الدنيا :

ماتقدم من العلامات أيها المتعلم واصح عن غفلتك متبتلا الى الله تعالى فى اصلاح نيتك فى طلب العلم .

الاعراب : الواو عاطفة كذاك الكاف حرف تشبيه وجر وذا اسم اشارة مبنى على السكون فى محل جر والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم وترك مبتدأ مؤخر والرواتب متعلق بترك والسنن معطوف عليه عطف عام على خاص وان شرطية وأكدت فعل ماض والتاء للتأنيث ونائب فاعله يعود على المذكورات من الرواتب والسنن فاعلمه الفاء فاء الفصيحة واقعة فى جواب شرط مقدر ، واعلم فعل أمر وفاعله ومفعوله أى إذا تقرر لك جميع ماذكر فاعلمه واصح فعل أمر مبنى على حذف الواو والضمة قبلها دليل عليها والفاعل مستتر تقديره أنت ومتبتلا حال بتأويلها باسم الفاعل أى متبتلا :

(ولعالم الأخرى علامات ترى * لايطلب الدنيا بعلم مسائلا)
(ولذاك آيات تكون كثيرة * أن لا يخالف قوله مايفعلا)
(ويكون بالمأمور أول عامل * وعن الذى ينهى يجنب أولا)

لما أنهى الكلام على بيان فضيلة العلم وفضيلة التعلم وبيان الوعيد الشديد على من يقصد بعلمه غير وجه الله تعالى والثواب فى الآخرة شرع فى بيان علامات علماء الآخرة وهم علماء الدين للتميز بينهم وبين علماء الدنيا وهم علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها فقال ولعالم الأخرى علامات ترى الخ يعنى أن لعالم الآخرة علامات تميزه عن غيره من عالم السوء الأولى من العلامات أن لايطلب الدنيا بعلم المسائل التى تعلمها ولعدم طلب الدنيا بعلمها آيات أى دلائل كثيرة منها أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدرتها وانصرامها ومنها أن يدرك عظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ومنها أن يعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وأنهما ككفتى الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى الثانية من العلامات أن لايخالف قوله فعله بل يكون أول عامل لما يأمر به وأول مجتنب لما ينهى عنه قال الله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون وقال تعالى فى قصة سيدنا شعيب وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه .

الاعراب : ولعالم الأخرى خبر مقدم وعلامات مبتدأ مؤخر ترى فعل مضارع مبنى للمجهول ونائب فاعله يعود على علامات والجملة صفة لايطلب لانافية ويطلب فعل مضارع منصوب بأن مقدرة سهله وجودها فيما بعد وفاعله يعود على عالم الآخرة الدنيا مفعوله بعلم متعلق بيطلب وهو مضاف ومسائلا مضاف اليه مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لاينصرف والمانع له من الصرف صيغة منتهى الجموع ولذاك الواو عاطفة لذاك اللام جارة وذا اسم اشارة عائد لعدم طلب الدنيا بالعلم مجرور باللام والجار والمجرور خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر وتكون فعل مضارع وهى زائدة بين الموصوف وصفته وكثيرة بالرفع صفة لآيات أن لايخالف أن مصدرية ولا نافية ويخالف منصوب بأن وأن ومابعدها فى تأويل مصدر معطوف بعاطف محذوف على المصدر المؤول من أن لايطلب وجملة لذاك آيات معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وهذا هو الذى يدل عليه كلام الغزالى فى الاحياء لأنه ذكر علامات علماء الآخرة ورتبها على الترتيب الذى رتب عليه كلام الناظم فجعل الأول منها قوله أن لايطلب والثانى قوله أن لايخالف فتنبه وقوله فاعل يخالف وما مصدر به ويفعل فعل مضارع وفتح آخره لأجل اتحاد القوافى ولمناسبة ألف الاطلاق ويكون الواو عاطفة ويكون فعل مضارع منصوب بأن مقدرة واسمها يعود على عالم الآخرة وأن ومابعدها فى تأويل مصدر معطوف على عدم المستفاد من حرف النفى المضاف لمصدر يخالف أى من علامات عالم الآخرة عدم المخالفة وكونه الخ فالمصدر المذكور يقرأ بالرفع لعطفه على المرفوع وهو لفظ عدم وبالمأمور متعلق بعامل بعده وأول خبر يكون وهو مضاف لما بعده وعن الذى الواو عاطفة

(ولعالم الأخرى علامات ترى
لايطلب الدنيا بعلم مسائلا)
(قوله مسائل) مضاف اليه أى لعالم الآخرة الفائز بالقرب علامات تعلم عما يأتى وهو الذى لايطلب الدنيا بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة وجلالة ملكها وصفاء نعيمها ودوامها ويعلم أنهما متضادتان لأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وأنهما ككفتى الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من إحداهما بعدت عن الأخرى وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ماتصب منه فى الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر فان من لايعرف ذلك فهو فاسد العقل كذا أفاده الغزالى فى الاحياء :
(ولذاك آيات تكون كثيرة
أن لايخالف قوله مايفعلا
ويكون بالمأمور أول عامل
وعن الذى ينهى تجنب أولا

وعن

وعن زائدة أو أصلية بتضمين للتعلق وهو تجنب بمعنى تباعد وينهى فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يعود على عالم الآخرة والعائد على الذي محذوف وتجنب فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على عالم الآخرة والجملة خبر يكون مقدرة أو لا ظرف متعلق بتجنب والتقدير يكون متجنبا أولا الأمر الذي ينهى عنه :

(ويكون معتنيا بعلم أرغبا * فى طاعة ناه عن الدنيا اجتلا
متوقيا علما يكون مكثرا * قيلا وقالا والجدال مسولا)

هذه العلامة الثالثة من علامات عالم الآخرة أى ومن علاماته أن يكون معتنيا بتحصيل العلم النافع المرغب فى الطاعة الناهى عن الدنيا ويكون متوقيا علما ويكون مكثرا قيلا وقالا أى فضول ما يتحدث به المتجالسون مأخوذ من قولهم قيل كذا وقال فلان كذا يكون مسولا للجدال أى مزينا له قال فى الاحياء ينبغى أن يكون التعلم من جنس ما روى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخى رضى الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتنى قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت منى فى هذه المدة قال ثمان مسائل قال شقيق له « إنا لله وإنا إليه راجعون » ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإنى لا أحب أن أكذب فقال هات هذه الثمان مسائل حتى أسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبى فاذا دخلت القبر دخل محبوبى معى فقال أحسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت فى قول الله عز وجل « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة أنى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شىء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت الى قول الله عز وجل « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » فكلما وقع معى شىء له قيمة ومقدار وجهته الى الله ليبقى عنده محفوظا الرابعة أنى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هى لا شىء ثم نظرت الى قول الله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم فعملت بالتقوى حتى أكون عند الله كريما الخامسة أنى نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه فتركت عداوة الخلق عنى السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قول الله عز وجل « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » فعاديته وحده واجتهدت فى أخذ حذرى منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لى فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » فعلمت أنى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى على وتركت ما لى عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق مثلهم فرجعت الى قوله تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبى قال شقيق يا حاتم وفقك الله تعالى فانى نظرت فى علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة :

الاعراب : ويكون الواو عاطفة ويكون فعل مضارع منصوب بأن مقدرة واسمها يعود على عالم الآخرة وأن وما بعدها معطوف على أن لا يطلب الذى هو العلامة الاولى من علامات عالم الآخرة

و يكون معتنيا بعلم أرغبا
فى طاعة ناه عن الدنيا
اجتلا
متوقيا علما يكون مكثرا
قيلا وقالا والجدال مسولا

ومجتنبا خبر يكون و بعلم متعلق بمجتنبا ورغبا بتشديد الغين فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على علم والألف للاطلاق والجملة فى محل جر صفة لعلم فى طاعة متعلق برغبا ناء صفة ثانية لعلم مجرور بكسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها الثقل وأصله ناءى استثقلت الكسرة على الياء فحذفت لالتقاء الساكنين عن الدنيا متعلق بناء واجتلا فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على علم والجملة صفة ثالثة أى بعلم موصوف بالاجتلا أى الظهور والوضوح متوقيا خبر ثان ليكون أو معطوف عليه بحذف حرف العطف وكيلا مفعوله يكون فعل مضارع واسمها مستتر يعود على علما ومكثرا خبرها والجملة صفة لعلما وقيلا مفعول مكثرا وقالا معطوف عليه والجدال الواو عاطفة والجدال مفعول مقدم لمسولا ومسولا معطوف على مكثرا أى و يكون مسولا الجدال أى مزينا له مع قلة نفعه :

(ويكون مجتنبا ترفه مطعم * وبمسكن وأثاث ذاك تجملا
وتنعما وتزينا بلباسه * والى القناعة والتقلل مائلا)

هذه العلامة الرابعة لعالم الآخرة أى ومن علاماته أن يكون مجتنبا الترفه فى المطعم والتجمل فى المسكن وفى أثاثه أى متاعه ومجتنبا التنعم والتزين فى لباسه ويكون مائلا الى القناعة والتقلل فى جميع ذلك ما أمكنه أخذا بالحزم واقتداء بالسلف :

الاعراب : ويكون الواو عاطفة ويكون فعل مضارع منصوب بأن مقدرة وأن وما بعدها معطوف على أن لا يطلب أيضا ومجتنبا خبرها وترفه مفعوله ومطعم مضاف اليه وبمسكن الواو عاطفة بمسكن متعلق بتجملا وأثاث معطوف على مسكن وذاك مضاف الى اسم الاشارة العائد على المسكن وتجملا معطوف على ترفه وتنعما معطوف على ترفه وتزينا معطوف على تنعما وبلباسه متعلق بكل من تنعما وتزينا والى القناعة الواو عاطفة والجار والمجرور متعلق بمائلا والتقلل معطوف على القناعة ومائلا معطوف على مجتنبا

(ويكون منقبضا عن السلطان ذا * أن لا يكون عليه يوما داخلا
إلا لنصح أو لدفع مظالم * أو للشفاعة فى المراضى فادخلا)

هذه العلامة الخامسة من علامات عالم الآخرة أى ومن علاماته أن يكون منقبضا متباعدا عن مخالطة السلطان وزيارته والمراد بكل من كان له سلطنة وولاية فى محل سواء كان الخليفة أو غيره لأن المخالط لا يخلو أما أن يلتفت الى تجمله وكثرة ماله فيزدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الانكار عليه فيكون مداهنا له أو يتكلف فى كلامه كلاما لمرضاته وتحسين حاله فيكون بهتانا صريحا أو يطمع فى أن ينال من دنياه فيكون آكلا للسحت وقد احترز الأولون من الدخول على السلاطين لما روى عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن فى جهنم واديا اذا فتح استجارت منه النار سبعين مرة أعده للقراء المرائين وأشد القراء عذابا الذين يدارون الأمراء . وكتب سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى الحسن البصرى أما بعد فأشر على بقوم أستعين بهم على أمر الله تعالى فكتب اليه أما أهل الدين فلن يريدوك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف فانهم يصونون شرفهم عن أن يدنسوه بالخيانة فهذا عمر بن عبد العزيز ذكر له أن أهل الدين لن يريدوك وكان أزهد أهل زمانه ، وقال أبو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقى اليه أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى أن يخيل اليه أن الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويداهن ويخوض فى الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا اشتغلوا

ويكون مجتنبا ترفه مطعم وبمسكن وأثاث ذاك تجملا
وتنعما وتزينا بلباسه والى القناعة والتقلل مائلا
ويكون منقبضا عن السلطان ذا أن لا يكون عليه يوما داخلا
الا لنصح أو لدفع مظالم أو للشفاعة فى المراضى فادخلا

فاذا شغلوا أفقدوا فاذا افقدوا أطلبوا فاذا طلبوا أهربوا اه ثم ان الناظم ذكر أشياء تسوغ له الدخول على السلطان وهي نصحه له ودفع المظالم والشفاعة في المراضي فاذا كان دخوله لواحد من هذه الأشياء فلا بأس به لكن مع قطع الطمع عن ماله وجاهه حتى تنفذ النصيحة وتقبل الشفاعة ،

الاعراب : ويكون الواو عاطفة ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وأن وما بعدها معطوفان على أن لايطلب واسمها يعود على عالم الآخرة منقبضا خبرها عن السلطان متعلق به كذا اسم إشارة مبتدأ وهو يعود على الانقباض المفهوم من منقبضا أن لايكون أن مصدرية لا نافية ويكون فعل مضارع منصوب بأن واسمها يعود على عالم الآخرة وعليه ويوما متعلقان بداخلا وهو خبر يكون والتقدير ذا أي انقباضه هو عدم كونه داخلا على السلطان يوما الا أداة حصر ملغاة لا عمل لها ولنصح متعلق بداخلا أو لدفع معطوف على لنصح ومظالم مضاف اليه صرف للضرورة وهو جمع مظلمة بفتح اللام لأنه بمعنى الحدث أي الظلم وكسر اللام غير مقيس أو لشفاعة معطوف على لنصح وفي المراضي متعلق بالشفاعة وهو جمع مرضاة والمراد في مرضاة الاله فاكة خلا الفاء للتفريع واكة خلا فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا :

(والى الفتاوى لايكون مسارعا * ويقول اسأل من يكون تأهلا

وأبى اجتهادا لا يكون تعينا * ويقول لا أدري اذا لم يسهلا)

هذه العلامة السادسة من علامات عالم الآخرة أي ومن علاماته أن لايكون مسارعا الى الفتاوى اذا سئل بل يقول له اسأل من يكون تأهل للفتاوى احتياطا وحزما ويمتنع من اجتهاد لا يكون متعينا عليه بأن وجد في غيره غنية عنه واذا لم يسهل الاجتهاد عليه يقول لا أدري ولا يستنكف . قال في الاحياء ومن علامات عالم الآخرة أن لايكون مسارعا الى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلي أفتى وان سئل عما يشك فيه قال لا أدري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري قال الشعبي لا أدري نصف العلم ومن سكت حيث لايدري لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس ولله در القائل :

وجاء حديث بحجة العالم الفتى * بمقالة لا أدري اذا جاء سائله

فان هو أخطاها وأجرى لسانه * بكل فتاو به أصيبت مقاتله

الاعراب : والى الفتاوى الواو عاطفة والجار والمجرور متعلق بمسارعا لا يكون لا نافية ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة واسمها مستتر يعود على عالم الآخرة وأن وما بعدها معطوفان على أن لا يطلب ومسارعا خبر يكون ويقول الواو عاطفة ويقول فعل مضارع منصوب بأن مقدرة والمصدر المؤول معطوف على لفظ عدم المستفاد من النفي المضاف الى المصدر المؤول والتقدير ومن علامات عالم الآخرة عدم كونه مسارعا الى الفتوى وقوله لمن سأله اسأل من يكون متأهلا للفتوى واسأل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ومن اسم موصول مفعول أول لاسأل ومفعوله الثاني محذوف أي عن الفتوى ويكون فعل مضارع واسمها يعود على من وتأهل فعل ماض وفاعله يعود على من والجملة خبر يكون وأبى الواو واو الحال بتقدير قد والجملة بعده في محل نصب حال من فاعل يقول واجتهادا مفعول أبى والتقدير ويقول ذلك حال كونه ممتنعا عن اجتهاد لا نافية ويكون فعل مضارع واسمها مستتر يعود على اجتهادا وتعينا فعل ماض وفاعله ضمير يعود على اجتهادا والجملة خبر يكون وجملة يكون الخ في محل نصب صفة لاجتهادا ويقول الواو

والى الفتاوى لايكون مسارعا
ويقول اسأل من يكون تأهلا
وأبى اجتهادا لايكون تعينا
ويقول لا أدري اذا لم يسهلا

للاستئناف ويقول فعل مضارع مرفوع وفاعله يعود على عالم الآخرة ولا أدرى مقول القول واذا ظرف لما يستقبل من الزمان ولم جازمة ويتجهلن فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا والتأكيد فيه قليل كما قال ابن مالك * وقل بعد ما ولم وبعد لا * وفاعل يتجهل ضمير يعود على الاجتهاد وجواب اذا محذوف يدل عليه ما قبله :

(ويكون يقصد بالعلوم وجوده * لسعادة العقبى العظيمة نائلا
فيكون مهتما بعلم الباطن * ورقاب قلب للسياسة فاعلا
متوقعا لطريق علم الآخره * مما يكون من المجاهدة انجلا)

هذه العلامة السابعة من علامات عالم الآخرة أى ومن علاماته أن يكون يقصد من العلوم العلم الذى ينيله ويوصله الى سعادة الآخرة وهو علم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه كما بينه بقوله فيكون الخ أى واذا قصد علم السعادة فيكون مهتما كثيرا بعلم الباطن ليعرف به ما يفسد الأعمال ويشوش القلوب وفاعلا أى متصفا بمراقبة قلبه لأجل سياسته أى تأديبه وتخلقه بأخلاق الحميدة ويكون متوقعا وراجيا انكشاف طريق الآخرة من المجاهدة فانها تفضى الى المشاهدة قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمجاهدة والجلوس مع الله فى الخلوة وتطهير القلب عن شواغل الدنيا تكشف دقائق علوم الدين وتنفجر ينابيع الحكمة من القلب من غير عد ولا حصر فتصفية القلب والجلوس فى الخلوة مع الله مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفى الكتب السالفة : يا بنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به الى الارض ولا فى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا بأخلاق الصديقين أظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم :

الاعراب : الواو عاطفة ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وأن وما بعدها معطوفان على أن لا يطلب واسمها مستتر يعود على عالم الآخرة وجملة يقصد خبرها وبالعلوم الباء بمعنى من متعلقة بيقصد ووجوده مفعوله وضميره يعود على شاعر مما قبله وهو العلم أى وجود العلم ولسعادة متعلق بنائلا وهى مضاف والعقبى مضاف اليه والعظيمة صفة لسعادة ونائلا أى محصلا حال من الضمير فى وجوده والتقدير ويكون يقصد من العلوم حصول العلم الذى ينال به سعادة العقبى فيكون الفاء عاطفة ويكون معطوف على يكون قبله واسمها يعود على عالم الآخرة ومهتما خبرها وبعلم الباطن متعلق بمهتما ورقاب الواو عاطفة ورقاب مفعول مقدم لفاعلا وهو مضاف وقلب مضاف اليه وللسياسة متعلق برقاب واللام تعليلية وفاعلا معطوف على مهتما ومتوقعا معطوف على مهتما بحذف حرف العطف ولطريق متعلق بانجلا آخر البيت ومما يكون من جارة وما اسم موصول والجار والمجرور متعلق بمتوقعا ويكون فعل مضارع وهى تامة وفاعلها ضمير يعود على ما ومن المجاهدة بيان لها فهو متعلق بمحذوف حال منها وانجلا بكسر الجيم مصدر انجلاء قصر للضرورة والتقدير ويكون متوقعا انجلاء أى انكشافا لطريق علم الآخرة من المجاهدة التى تكون أى توجد منه :

(ويكون معتمدا على تقليده * لشريعة وعلى بصيرته انجلا)

هذه الأبيات مأخوذة من كلام الغزالى فى الاحياء وحينئذ أنقله هنا لشرح هذه الأبيات أى لعالم الآخرة علامات سبع : إحداها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشىء ما لم يكن هو أول عامل به قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وقال الفضيل ابن عياض بلغنى أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات . وثانيها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة المرغب فى الطاعة مجتنبا للعلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال بل ينبغى أن يكون التعلم من جنس ما روى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخى رضى الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتنى ؟ قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت منى فى هذه المدة قال ثمان مسائل قال شقيق إنا لله وإنا اليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم الا ثمان مسائل قال يا أستاذ

لم أنظم غيرها وانى لأحب أن أكتب فقال حاتم ماهى حتى أسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبى فاذا دخلت القبر دخل محبوبى معى فقال أحسنت ياحاتم فما الثانية فقال نظرت فى قول الله تعالى «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى» فعلمت أن قوله تعالى هو الحق فأجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت فى طاعة الله تعالى الثالثة أنى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شىء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت الى قول الله تعالى «ما عندكم ينفد وما عند الله باق» فكلما وقع معى شىء له قيمة ومقدار وجهته الى الله ليبقى عنده محفوظا الرابعة أنى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والشرف والحسب فنظرت فيها فاذا هى لاشىء ثم نظرت الى قوله تعالى «ان أكرمكم عند الله أتقاكم» فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله كريما . الخامسة أنى نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم على بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قوله تعالى «نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا» فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة عند الله فتركت عداوة الخلق عنى . السادسة نظرت الى هذا الخلق يظلم بعضهم بعضا فرجعت الى قوله تعالى «ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا» فعاديته وحده واجتهدت فى أخذ حذرى منه

لان الله تعالى شهد عليه أنه عدو لى فتركت عداوة الخلق غيره السابعة . نظرت الى هذا الخلق فرأيت الواحد منهم يطلب كسرة الخبز فيذل بها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى «وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها» فعلمت أنى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علىّ وتركت مالى عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم متوكلين على مخلوق هذا على عقاره وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه فرجعت الى قوله تعالى «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» فتوكلت على الله فهو حسبى قال شقيق ياحاتم وفقك الله تعالى فانى نظرت فى علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة تدور على هذه الثمانية فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة . وثالثها أن يكون غير مائل الى الترفه فى المطعم والمشرب والتنعم فى الملبس والتجمل فى الأثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل الى الاكتفاء بالأقل فى جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع فى علماء الآخرة نصيبه قال على بن أبى طالب رضى الله وجهه من بحر الوافر :

رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللأعداء مال

فان المال يفنى عن قريب * وان العلم باق لا يزال

ورابعها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا . بل ينبغى أن يحترز عن مخالطتهم وان جاءوا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدى السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم إما أن يلتفت الى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف فى كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت . وخامسها أن لا يكون مسارعا الى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا

هذه العلامة الثامنة من علامات عالم الآخرة أى ومن علاماته أن يكونَ مُعتمِدا فى علومه على تقليده الشريعة أى لصاحبها فى أقواله وأفعاله ومعتمِدا على بصيرته فى الجلاء أى كشف أسرار تلك العلوم وادراك حِكَمِها ودقائقها . قال الإمام الغزالى فى الاحياء ومنها أى ومن علامات عالم الآخرة أن يكونَ اعتماده فى علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلَّد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فيما أمر به وقاله وانما يقلد الصحابة من حيث أن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا قلد صاحب الشرع فى تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكونَ حريصا على فهم أسراره فان المقلِّد انما يفعل الفعل لان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لابد أن يكونَ لسر فيه فينبغى أن يكونَ شديد البحث عن أسرار الاعمال والأقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك يقال كان فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحِكَم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار فى نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغى أن يقلد غيره .

الاعراب : ويكونَ الواو عاطفة ويكونَ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وأن وما بعدها معطوفان على أن لا يطلب وهو أول العلامات وهذا آخرها واسمها ضمير مستتر يعود على عالم الآخرة ومعتمدا خبرها ومتعلقه محذوف أى فى علومه وعلى تقليده متعلق بمعتمدا والشريعة متعلق بتقليد وهو على حذف مضاف قبل شريعة وبعد اللام أى لذى شريعة وعلى بصيرته معطوف على تقليده والجلا منصوب بنزع الخافض متعلق بمعتمدا المقدر وهو بكسر الجيم وفتحها الكشف أى ومعتمدا فى الجلاء على بصيرته :

فلن سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلى أفتى وان سئل عما يشك فيه قال لا أدرى وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره ان كان فى غيره غنية. وسادسها أن يكون قصده باشتغال العلوم تحصيل ثواب الله فى الآخرة وأن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء فى انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضى الى المشاهدة ودقائق علوم القلوب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تفى بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله تعالى فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر فى العمل ومراقبة القلب فتح الله من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب . وسابعها أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمع من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فيما أمر به وقاله وانما يقلد الصحابة من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا قلد صاحب الشرع فى تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكون حريصا على فهم أسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لابد أن يكون لسر فيه فينبغى أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك يقال كان فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار فى نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغى أن يقلد غيره (وله أرغبا) فعل ماض والألف للاطلاق وفاعله يعود الى علم والجملة صفة له وهو بالهمزة فى أوله أو بتشديد الغين وقوله تاه صفة ثانية (قوله اجتلى) فعل ماض وفاعله يعود الى علم والجملة صفة ثالثة له أى رفع ذلك العلم درجته فى الآخرة . (٧٦) وهو مأخوذ من اجتليت العمامة عن رأسى أى رفعتها عن الجبين (قوله مسولا خبر ثان ليكون أى مزينا لذلك (قوله تجملا) معطوف على ترفه وقوله بمسكن متعلق به فالواو داخلة على تجملا (قوله وأثاث ذلك) أى متاع ذلك المسكن (قوله وتنعما) معطوف على ترفه أى توسعا

(وأئمة كالشافعى ونحوه * كانوا على ست خصال كملا
زهد صلاح والعبادة علمهم * بعلوم عقبى نافعات لمن تلا
وكذا الفقاهة فى مصالح ديننا * وارادة بتفقه رب العلا
ففقهاؤنا قد تابعوا فى فقههم * لا غير فاتبع للجميع لتفضلا)

لما (قوله والى القناعة) متعلق بمائلا والواو داخلة عليه وهو معطوف على مجتنبا (قوله ورقاب قلب) معطوف على بعلم وهو مصدر راقب بمعنى خلف كما فى الصحاح (قوله للسياسة) وهو خبر ثان ليكون أى فاعلا لتأديب القلب كما فى القاموس (قوله متوقعا) خبر ثالث أى منتظرا وقوله لطريق متعلق بانجلا وهو مفعول لمتوقعا وقوله مما يكون متعلق بانجلا أيضا والمعنى راجيا انكشاف طريق الآخرة من المجاهدة (قوله انجلا) بكسر الجيم وهو مصدر بمعنى اسم للمفعول أى المكشوفة بزوال ظلمة عين القلب : (وأئمة الشافعى ونحوه * كانوا على ست خصال كملا زهد صلاح والعبادة علمهم * بعلوم عقبى نافعات لمن تلا وكذا الفقاهة فى مصالح ديننا * وارادة بتفقه رب العلا) (قوله كملا) بضم الكاف وفتح الميم المشددة وهو خبر كانوا وقوله على ست بالتنوين وهو متعلق بكملا وقوله خصال بدل من ست (قوله زهد) وهو إيثار الآخرة على الدنيا كما قاله الغزالى (قوله وصلاح) وهو القيام بالعبادة والخشوع والتواضع وحسن الخلق وذلك مفهوم من قوله تعالى « وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا » ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » قيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله { فائدة } سئل الشافعى رضى الله عنه عن واجب وأوجب منه وعن قريب وأقرب منه وعن عجيب وأعجب منه وعن صعب وأصعب منه فأجاب بقوله :

واجب على الناس أن يتوبوا * لكن ترك الذنوب أوجب
والدهر فى صرفه عجيب * وغفلة الناس عنه أعجب
وكل ما ترتجى قريب * والموت من كل ذاك أقرب
والصبر فى النائبات صعب * لكن فوات الثواب أصعب

(ففقهاؤنا قد تابعوا فى فقههم * لا غير فاتبع للجميع لتفضلا) أى الفقهاء من جنسنا وفى زماننا قد تابعوا الامام الشافعى وأمثاله فى فقههم وهو علمهم الظاهر فقط دون علمهم الذى يصلح الباطن فاتبع أنت جميع صفاتهم لتحصل لك الفضيلة العظمى لأن علو المرتبة عند الله لا يكون بمجرد علم الظاهر

لما أنهى الكلام على علامات عالم الآخرة وكان أئمة المذاهب المتنوعة جامعين لما صرح بهم وببعض علامات عالم الآخرة ليقتدي بهم أتباعهم فيها كما أنهم مقتدون بهم في الأحكام فقال وأئمة كالشافعي الخ يعني أن الأئمة رضي الله عنهم كإمامنا الشافعي والإمام مالك والإمام أبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري كانوا كاملين في ست خصال وهي زهد وصلاح وعبادة وعلم بعلوم عقبى نافعات للخلق وتفقه في مصالح الخلق في الدنيا وإرادة بتفقههم وجه الله تعالى وفقهاء العصر لم يتبعوهم إلا في خصلة واحدة وهي الفقه وتفاريعه لأنها تصلح للدنيا كما تصلح للآخرة ثم إنه كان الأولى أن يقول على خمس خصال لأن الصلاح والعبادة متحدان إذ لا يخلو أحدهما عن الآخر إلا أن يقال إن العبادة أعم لأنها قد تكون مع صلاح في الباطن وقد لا تكون معه وعدها الغزالي في الإحياء خمسة وعبارته فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعني الذين كثر أتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهي التشمير والمبالغة في تفاريع الفقه لأن الخصال الأربع لا تصلح إلا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا فشمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين ثم إنه ذكر ما يدل على أنهم متصفون بهذه الخصال فقال: أما الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ما روي أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم قال الربيع كان الشافعي رحمه الله يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة وكان البويطي أحد أصحابه يختم القرآن في رمضان في كل يوم مرة وقال الحسن الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره في أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده في العبادة إذ طرح الشبع لأجلها ورأس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط فانظر إلى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه. وسئل الشافعي رضي الله عنه عن مسألة فسكت فقيل له ألا تجيب رحمك الله فقال حتى أدري الفضل في سكوتي أو في جوابي فانظر في مراقبته للسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها على الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي إلينا وقال نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فإن المستمع شريك القائل وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها وقال الشافعي رضي الله عنه كتب حكيم إلى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم.

وأما زهده رضي الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب وقال الحميدي خرج الشافعي رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة

بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء في موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك
حتى فرقها كلها وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان
اليه فأعطاه جزاء عليه خمسين دينارا وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاء
لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد ويدل
على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ما روي أنه روى سفيان بن عيينة حديثا في
الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له قد مات فقال إن مات فقد مات أفضل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوي
قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد
ابن ادريس الشافعي رضي الله عنه خرجت أنا وهو والحرث ابن لبيد إلى الصفا وكان الحرث تلميذا لصالح
المري فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذه الآية هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت
الشافعي رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق جعل
يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب
المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم مشى وانصرفنا فلما
دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بي رجل فقال لي يا غلام أحسن
وضوءك أحسن الله اليك في الدنيا والآخرة فالتفت فاذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت في وضوئي وجعلت
أقفو أثره فالتفت إلي فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيئا فقال لي اعلم أن من صدق الله
نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا
أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان: من أمر بالمعروف وائتمر، ونهى
عن المنكر وانتهى، وحافظ على حدود الله تعالى ألا أزيدك قلت بلى: فقال كن في الدنيا زاهدا وفي
الآخرة راغبا، واصدق الله تعالى في أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعي
فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى موعظته كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف
والزهد الا من معرفة الله عز وجل فانه انما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا
الخوف والزهد من علم كتاب السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من
القرآن والأخبار اذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما وأما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الآخرة
فتعرفه من الحكم المأثورة عنه روي أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى
حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم وقال الشافعي رحمه الله
اذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب وفي أي ثواب ترغب ومن أي عقاب ترهب وأي
عافية تشكر وأي بلاء تذكر فانك اذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر
كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب وقال الشافعي رضي الله عنه من لم يصن
نفسه لم ينفعه علمه وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره وقال ما من أحد الا له محب ومبغض فاذا
كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل وروي أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان
يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل في الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال للشافعي يوما أيما
أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين فقال الشافعي رحمه الله التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين الا بعد
المحنة فاذا امتحن صبر واذا صبر تمكن ألا ترى أن الله عز وجل امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن
موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه

مُلكاً والتمكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف في الأرض وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم الآية فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره في أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون الرجل عالماً قال إذا تحقق في علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالماً لأنه قيل لجالينوس إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الإفراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة .

وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روي عنه أنه قال وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما ينسب إلي شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم وكيف كان منزه القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى وقال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطئ وقال ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحداً قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضاً ولهذا قال أبو ثور رحمه الله ما رأيت ولا رأى الراءون مثل الشافعي رحمه الله تعالى وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال أحمد يا بني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول ما مس أحد بيده محبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه . ولنقتصر على هذه النبذ من أحواله فإن ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين .

وأما الإمام مالك رضي الله عنه : فإنه كان أيضاً متحلياً بهذه الخصال الخمس فإنه قيل له ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغاً حتى كان إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث شاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى . وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشيء ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله إني شهدت مالكاً وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري ومن يرد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحد أمن علي من مالك . وروي أن أبا جعفر المنصور

منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دسّ عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على
مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقا في
حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف . وأما زهده في الدنيا فيدل عليه
ما روي أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة
ابن أبي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار
وقال اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله ينبغي أن تخرج
معنا فإني عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن فقال
له أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده
في الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم اختلاف أمتي رحمة وأما الخروج
معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال عليه الصلاة
والسلام المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم فخذوها وإن
شئتم فدعوها يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته إلي فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا
لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس
الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل
على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي رحمه الله أنه قال رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان
وبغال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لمالك رحمه الله ما أحسنه فقال هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله
فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال إني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم
بحافر دابة فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توقيره لتربة المدينة ويدل على إرادته بالعلم
وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ما روي عنه أنه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن
تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال فقلت أعز الله مولانا الأمير إن هذا العلم منكم خرج فإن أنتم
أعززتموه عز وإن أنتم أذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع
الناس * وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله
تعالى بعلمه فأما كونه عابدا فيعرف بما روي عن ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة
وكثرة صلاة وروى حماد بن أبي سليمان أنه كان يحيي الليل كله وروي أنه كان يحيي نصف الليل فمر يوما
في طريق فأشار إليه إنسان وهو يمشي فقال لآخر هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي
الليل كله وقال أنا أستحي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس في من عبادته ، وأما زهده فقد روي
عن الربيع بن عاصم قال أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه فأراده أن يكون
حاكما على بيت المال فأبى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب
قال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان
على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى وروي أنه ذكر أبو
حنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن
شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف
درهم قال فما رضي أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه
فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا إلا

بالكلمة بعد الكلمة أي هكذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة . قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على أبيك فلقد كان شحيحا على دينه . وروي أنه دعي الى ولاية القضاء فقال أنا لا أصلح لهذا فقيل له لم فقال ان كنت صادقا فما أصلح لها وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء . وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة

وأما الامام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء واللعان أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا انتهى كلام الغزالي في الاحياء وقد جمع بعضهم تاريخ ولادة الأئمة الأربعة وموتهم ومقدار عمرهم في قوله :

تاريخ نعمان يكن سيف سطا * ومالك في قطع جوف ضبطا

والشافعي صين برد * وأحمد بسبق أمر جعد

فاحسب على ترتيب نظم الشعر * ميلادهم فموتهم كالعمر

فولادة أبي حنيفة سنة ثمانين وجمله يكن ووفاته سنة مائة وخمسين وجمله سيف وعمره سبعون وجمله سطا ، وولادة مالك سنة تسعين وجمله في ووفاته سنة مائة وتسع وسبعين وجمله قطع وعمره تسع وثمانون وجمله جوف ، وولادة الشافعي سنة مائة وخمسين يوم وفاة أبي حنيفة وجمله صين ووفاته سنة مائتين وأربع وجمله برد وعمره أربع وخمسون وجمله ند ، وولادة أحمد سنة أربع وستين ومائة وجمله بسبق ووفاته سنة احدى وأربعين ومائتين وجمله أمر وعمره سبع وسبعون وجمله جعد رضي الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين

الاعراب : والأئمة مبتدأ خبره جملة كانوا وكالشافعي متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي وذلك كالشافعي ونحوه معطوف على الشافعي كانوا فعل ماض ناقص والواو اسمها وعلى ست يقرأ بالتنوين وهو متعلق بكملا وخصال نعت له وكملا بضم الكاف وتشديد الميم المفتوحة خبر كان ويحتمل أن يكون على ست متعلقا بمحذوف خبر كان أي كانوا مشتملين على ست وكملا نعت مقطوع لخصال فهو مفعول لفعل محذوف أي أعني كملا زهد بالجر بدل من ست أو بالرفع خبر لمبتدأ محذوف أي وهي زهد الخ وصلاح معطوف على زهد بحذف العاطف والعبادة معطوف على زهد وعلمهم معطوف أيضا عليه بعلوم متعلق بعلمهم وهي مضاف وعقبى مضاف اليه نافعات صفة لعلوم والأفصح نافعة بالافراد لأن علوم جمع كثرة والأفصح فيه افراد صفته وللملا متعلق بنافعات والمراد بهم الخلق وكذا الواو عاطفة وكذا متعلق بمحذوف حال من الفقاهة وهي

معطوف على زهد أيضا في مصالح متعلق بالفقاهة ودينا مضاف اليه وفي بعض النسخ خلقنا والأولى أولى لما في الثانية من الابهام الذي لا يخفى وارادة معطوف أيضا على زهد بتفقه بالتنوين متعلق بارادة ورب العلا مفعول ارادة فهم كونوا مبتدأ قد تابعوا الجملة خبره ومفعوله محذوف أي تابعوهم أي الأئمة في فقههم متعلق بتابعوا لا غير لا نافية تعمل عمل ان وغير اسمها والخبر محذوف أي لا غير ذلك موجود فاتبع الفاء فاء الفصيحة أي اذا علمت أحوالهم فاتبع الخ واتبع فعل أمر وفاعله مستتر وللجميع اللام زائدة والجميع مفعول اتبع لتفضلا اللام لام كي وتفضلا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا والفاعل مستتر تقديره أنت :

(فتعلمن لله علما نافعا * ان كنت تطلب ملك دار بن اعتلا)

لما أنهى الكلام على بيان فضيلة العلم وعلامات عالم الآخرة حث على تعلم العلم الذي يدبر حالك في زمن بهم فقال فتعلمن لله الخ يعني ان أردت ملك الدارين وعزهما فتعلم لله جل جلاله لا لغيره من مصالح الدنيا علما ينفعك في الآخرة وهو الذي يعرفك حقارة الدنيا وأهلها ويدعوك من الدنيا الى الآخرة وذلك لأن العالم العامل للعرض عن الدنيا وأهلها ملك في الدنيا والآخرة لأنه يتحكم على ملوك الدنيا قال الامام الشافعي رضي الله عنه : من أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم ولله در القائل :

تعلم فان العلم زين لأهله * وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيدا كل يوم زيادة * من العلم واسبح في بحور الفوائد

وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين والذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى مجلسين أحدهما يذكرون الله تعالى فيه والآخر يتعلمون فيه الفقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من الآخر أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل وانما بعثت معلما فهؤلاء أفضل ثم جلس معهم وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن لو كان له أبو قبيس ذهبا فينفقه في سبيل الله تعالى . قال ابن عطاء الله في التنوير اعلم أن العلم حيثما ذكر في الكتاب العزيز أو في السنة انما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فتبين أن الخشية تلازم العلم وفهم من هذا أن العلماء انما هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى : وقال الذين أوتوا العلم والراسخون في العلم وقل رب زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله العلماء ورثة الأنبياء وقوله طالب العلم تكفل الله له برزقه انما المراد بالعلم في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس وذلك يتعين بالضرورة لأن كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل من أن يحمل على غير هذا والعلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله تعالى وهو علم المعرفة بالله تعالى ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما أمر الله به اذا كان تعلمه لله تعالى انتهى وقال ابن عباد في شرح الحكم قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه كل علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم ولا يحمله على

(فتعلمن لله علما نافعا * والجملة صفة له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس المتعلم بين يدي العالم فتح الله له سبعين بابا من الرحمة ولا يقوم من عنده الا كيوم ولدته أمه وأعطاه الله بكل حرف عبادة سنة وبنى له بكل حرف مائة مدينة كل مدينة مثل الدنيا عشر مرات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج في طلب باب من العلم حفت به الملائكة وصلت عليه الطير في الهواء والحيتان في الماء ونزل من الله منازل سبعين شهيدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لقمان قال لابنه يا بني عليك بمجالسة العلماء واستماع كلام الحكماء فان الله يحيي القلب الميت بنور العلم والحكمة كما يحيي الأرض الميتة بماء المطر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم وأدركه كان له كفلان من الأجر وان لم يدركه كان له كفل من الأجر قال صالح اللخمي نظما من بحر الطويل :

تعلم إذا ما كنت لست بعالم * فما العلم الا عند أهل التعلم
تعلم فان العلم أزين للفتى * من الحلة الحسناء عند التكلم

وقال بعضهم من بحر البسيط :

العلم في القلب مثل الشمس في الفلك * والعلم للمرء مثل التاج للملك
اشدد يديك بحبل العلم معتصما :

(تعليمه لله خير عبادة * وخلافة ووراثة فتوسلا) أى تعليم العلم النافع لله تعالى خير عبادة قال صلى الله عليه وسلم ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من الخير يسمعها فيعلمها و يعمل بها خير له من عبادة سنة والتعليم أيضا خير خلافة أى خير شىء جاء بعد من تقدم قال صلى الله عليه وسلم على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى و يعلمونها عباد الله والتعليم أيضا خير وراثة بكسر الواو كما فى القاموس فانه وراثة من رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء ومعلوم أنه لارتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة فتوسلن الى الله تعالى فى ارتفاع مرتبتك بالتعليم قال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا

فيقول الله عز وجل أنتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون بالعلم المتعدى بالتعليم لا بالعلم اللازم الذى لا يتعدى قال بعضهم من بحر البسيط.

العلم أنفس شىء أنت ذاخره ... من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

أقبل على العلم واستقبل مقاصده ... فأول العلم إقبال وآخره

وشروط العلم كما قال النووى ثمانية أحدها العمل بما يعلمه قال أنس رضى الله عنه العلماء همتهم الرعاية والسفهاء همتهم الرواية وثانيها نشره قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وروى أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ألا أخبركم عن أجود الأجواد قالوا بلى يارسول الله قال الله أجود الأجواد وأنا أجود ولد آدم وأجودهم بعدى رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله حتى قتل وثالثها ترك المباهاة والمماراة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من طلب العلم لأربعة دخل النار ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يأخذ به الأموال أو يصرف به وجوه الناس اليه ورابعها الاحتساب فى نشره وترك البخل به قال الله تعالى - قل لا أسألكم عليه أجرا - وقال صلى الله عليه وسلم من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار وخامسها ترك الأنفة من قول لا أدرى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى علو مرتبته لما سئل عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولما سئل عن الروح قال لا أدرى وسادسها التواضع قال الله تعالى - وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا -

---

حسن معاملة الله تعالى وأداء الأمانة ومخالفة النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذى لا ينفع وهو الذى استعاذ منه النبى صلى الله عليه وسلم فقال أعوذ بك من علم لا ينفع ووصف الله تعالى العلماء بالخشية فقال انما يخشى الله من عباده العلماء. وقال رجل للشعبى أيها العالم فقال اسكت العالم من يخشى الله تعالى وقال بعض السلف من ازداد علما فليزدد خشوعا وقال رجل للجنيد أى العلم أنفع قال ما دلك على الله تعالى وأبعدك عن نفسك قال والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة ورعاية السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله والاعراض عن الدنيا وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة أبواب أربابها وترك ما فيها على من فيها من أهلها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقراء وتعظيم أولياء الله تعالى والاقبال على ما يعنيه اهـ.

الاعراب: فتعلمن الفاء للتفريع وتعلمن فعل أمر مبنى على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التى أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة والفاعل مستتر تقديره أنت لله متعلق بتعلمن وعلما مفعول تعلمن ونافعا صفته ان كنت ان شرطية وكنت فعل الشرط وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أى فتعلمن الخ وتطلب فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت وملك بضم الميم مفعول تطلب وهو مضاف وكلا بن مضاف اليه مجرور بالياء لأنه مثنى واعتلى فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على ملك والجملة فى محل نصب صفة لملك أو حال منه:

(تعليمه لله خير عبادة * وخلافة ووراثة فتوسلا)

يعنى أن تعليم العلم للمسلمين بالنية الصالحة هو خير عبادة الله سبحانه وتعالى أى أفضلها لقوله عليه الصلاة والسلام ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقوله صلى الله عليه وسلم كلمة من الخير يسمعها فيعلمها و يعمل بها خير له من عبادة سنة لأن التعليم الاشتغال بتكميل القلب وتطهيره الذى هو أشرف ما فى الانسان الذى هو أشرف موجود على الارض وهو أيضا خير خلافة من المولى سبحانه وتعالى من عليه بواسطة حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم فالمعلم خليفة الله ورسوله فى أرضه جعله الله واسطة بينه و بين خلقه فى تقريبهم اليه زلفى وسياقهم الى جنة المأوى قال صلى الله عليه وسلم على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى و يعلمونها عباد الله تعالى وهو أيضا خير وراثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الأنبياء وهم لم يخلفوا دينارا ولا درهما

وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر يا أبا ذر احفظ وصية نبيك عسى أن ينفعك الله بها تواضع لله عز وجل عسى أن يرفعك يوم القيامة وسلم على من لقيت من أمتي برها وفاجرها. والبس الخشن من الثياب ولا ترد بذلك الا وجه الله لعل الكبر والحمية لا يجدان في قلبك مساغا وسابعها احتمال الأذى في بذل النصيحة والاقتداء بالسلف الصالح في ذلك قال الله تعالى وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك وقال صلى الله عليه وسلم ما أوذي نبي مثل ما أوذيت وثامنها أن يقصد بعلمه من كان أحوج الى التعلم كما يقصد بالصدقة بالمال الأحوج فالأحوج فمن أحياجاهلا بتعليم العلم فكأنما أحيا الناس جميعا :

(وجه كلام القوم غير مخطىء ومعلما وقر ولست مجادلا) أي عظم كلام الصوفية حال كونك غير قائل إنه خطأ فان المنكر عليهم محروم من بركاتهم ويخاف عليه سوء الخاتمة أعوذ بالله منه وعظم معلمك ولا تكن مجادلا له فتسيء الظن بالأستاذ وتستخف به وتترك الآداب روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من استخف باستاذه ابتلاه الله تعالى بثلاثة أشياء نسي ما حفظ وكل لسانه وافتقر في آخره قال منتخب من بحر الرجز

وأكرم الأستاذ ذا الارشاد خير أب فهو لكل شادي فاخدم له فالالتباس رق وان تكن كالتبر وهو الورق واستفته وان يكن بقالا وانظر الى المقال لا من قالا

ومعنى لكل شادي أي لكل من أخذ طرفا من العلم والأدب قال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد (واستفسر وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء : لكل شيء زينة في الورى * وزينة المرء تمام الأدب قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع النسب ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر : كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

وانما خلفوا العلم فهو ميراثهم ومر أبو هريرة رضي الله عنه بسوق المدينة فوجدهم مشتغلين بالدنيا فقال يا أهل السوق ما لكم بجلوس ههنا وميراث النبي صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فقاموا وتركوا بيعهم وشراءهم وذهبوا الى المسجد فوجدوا قوما يصلون وقوما يقرءون وقوما يتذاكرون الحلال والحرام فتركوهم وذهبوا الى أبي هريرة رضي الله عنه يقولون له أين ميراث النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم ماذا رأيتم في المسجد فقالوا له ما رأينا الا كذا وكذا فقال لهم ما رأيتموه هو ميراث النبي صلى الله عليه وسلم فان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بالحظ الوافر واذا علمت أن التعليم بهذه المرتبة العلية فتوسل الى الله سبحانه وتعالى في أن يوفقك له حتى ترفع درجتك ويدوم عزك ونفعك . فنسأل الله العظيم متوسلين بالنبي الكريم أن يوفقنا للافادة والاستفادة ويرزقنا الحسنى وزيادة :

الاعراب : تعليمه مبتدأ وخير خبر وعبادة مضاف اليه وخلافة معطوف على عبادة ووراثة بكسر الواو معطوف أيضا على عبادة فتوسلا الفاء فاء الفصيحة واقعة في جواب شرط مقدر تقديره ما تقدم في الحل وتوسلا فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل النون الخفيفة المنقلبة ألفا .

(وجه كلام القوم غير مخطىء * ومعلما وقر ولست مجادلا)

لما أنهى الكلام على ذكر علامات عالم الآخرة وما يتعلق بها شرع فذكر بعض آداب لا بد منها للمتعلم وبعض آداب مشتركة بينه وبين المعلم فقال وجه كلام الخ يعني اذا طالعت كلام القوم أي السادة الصوفية فاحمله على وجه وعمل حسن ولا تخطئه ولا تعترض عليهم فيه فان ذلك يكدر القلب ويبلد الذهن ويخاف عليك سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك قال سيدنا القطب الحبيب عبد الله الحداد :

وسلم لأهل الله في كل مشكل * لديك لديهم واضح بالأدلة

وهذا الأدب هو المشترك بين المتعلم والمعلم وبقية الآداب الآتية خاصة بالأول وكن موقرا لمعلمك معظما له فان تعظيمه من تعظيم العلم ولا ينال العلم الا بتعظيمه وتعظيم أهله غير مجادل له وكن معتقدا أيضا أهليته ورجحانه على من كان في طبقته قال بعضهم اذا جلست بين يدي المعلم ينبغي أن تلاحظ أنه مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليزداد احترامك له وكان بعض المتقدمين اذا ذهب الى معلمه تصدق بشيء وقال اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه عني وقال الامام الشافعي رضي الله عنه كنت أصفح الورقة بين يدي مالك تصفحا رفيقا هيبة له لئلا يسمع وقعها وقال الربيع والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر الى هيبة له .

الاعراب : وجه فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت وكلام مفعول والقوم مضاف اليه ومعلما مفعول مقدم لوقر وهو فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولست الواو للحال وليس فعل ماض ناقص والتاء اسمها مبني على الفتح ومجادلا خبرها .

(واستفسر الأستاذ واترك مابدا * لبديه فهمك من كتب واسألا) أي اسأل أستاذك واطلب البيان منه واترك ماظهر من كتاب لأول جريان فكرك فمن أخذ العلوم من الكتب ولم يأخذها من أفواه المشايخ كان خطؤه أكثر من صوابه كما قاله شيخنا أحمد النحراوي . وأما من شرح الله صدره بنور اليقين فليعتمد على قلبه لأن لنفس الكمل شعورا بما تحمد عاقبته كما قال صلى الله عليه وسلم « استفت قلبك وان أفتاك المفتون » رواه البخاري في التاريخ والامام أحمد أي عول على ما يخطر بقلبك فالزم العمل بذلك وان أفتاك المفتون بخلافه لانهم انما يطلعون على الظواهر :

(٨٥)

(وَاسْتَفْسِرِ الأُسْتَاذَ وَاتْرُكْ مَا بَدَا * لِبَدِيهِ فَهْمِكَ مِنْ كِتَابٍ وَاسْأَلَا)

يعني واطلب من أستاذك تفسير وبيان ما اشتبه عليك واترك ما ظهر من كتاب لفهمك البديهي أي الحاصل أولا من غير دقة نظر واسأله حتى يتحقق عندك واصغ بالقاء السمع وحضور العقل الى ما يقرر فربما طالعت وفهمت ما ليس بمراد المصنف أو الشارح وحاصل المعنى المراد أنك اذا طالعت في كتب العلوم واشتبه عليك فهم مسئلة مثلا فلا تعتمد على فهمك فيها من غير مراجعة الأستاذ لما قيل : إن من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه .

الاعراب : واستفسر الواو عاطفة واستفسر فعل أمر والسين والتاء للطلب والأستاذ مفعوله واترك فعل أمر وفاعله مستتر وما اسم موصول مبني على السكون في محل نصب وبدا فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر والفاعل ضمير مستتر يعود على ما والجملة صلة الموصول لبديه متعلق ببدا وهو مضاف وفهم مضاف اليه من اضافة الصفة للموصوف وهو مضاف والكاف مضاف اليه مبني على الفتح ومن كتاب متعلق ببدا واسألا فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتي بها لأجل نون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفا وهو معطوف على استفسر ذكر للتأكيد :

(قَابِلْ كِتَابَكَ قَبْلَ وَقْتِ مُطَالَعَهْ * بِصَحِيحِ كُتْبٍ وَاضِحٍ قَدْ عُوِّلَا)

يعني قابل كتابك أيها الطالب قبل وقت المطالعة على الصحيح الواضح المتعول عليه من الكتب حتى يصح كتابك فان ذلك أسرع للفهم وأتقن وأحكم .

الاعراب : قابل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت كتابك مفعوله قبل ظرف متعلق بقابل وهو مضاف ووقت مضاف اليه وهو مضاف ومطالعة مضاف اليه مجرور بكسرة مقدرة منع من ظهورها سكون الضرورة بصحيح متعلق بقابل وهو مضاف وكتب مضاف اليه والاضافة على معنى من أي الصحيح من الكتب وواضح صفة لصحيح قد عولا قد حرف تحقيق وعول فعل ماض ونائب الفاعل يعود على صحيح والأصل قد عول عليه فحذف الجار واتصل الضمير بعامله واستتر :

(طَالِعْ مِرَارًا مَتْنَهُ قَبْلَ الشُّرُو * حِ فَإِنَّهُ أَوْلَى وَأَحْسَنُ مَوْئِلَا)

(وَلَفَهْمُ سَطْرٍ مِنْ مُتُونٍ أَحْسَنُ * مِنْ عَشْرِ أَسْطُرٍ مِنْ شُرُوحٍ فَاقْبَلَا)

يعني ثم بعد تصحيح كتابك طالع أيها الطالب متن ذلك الكتاب قبل مطالعة شروحه وكرر ذلك حتى يثبت في ذهنك ثم انتقل الى شروحه فان ذلك أولى لك من مطالعة الشروح أولا لضعف ذهنك عنها وأحسن موئلا أي مرجعا في استحضار المسائل لأن المتن مضبوط النظام والشرح منشور الكلام وربما لا يستحضر الذهن جميع كلام الشرح لانتشاره ثم ذكر أن فهم سطر واحد من المتون أحسن من فهم عشرة أسطر من الشروح لما مر ولأنه قد يكون للمتون مفهوم

(قابل كتابك قبل وقت مطالعه بصحيح كتب واضح قد عولا) (قوله قد عولا) بالبناء للمفعول ونائب الفاعل عائد الى صحيح كتب أي قد اعتمد بسبب كثرة التداول بين العلماء أو بالتصحيح عندهم . (طالع مرارا متنه قبل الشروح فانه أولى وأحسن موئلا ولفهم سطر من متون أحسن من عشر أسطر من شروح فاقبلا) أي طالع أيها الطالب للعلم متن كتابك وكرر ذلك تكريرا كثيرا قبل مطالعة شروحه فان مطالعة المتن أولا أولى لأنه من جملة النصيحة فان معناها تقديم مختصر الكتب قبل كبارها وأحسن عاقبة ولأنه يرق في الفهم ويمكنه في الذهن فان فهم سطر واحد من متون أحسن من فهم عشر أسطر من الشروح لانه قد يكون للمتن مفهوم لم يذكره الشارح ولان المتعلم اذا فهم شيئا من الشرح ضعف ذهنه عن البحث عن مشكلات المتن وهو مجمل يمكن أن يفهم منه علوم شتى كما حكى أن شيخ الاسلام زكريا الانصاري لما صار قاضيا في مصر لم يفارق متن التحرير الذي صنفه حيث جعله في جيب جبته واكتفى به (قوله أسطر) بفتح الهمزة وضم الطاء . (قوله فاقبلا) أي صدقن قولي وخذ نصحي قال الشاعر :

كن عالما وارض بصف النعال * ولا تكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة * صيرت ذاك الصدر صف النعال

ولم يذكر في الشروح ويحكى أن شيخ الاسلام زكريا الأنصاري لما صار قاضيا في مصر لم يفارق متن التحرير الذي صنفه وكان يجعله في جنب جيبه .

الاعراب : طالع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت مرارا نائب عن المفعول المطلق والاصل مطالعات مرارا أي متكررة ومتنه مفعول طالع وقبيل ظرف مكان متعلق بطالع وهو مضاف والشروح مضاف اليه كائنة الفاء للتعليل وان حرف توكيد ونصب والهاء اسمها وأولى خبر وأحسن معطوف على أولى ومتولا تمييز أو منصوب باسقاط الخافض ولفهم اللام لام الابتداء ولفهم مبتدأ وهو مضاف وسطر مضاف اليه ومن متون متعلق بمحذوف صفة لسطر أي سطر كائن من متون وأحسن خبر للمبتدأ ومن عشر متعلق بأحسن ولا بد من تقدير مضاف بعد من وقبل عشر أي من فهم عشر وأسطر مضاف اليه وهو يقرأ بسكون الراء لأجل الوزن ومن شروح متعلق بمحذوف صفة لأسطر فاقبلا الفاء فاء الفصيحة واقعة في جواب شرط مقدر تقديره اذا علمت ذلك فاقبلن وصيتي لك واعمل بها .

(وابدأ بفرض العين ثم اعمل به * ثم الكتاب فسنة مترتلا)

لما كان من آداب المتعلم الاشتغال بالأهم فالأهم بين ذلك بقوله وابدأ بفرض العين الخ يعني وابدأ من العلوم بما هو فرض عين عليك وهو علم التوحيد وعلم أحوال القلب وعلم الشريعة أما علم التوحيد فهو أن يعرف الشخص أن له الها عالما قادرا حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا واحدا متصفا بصفات الكمال منزها عن النقصان والزوال ليس كمثله شيء وأن يعرف أن له ملائكة وهم عباده لا يعصونه فيما أمرهم به ويفعلون ما يأمرهم به ولا يأكلون ولا يشربون وأن يعرف أن له كتبا منزلة وكلها منسوخة بالقرآن وأن يعرف أن له رسلا أرسلهم الى الخلق أولهم آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وأن شريعته باقية الى يوم القيامة وأن يعرف أن سؤال منكر ونكير حق والحشر والنشر حق والجنة والنار حق والحساب والميزان حق والصراط حق وأن يعرف أن القدر خيره وشره من الله تعالى لا يجري شيء في الوجود الا بارادته ومشيئته . وأما علم أحوال القلب فهو أن يعرف الشخص أن للقلب أخلاقا محمودة فيفعلها وأخلاقا مذمومة فيتباعد عنها . أما المحمودة فكالتوكل على الله تعالى والاخلاص لله سبحانه وتعالى والحمد والشكر على النعم والتوبة من المعاصي والخوف والرجاء والزهد والصبر والمحبة والرضا بالقضاء وذكر الموت ، وأما المذمومة فكالحرص على الطعام والشراب وكراهية الجوع مع أن فيه فوائد منها صفاء القلب ورقته وذل النفس وكسر الشهوات وزوال النوم المانع من العبادة كالحرص على الكلام فيما لا يعني لأن اللسان آفاته كثيرة والغالب عليه منها الغيبة والكذب والمدح والمزاح وكالغضب والحسد والبخل وحب الجاه وحب الدنيا والكبر والعجب والرياء وغير ذلك من أمراض القلوب . وأما علم الشريعة فكل ما يتعين فعله فالواجب عليك معرفته لتؤديه على حقيقته كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من أنواع العبادات والمعاملات والمناكحات . واعلم أن فروض العين يعتبر فيها بحسب ما يقتضيه الحال والوقت كما في الاحياء وبيان ذلك أن الرجل العاقل اذا بلغ ضحوة النهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما والتصديق به والاعتقاد الجازم من غير ريب وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان فاذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت فلما عاش الى الوقت الظهر وجب عليه تعلم كيفية الطهارة والصلاة ولو لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بأن يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فيجب عليه التعلم قبل الوقت وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى

(وابدأ بفرض العين ثم اعمل به ثم الكتاب فسنة مترتلا) أي ابدأ في التعلم بفرض العين وهو ما يدرك به التوحيد ويعلم به ذات الله وصفاته وما يعرف به العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وما يعلم به آفات النفوس ثم اعمل بذلك ثم بعلم الكتاب والسنة (قوله مترتلا) حال من الضمير في ابدأ أي حال كونك متمهلا في التعلم ومعنى ذلك أن الرجل العاقل اذا بلغ ضحوة النهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما من غير بحث ولا برهان فان عاش الى وقت الظهر وجب عليه تعلم الطهارة والصلاة ولو لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بأن يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فيجب عليه التعلم قبل الوقت وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى رمضان وجب عليه تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح الى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والامساك عن المفطرات فان كان له مال وجب عليه تعلم ما يجب فيه الزكاة واذا أراد الحج وجب عليه تعلم الحج واذا أراد البيع والشراء وجب عليه تعلم ذلك وهكذا اذا توجه عليه أي فرض وجب عليه أن يعلم صحته وفساده :

رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الفجر الى الغروب وأن الواجب فيه النية والامساك عن المفطرات فان كان له مال وجب عليه تعلم ما تجب فيه الزكاة وكيفيتها واذا أراد الحج وجب عليه تعلم كيفية الحج واذا أراد البيع والشراء وجب عليه تعلم الصحيح منهما والفاسد منهما وهكذا كل فعل أراد أن يفعله وجب عليه أن يتعلم ما يصححه وما يفسده وقوله ثم اعمل به أي بفرض العين فان المراد من العلم العمل به وقوله ثم الكتاب بالسنة يعني فاذا فرغت من فروض العين علما وعملا فانتقل الى غيرها من فروض الكفاية حال كونك مترتلا أي مراعيا الترتيل فيها بأن تبدأ بالقرآن العظيم ثم بسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أحاديثه أي بغيرهما من فروض الكفاية قال في الشرح وما لم تفرغ من فرض العين علما وعملا فلا تشتغل بفرض الكفاية لاستواء الخلق من قام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه كما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اهـ .

الاعراب : وابدأ الواو للاستئناف وابدأ فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبفرض متعلق به وهو مضاف والعين مضاف اليه ثم اعمل به ثم حرف عطف واعمل فعل أمر وفاعله مستتر والجملة معطوفة على جملة ابدأ وبه متعلق باعمل وضميره يعود على فرض العين ثم الكتاب ثم حرف عطف والكتاب يحتمل قراءته بالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره تعلم الكتاب والعطف من عطف الجمل ويحتمل قراءته بالجر على أنه معطوف على فرض العين وبعده متعلق بمناسبة أي ثم اشتغل بالكتاب والأول أولى فبسنة يقرأ بالنصب على الاحتمال الأول وبالجر على الاحتمال الثاني ومرتلا حال من فاعل تعلم على الاحتمال الأول أو من فاعل ابدأ على الاحتمال الثاني :

(واتبع بعلم الفقه ثم أصوله * ثم البواق راع تدر يجا بلا)

يعني واتبع العلوم المارة بعلم الفقه وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية ثم بأصول الفقه وهي أدلة الفقه الاجمالية وكيفية الاستدلال بها وحال المستدل ثم بالبواقي من العلوم الآتية وراع التدريج فيها مختر الأهم فالأهم حتى تشتغل به على ما يتسع له عمرك ويساعده وقتك ولا تستغرق وقتك في علم واحد منها طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وما أحسن قول بعضهم :

اجهد على كل علم تسترح به * ولا تقيمن بعلم واحد كسلا
النحل لما جنى من كل فاكهة * حوى لنا جوهرين الشمع والعسلا
فالشمع نور عظيم يستضاء به * والشهد يبري لنا الأسقام والعللا

وقوله:

لن يبلغ العلم جميعا أحد * لا ولو حاوله ألف سنة
إنما العلم عميق بحره * فخذوا من كل شيء أحسنه

واعلم أن هذه العلوم التي صرح بها الناظم رحمه الله تعالى هي العلوم الشرعية وآلاتها وكلها محمودة وأما غيرها كعلم السحرة والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات فهي مذمومة يحرم تعلمها وقد بين ذلك الامام الغزالي رحمه الله في احيائه ولنورد لك عبارته تكميلا للفائدة . وهي اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم

(واتبع بعلم الفقه ثم أصوله
ثم البواق فراع تدر يجا بلا)
(قوله واتبع) بوصل الهمزة
الوزن وكسر الباء (قوله
البواق) بسكون الياء
مفعول مقدم (قوله بلا)
مصدر حال من الضمير
المستتر في راع وقوله تدر يجا
مفعول لبلا ومعنى هذا
البيت أتبع فرض العين
بتعلم فروع علم الفقه الى أن
تبلغ درجة الافتاء وهو
فرض كفاية والى أن تبلغ
درجة الاجتهاد وهو سنة
ثم أتبعه بأصول الفقه وهي
أدلته الاجمالية أي غير
المعينة وكيفية الاستدلال
بها بالترجيح عند التعارض
ونحوها وصفات المجتهد ثم
راع البواق من العلوم حال
كونك مجربا شيئا فشيئا
وقدم الأهم فالأهم لأن
العلوم كثيرة والأعمار
قصيرة ولا تقف على فن
واحد بل ترق في الفنون كما
قال بعضهم من بحر البسيط
احرص على كل علم تبلغ
الأملا
ولا تقف عند علم واحد كسلا
فالنحل لما جنى من كل
فاكهة
أبدى لك الجوهرين الشمع
والعسلا
الشمع فيه ضياء يستضاء به
والشهد فيه شفاء يبرئ
العللا

الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفرض. أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله. وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج اليه. وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات. وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التى لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجرى مجراه. أما العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان فهى محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة. أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهى أربعة أضرب. الضرب الأول الأصول: وهى أربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام واجماع الأمة وآثار الصحابة والاجماع أصل من حيث انه يدل على السنة فهو أصل فى الدرجة الثالثة وكذا الأثر فانه أيضا يدل على السنة لأن الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدوا الوحى والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن. الضرب الثانى الفروع: وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام لا يقضى القاضى وهو غضبان أنه لا يقضى اذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما بمرض وهذا على ضربين أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا. والثانى ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذى يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعنى جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح فى عباداتها وعاداتها وهو الذى يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب. والضرب الثالث المقدمات: وهى التى تجرى منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط الا أن ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا. الضرب الرابع المتممات: وذلك فى علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراآت ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده أيضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذى يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا. وأما المتممات فى الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء

الصحابة

الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة فى الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوى والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات اهـ .

الاعراب : واتبع فعل أمر من أتبع فهمزته همزة قطع لكن حذفت للوزن وباؤه مكسورة ومفعوله محذوف أى ما ذكر من فرض العين والكتاب والسنة وبعلم متعلق بأتبع والفقه مضاف اليه ثم حرف عطف وأصوله معطوف على علم الفقه ثم حرف عطف والبواق معطوف على علم الفقه مجرور بكسرة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل وراع فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت وتدريجا مفعوله ومتعلقه محذوف أى راع تدريجا فى العلوم المذكورة وبلا بكسر الباء مقصر بلا يبلو بمعنى اختبر وهو منصوب على الحال من فاعل راع بتأويله باسم الفاعل أى راع التدريج فى حال كونك مختبرا ومتعلقه محذوف أى للأهم فالأهم :

(وعلوم آداب ثمانية لغة ۞ صرف ونحو والمعانى للفضلا ۞ وكذا بيان والبديع وقافيه
وكذا عروض فاطلبنها مجملا ۞ وفروعها إنشاء نثر والنظام ۞ ومحاضرات والخطوط فأجملا)

هذا بيان لما أجمله فى قوله ثم البواق أى إن البواق هى علوم الآداب وهى المعبر عنها بعلوم العربية وعدها ثمانية وجعل الانشاء والنظم والمحاضرات والخطوط فروعها وعدها بعضهم اثنى عشر ولم يفرق بينها فقال :

صرف بيان معانى النحو قافية ۞ شعر عروض اشتقاق الخط إنشاء
محاضرات وثانى عشرها لغة ۞ تلك العلوم لها الآداب أسماء

وأسقط هنا فى النظم علم الاشتقاق وذكر البديع بدله وذكر البعض فى النظم المذكور الاشتقاق وأسقط البديع وهو أولى لأنهم جعلوا البديع ذيلا لعلمى المعانى والبيان لا قسما برأسه بخلاف علم الاشتقاق فهو علم على حدة وقوله علوم آداب الخ هى عبارة عما يحترز به عن الخطأ فى كلام العرب لفظا ومعنى وخطا وقوله لغة هى الألفاظ الموضوعة للمعانى التى يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ويعرف بها أوضاع المفردات العربية وقوله صرف هو علم يبحث فيه عن أبنية الكلم وأحوالها صحة وإعلالا وقوله ونحو هو علم يبحث فيه عن أواخر الكلم إعرابا وبناء وقوله المعانى وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال وقوله وكذا بيان هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة الوضوح والخفاء وقوله والبديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال وقوله وقافية قال فى التعريفات القافية هى الحرف الأخير من البيت وقيل هى الكلمة الأخيرة منه وقوله وكذا عروض وهو علم يعرف به أحوال أوزان الشعر سالمة أو متغيرة وقوله وفروعها أى هذه الثمانية وقوله إنشاء نثر وهو الاتيان بكلام مسجع فى الخطب والرسائل وقوله والنظام أى وإنشاء النظام أى النظم وهو الاتيان بكلام مقفى موزون

(وعلوم آداب ثمانية لغه ۞ صرف ونحو والمعانى للفضلا ۞ وكذا بيان والبديع وقافيه ۞ وكذا عروض فاطلبنها مجملا
وفروعها انشاء نثر والنظام ۞ ومحاضرات والخطوط فأجملا) أى وعلوم آداب ثمانية وهى ما يحترز به عن الخطأ فى كلام العرب لفظا وخطا ومعنى وعبر بعضهم عن هذا بعلوم العربية . أحدها لغة وهى الألفاظ التى يعبر بها العرب عن أغراضهم ويعرف بها أوضاع المفردات العربية . وثانيها صرف وهو علم يبحث فيه عن ذوات الكلم وأحوالها صحة واعتلالا . وثالثها نحو وهو علم يبحث فيه عن أواخر الكلم اعرابا وبناء . ورابعها معان وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال . وخامسها بيان وهو علم يعرف به اتيان المعنى الواحد بتركيب مختلف فى وضوح الدلالة عليه فيكون بعضه أوضح فى الدلالة وبعضه واضح وهو أخفى بالنسبة الى الأوضح. وسادسها بديع وهو علم تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال وبعد الخلو عن التعقيد وجعل العلماء هذا العلم ذيلا للمعانى لا قسما برأسه كما أنهم جعلوا الوضع ذيلا لعلم اللغة . وسابعها قافية وهو معرفة آخر البيت . وثامنها عروض وهو علم يعرف به أحوال أوزان الشعر وفروع علوم الآداب انشاء نثر فى الرسائل والخطب وانشاء نظم وهو الاتيان بالكلام الموزون المقفى وهذا هو المسمى بقرض الشعر . ومحاضرات وهى ثمرة

التاريخ وهى نقل نادر يوافق الحال الراهنة ومن المحاضرات التواريخ وهى معرفة أخبار الأمم السابقة وتقلبات الزمن بمن مضى لتحصل ملكة التجارب والتحرز من مكايد الدهر وهذا العلم من المباح كما قاله الغزالى بخلاف الملاحم وهى الاخبار بالأمور المغيبات فى المستقبل فانها حرام ومن الآلات علم كتابة الخط وهو علم يبحث فيه عن كيفية كتابة الألفاظ من مراعاة حروفها من الزيادة والنقص والوصل والفصل والبدل وهذا من علم العربية وهو قسم برأسه كما ذكره شيخنا يوسف

وهذا العلم هو المعبر عنه بقرض الشعر وقوله ومحاضرات أى وعلم المحاضرات وهو معرفة القصص والحكايات ومنه التاريخ وهو عبارة عن معرفة أخبار الأمم الماضية وتقلبات الزمن بهم وقوله والخطوط هى تصوير اللفظ بحروف هجائية كذا فى التعريفات .

الإعراب : وعلوم مبتدأ وآداب مضاف اليه وثمانية خبر المبتدا ولغة بدل من ثمانية أو خبر لمبتدأ محذوف أى أحدها لغة وصرف معطوف على لغة بحذف العاطف ونحو معطوف على لغة والمعانى معطوف أيضا على لغة والفضلا صفة للمعانى ولما كان المراد به العلم وهو مذكر لم يدخل التاء على صفته وكذا خبر مقدم وبيان مبتدأ مؤخر أو معطوف على لغة وكذا متعلق بمحذوف حال منه والبديع وقافية معطوفان عليه وكذا عروض يقال فيه مثل ما قيل فيما قبله فاطلبنها الفاء فاء الفصيحة وهى واقعة فى جواب شرط مقدر أى وإذا عرفت أن علوم الآداب هذه الثمانية فاطلبنها أى من مواضعها واطلبنها فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة وفاعله مستتر وها مفعوله ومجملا يقرأ إما بصيغة اسم المفعول وعليه يكون حالا من مفعول اطلبنها و يكون بحذف الباء للوزن و إما بصيغة اسم الفاعل وعليه يكون حالا من فاعل اطلب ومعناه على الأول مجموعة وعلى الثانى متقنا ومحسنا وفروعها مبتدأ وانشاء وماعطف عليه خبر المبتدا وهو مضاف ونثر مضاف اليه والنظام معطوف على نثر فأجملا الفاء فاء الفصيحة وأجمل فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة وهو بمعنى أحسن وأتقن :

(لاتغترر بوقوع أهل زماننا * فى منطق ثم الكلام توغلا)

لما بين ما يحتاج اليه من العلوم عقبه بالنهى عن علم المنطق وعن التوغل فى علم الكلام فقال لاتغترر الخ يعنى لاتكن مخدوعا بوقوع أهل زماننا فى طلب علم المنطق والمراد المخلوط بضلالات الفلاسفة المكفرة وغيرها وأما المنطق الخالى عن ذلك فلا ينهى عنه بل هو مطلوب لأنه يتوقف عليه رد الشكوك فى علم الكلام ثم لاتتوغل فى علم الكلام والمراد فى شبهه والخوض فيه على طريق الفلاسفة وأما علم الكلام الموصل الى معرفة الله وما يجب له ومايستحيل ومايجوز فتعلمه فرض عين وهو من أجل العلوم الشرعية والعالم به من أفضلهم ويصرف له من الوصية للعلماء والوقف عليهم كما ذكره السبكى .

الإعراب : لا ناهية وتغترر فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وفاعله مستتر وبوقوع متعلق بتغترر وهو مضاف وأهل مضاف اليه وهو مضاف وزمان مضاف اليه وفى منطق متعلق بوقوع ثم الكلام ثم حرف عطف والكلام منصوب بإسقاط الخافض متعلق بما بعده وتوغلا فعل مضارع مؤكد بالنون فأصله تتوغلا بتاءين حذفت إحداهما وهو معطوف على تغترر فتكون لا الناهية مسلطة عليه كما يعلم من الحل وأعرب فى الشرح توغلا منصوب على الحال من أهل زماننا بتأويله باسم الفاعل أو منصوب على أنه نائب عن المفعول المطلق والأصل وقوع توغل وعلى اعرابه المذكور يكون توغلا مصدر توغل ويكون الكلام بالجر معطوفا على منطق :

(طالع أخى إحيا الغزالى تنل * فيه الشفا من كل داء أعضلا)

يعنى طالع ياأخى إحياء علوم الدين للامام حجة الإسلام زين الدين أبى حامد محمد بن محمد بن محمد بن حامد الغزالى صاحب العلم الغزير والقلب المستنير لم يوجد فى الطائفة الشافعية ولا فى غيرها فى آخر الزمان مثله ولا مثل كتابه هذا أعجوبة الزمان العظيم الشان الشارح لكتاب الله وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال فيه سيدنا القطب الغوث الحبيب عبد الله الحداد أبياتا وهى هذه :

فى العروس الجلية (قوله الفضلا) مفعول لفعل محذوف والتقدير أمدح أوأعنى وهو تكملة للبيت (قوله مجملا) أى متقنا وهو حال من فاعل اطلب قال الفيومى فى المصباح وأجملت فى الطلب أى رفقت ثم قال ورفقت العمل أى أحكمته بالألف وقال أحكمت الشىء أى أتقنته (قوله فأجملا) أى أتقن هذه العلوم لتصير حاذقا : (لاتغترر بوقوع أهل زماننا فى منطق ثم الكلام توغلا طالع أخى إحيا الغزالى تنل فيه الشفا من كل داء أعضلا) (قوله فى منطق) متعلق بتوغلا وهو فعل ماض وفاعله ضمير عائد الى أهل والجملة صفة له أو حال منه لأنه معرفة غير محضة وهو حينئذ على تقدير قد لأن الجملة الماضوية إذا وقعت حالا يجب أن يكون معها قد إما ظاهرا أو مقدرا ومعنى البيت الأول لاتكن مخدوعا بوقوع أهل زماننا الذى بالغ واستقصى فى طلب علم المنطق وعلم أصول التوحيد بل اطلب علم المنطق الذى لايستغنى عنه فانه مندوب بل هو فرض كفاية على أهل كل إقليم وأما المختلف فى جواز الاشتغال به وحرمته فهو المنطق المخلوط بضلالات الفلاسفة المكفرة وغيرها وأما المنطق الخالى عن ذلك فلا خلاف فى جواز الاشتغال به بل هو مطلوب لأنه يتوقف عليه رد الشكوك فى علم الكلام هكذا قال الباجورى باحيا

وقال أيضا والمنطق هو علم يبحث فيه عن المعلومات التصورية والتصديقية من حيث إنها توصل إلى أمر مجهول تصورى أو تصديقى انتهى واطلب علم

بإحياء علوم الدين تحيا قلوبنا * ويكشف عنا غمنا وكروبنا

كتاب حوى العلم الذي هو نافع * مؤلفه أستاذنا وطبيبنا

كتاب حوى علم الكتاب وسنة * وما قاله أوّاهنا ومنيبنا

مواريث أسلاف لنا وأئمة * مضوا وعلى آثارهم مستحيبنا

إذا نشرت أعلامه وعلومه * وأبصرها علامنا ومصيبنا

تحقق أن العلم فيه بأسره * ولم ينشرت في مثل هذا أريبنا

وقد أطنب الشيخ الإمام بوصفه * أبو المكرمات العيدروس حبيبنا

وكم غيره من عارف ومحقق * وحبر عليم والإله حسيبنا

وعم وصلى الله في كل ساعة * على أحمد الهادي شفيع ذنوبنا

ولا يطعن في الإحياء إلا ضال مضل بل قال بعض العارفين والله لو بعث الله الأموات لما أوصوا الأحياء إلا بما في الإحياء وفيه انتفاع لأهل الابتداء والانتهاء والتوسط لأنه مذكور فيه ما يصلح للفرق الثلاث وقال سيدي العيدروس رضي الله عنه عليك بملازمة إحياء علوم الدين فهو موضع نظر الله وموضع رضا الله فمن أحبه وطالعه وعمل بما فيه فقد استوجب محبة الله ومحبة رسوله وملائكته وأنبيائه وأوليائه وجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة في الدنيا والآخرة وصار عالماً في الملك والملكوت اهـ ، وولد الإمام الغزالي رضي الله عنه بطوس سنة خمسين وأربعمائة وتوفي رحمه الله تعالى بها صبيحة يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ولم يعقب إلا البنات ، وروي عن أخيه الشيخ أحمد أنه قال : لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلى وقال علي بالكفن فأخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال سمعاً وطاعة للدخول على الملوك ثم مد رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار قدس الله روحه وأمدنا بمدده ، ومناقبه مشهورة فلا حاجة إلى الإطالة

الإعراب : طالع فعل أمر وفاعله مستتر وأخي منادى حذف منه حرف النداء والأصل يا أخي وإحياء مفعوله وهو بكسر الهمزة والمد مضاف وغزال بتشديد الزاي وحذف ياء النسبة للوزن مضاف إليه وفي بعض النسخ إحيا غزالي بقصر إحياء وتخفيف زاي غزالي وثبوت ياء النسبة تنل فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر وفاعله مستتر تقديره أنت وفيه متعلق بتنل والشفا مفعول تنل ومن كل داء متعلق بالشفا وأعضلا فعل ماض وفاعله يعود على داء والجملة صفة له أي كل داء موصوف بكونه أعضل أي اشتد .

(كل بعد ذلك من حلال لا شبه * ما لا يذم الشرع ذلك حللا)

لما أنهى الكلام على بيان العلم الذي هو أفضل ما يشتغل به الإنسان بعد صلاة الضحى شرع فيما بعده فقال كل بعد ذلك الخ يعني كل أيها السالك إن لم تكن صائماً بعد ذلك أي بعد اشتغالك بالعلم الكائن بعد صلاة الضحى من الحلال لا من الشبه وإذا امتنع من الشبه يمتنع من الحرام بالأولى وضابط الحلال عند إمامنا الشافعي رضي الله عنه ما لم يرد دليل بتحريمه سواء أورد بحله دليل أم لا فهو ما لم يمنع منه شرعاً وهو معنى قول الناظم في بيان ضابطه :

* ما لا يذم الشرع ذلك حللا * أي الذي لا يذمه الشرع فذلك هو الذي حلل وعن أبي حنيفة رضي الله عنه هو ما ورد دليل بحله فهو أخص من الأول لخروج المسكوت عنه ويترتب على الخلاف المذكور أننا لو رأينا نباتاً ولم نعلم أمضر هو أولا أو حيواناً لم تعرفه العرب حكمنا عليه بالحل

الكلام وهو أصول التوحيد بحيث نعلم به الله وصفاته وأحكامه وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا وهذا العلم يحمد قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل كذا قاله الغزالي . وأما علم الكلام المنهي عنه فهو كتب علم الكلام المشتملة على تخليطات الفلاسفة كالمطالع والطوالع والمواقف والمقاصد كما أفاده الباجوري (قوله أخي) منادى مضاف حذف منه حرف النداء (قوله إحيا) بكسر الهمزة والقصر للوزن وقوله غزالي بتخفيف الزاي وبتشديد الياء نسبة إلى غزالة قرية من قرى طوس كما روي أن الشيخ محي الدين بن محمد بن مجد الدين بن شروان بن غزاور بن عبيد الله بن ست النساء بنت أبي حامد الغزالي قال أخطأ الناس في تشديد اسم جدنا وإنما هو مخفف نسبة إلى غزالة المذكورة (قوله أعضلا) فعل ماض أي اشتد ذلك الداء كما في الصحاح . ومعنى البيت الثاني طالع أنت يا أخي إحياء علوم الدين وهو تأليف العلامة الإمام محمد الغزالي ففيه شفاء من كل داء أعجز الأطباء كما قال بعض المشايخ ليس كتاب أعم نفعاً وأكثر فائدة من كتاب إحياء علوم الدين

ثم شرع في آداب الأكل والنوم وأدخلهما في باب حفظ الأوقات فقال : (كل بعد ذلك من حلال لا شبه * ما لا يذم الشرع ذلك حللا

لا شيء أنفع من تقلل أكله * وشرابه للجسم والدين اعتلا) أى كل أيها المريد لطريق الآخرة بعد الاشتغال بالقرآن والعلوم من حلال وما لا شبهة فيه والحلال عند امامنا الشافعي رضى الله عنه هو ما لم يدل على تحريمه دليل وعند أبى حنيفة هو ما دل الدليل على حله وتظهر فائدة الخلاف بينهما فى المسكوت عنه فعلى الأول هو من الحلال وعلى الثانى هو من الحرام ومن كلام أبى منصور ومظفر لا تظنوا أن حيات تأتى الى القبور من خارج ألا إن أصالكم أفعى لكم ما أكلتم من الحرام.

حياتكم ذكره ذلك الرملى فى عمدة الرابح قال الطرطوشى إن مضرانة الانسان طولها ثمانية عشر شبرا و ينبغى أن لا يزيد الأكل على ثلثها وهو ستة أشبار وهذا هو الشبع المعتاد و يندب أن ينقص عنه بأن يأكل ما يقيم صلبه للكسب والعمل وهذا هو الشبع الشرعى كما قال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه رواه الامام أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم وقوله بحسب بسكون السين وقوله أكلات بفتحات على ما قاله المناوى و بضمات على ما قاله العلقمى وقوله لنفسه بفتح الفاء أى يكفى ابن آدم لقيمات يقمن ظهره فان كان لا بد من التجاوز عما ذكر فليكن أثلاثا فثلث يجعله لطعامه وثلث يجعله لشرابه وثلث يدعه لنفسه وهذا من أنفع ما للكبد والقلب

على مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه لسكوت الشارع عن تحريمه وحكمنا عليه بالحرمة على مذهب الامام أبى حنيفة لعدم ورود دليل بحله . وضابط الحرام هو ما منع منه شرعا اتفاقا ويقال فيه على مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه هو ما ورد دليل على تحريمه وعلى مذهب الامام أبى حنيفة هو ما لم يرد دليل على حله ، وأما الشبه فهى جمع شبهة وهى ما اشتبهت عليك فلم تدر هل هى من قسم الحلال أو من قسم الحرام والأولى والورع لك اجتنابها لقوله عليه السلام دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه الحديث . قال القشنى فائدة : اختلف العلماء فى معنى الشبهة المذكورة فى الحديث فمنهم من قال انها الحرام عملا بقوله فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومنهم من قال انها الحلال عملا بقوله كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه فانه دال على أن ذلك حلال وأن تركه ورع وهو الصواب اه

الاعراب : كل فعل أمر وفاعله مستتر فيه وبعد ظرف متعلق به وهو مضاف واسم الاشارة مضاف اليه ومن حلال متعلق بالفعل أيضا ولا شبه لا عاطفة وشبه معطوف على حلال ما اسم موصول مبتدأ أول ولا نافية ويذم فعل مضارع والشرع فاعله والجملة صلة ما وعائدها محذوف أى يذمه وكذلك اسم اشارة مبتدأ ثان وحلل فعل ماض مبنى للمجهول ونائب فاعله يعود على اسم الاشارة والجملة خبر عنه واسم الاشارة وخبره خبر المبتدأ الأول :

(لاشيء أنفع من تقلل أكله * وشرابه للجسم والدين اعتلا * آفات شبع ثقل جسم قسوة ال قلب الازالة فطنة متململا * تضعيف جسم عن عبادة ربه * جلب لنوم فاحذرنه وعجلا)

لما أمر بالأكل من الحلال أمر أيضا ضمنا بالتقلل منه وذكر أنه أنفع للجسم وللدين بخلاف الشبع فان له آفات كثيرة فقال لا شيء الخ يعنى لا شيء أنفع للجسم وللدين من تقلل الطعام بأن يأكل ما يقيم صلبه للكسب والعمل وهذا هو الشبع الشرعى . قال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس يعنى يكفى ابن آدم لقيمات يقمن ظهره فان كان لا بد من الزيادة عما ذكر فليكن أثلاثا فثلث يجعله لطعامه وثلث يجعله لشرابه وثلث يدعه لنفسه وهذا من أنفع ما يكون للكبد والقلب فان البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق على الشراب فاذا ورد عليه الشراب ضاق على النفس وعرض له الكرب والتعب بحمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل ثم ذكر للشبع آفات خمسة أولها ثقل الجسم وذلك لأن الشبع يثقل القوى والبدن و يضرها ثانيها قسوة القلب لما روى عن

فان البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق على الشراب فاذا ورد عليه الشراب ضاق على النفس وعرض له الكرب والتعب بحمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل :

سيدنا

(آفات شبع ثقل جسم قسوة ال * القلب الازالة فطنة متململا
تضعيف جسم عن عبادة ربه * جلب لنوم فاحذرنه وعجلا)

أى آفات الشبع المتعادة أحدها ثقل جسم فان الشبع يضعف القوى والبدن وانما يقوى البدن بحسب قلة الغذاء لا بحسب كثرته ومن زاد فى الأكل على ثلث المصارين فقد مال عن طريق السالكين السافرين إلى الله تعالى كما ذكره العزيزى وثانيها قسوة القلب كما روى عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قل طعامه

سيدنا حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه وثالثها إزالة الفطنة أي إفساد الذهن وإبطال الحفظ قال سيدنا علي كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة وقال الداراني رضي الله عنه اذا أردت حاجة من حوائج الدنيا فلا تأكل حتى تقضيها فان الأكل يغير العقل وهذا أمر ظاهر عليه من اختبره ورابعها تضعيف الجسم عن عبادة ربه فإن من المعلوم يقينا أن العبادة لا تجيء منه اذا امتلأ البطن وان أكرهت النفس وجوهدت بضرب الجبل فلا يكون لتلك العبادة لذة ولا حلاوة ولذا قيل لا تطمع بحلاوة في العبادة مع كثرة الأكل وأي نور في نفس بلا عبادة وفي عبادة بلا لذة ولا حلاوة وقال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه صحبت أكثر عباد الله في جبل لبنان وكانوا يوصونني اذا رجعت الى أبناء الدنيا فعظهم وأخبرهم بأربع كلمات من يكثر الأكل لا يجد للعبادة لذة ومن يكثر النوم لا يجد في عمره بركة ومن يخالط الناس لا يستقيم طريقه الى الآخرة ومن يكثر الكلام فيما لا يعنيه يخرج من الدنيا على غير الاسلام، نسأل الله العافية والسلامة في الدنيا والآخرة وخامسها جلب النوم وذلك لأن من أكل كثيرا شرب كثيرا ومن شرب كثيرا نام كثيرا ومن نام كثيرا أضاع خيرا كثيرا واجتمع رأي سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوات التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت بكثرته ينقص من العمر واذا عرفت ما في الشبع من الآفات فاحذرنه وعبهلا أي أهملنه قال في الشرح .

(فائدة) اذا ظهر لك ما في الشبع من الآفات وما في الجوع من الفوائد تعين علينا بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن فان من تعود الأكل الكثير إن انتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف فينبغي أن يتدرج فينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان من يأكل رغيفين مثلا اذا أراد أن يرد نفسه الى رغيف فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص منه جزءا من ثمانية وعشرين جزءا أو جزءا من ثلاثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر لا يتضرر به ولا يظهر أثره يفعل ذلك بالوزن أو بالمشاهدة فيترك كل ليلة مقدار لقمة ثم فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه الى قدر القوام التي لا تبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل الثانية أن يردها بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما تكون الأربعة منه منا ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثر من الناس الثالثة أن يردها بالرياضة الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب الرابعة أن يزيد على مقدار المد الى المن ويشبه أن يكون ما وراء المن إسرافا في حق الأكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام تختلف بالشخص والسن والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه وهو أن يأكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة لكن الغالب أن من لم يقدر على نفسه رغيفا أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة ومن علامة الجوع الصادق أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الخبز وحده أي خبز كان فمهما طلبت خبزا بعينه أو أدما فليس بجوع وقد قيل من علامته أن يبصق فلا يقع الذباب عليه إذ لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة وفي معرفته غموضة فالصواب للمريد أن يقتصر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وإن بقيت شهوته وهذا بالنسبة الى تقليل الأكل . وأما بالنسبة الى وقت

كما قال علي كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة ورابعها تضعيف الجسم عن العبادة والعلم كما قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وخامسها جلب النوم كما قال بعض الحكماء من كثر أكله كثر شربه ومن كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه كثر لحمه ومن كثر لحمه قسا قلبه ومن قسا قلبه غرق في الآثام وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تميتوا القلوب من كثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع اذا كثر عليه الماء مات وقال صلى الله عليه وسلم ما زين الله رجلا بأفضل من عفاف بطنه وسادسها تقوية الشهوات ونصر جنود الشيطان كما قاله الغزالي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان كثرة الأكل شؤم (قوله متململا) أي غير مستقر وهو صفة لفطنة (قوله فاحذرنه) أي الشبع قوله وعبهلا أي اترك الشبع وهو فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة كما قال الشافعي :

يا طالب العلم باشر الورعا * وجانب النوم واحذر الشبعا
داوم على الدرس لا تفارقه * فالعلم بالدرس قام وارتفعا

الأكل ففيه أيضا درجات أعلاها أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها وانتهى جلعة الى ثلاثين وأربعين يوما وكان الصديق رضى الله عنه يطوي ستة أيام وابن الزبير رضى الله عنهما سبعة أيام . الثانية أن يطوي يومين الى ثلاثة . الثالثة وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع فلا يكون له عادة جوع ومن اقتصر على أكلة واحدة في اليوم فيستحب أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام اهـ .

الاعراب : لا نافية للجنس تعمل عمل إن وشيء اسمها وخبره محذوف أى موجود وأنفع يقرأ بالنصب صفة لشيء ومن تقلل متعلق بأنفع وهو مضاف وأكله مضاف اليه وشرابه معطوف على أكله وللجسم متعلق بأنفع والدين معطوف على الجسم واعتلا فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على الدين والجملة في محل نصب حال من الدين أى حال كونه معتليا وهي حال لازمة آفات مبتدأ وشبع بكسر الشين وسكون الباء مضاف اليه وثقل بكسر الثاء وسكون القاف خبر المبتدإ وجسم مضاف اليه وقسوة القلب بالرفع معطوف على ثقل وهي مضاف والقلب مضاف اليه والازالة بالرفع معطوف أيضا على ثقل وفطنة مفعول الازالة لجواز عمل المصدر المحلي بالألف واللام أو منصوب باسقاط الخافض أى للفطنة ومتململا خبر ليكون مقدرة مع اسمها أى ويكون مكثر الأكل متململا أى متقلبا لبس بثابت وتضعيف معطوف على ثقل أيضا بحذف حرف العطف وجسم مضاف اليه عن عبادة متعلق بتضعيف وهي مضاف وربه مضاف اليه جلب معطوف أيضا على ثقل بحذف حرف العطف ولنوم متعلق بجلب فاحذرنه الفاء فاء الفصيحة لأنها واقعة في جواب شرط مقدر تقديره اذا عرفت آفات الشبع فاحذرنه واحذرنه فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي جيء بها لأجل النون الخفيفة وتجملا فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا لأجل الوقف :

(قل بعد ذلك للسهاد لطاعة * ثم انتبه قبل الزوال تسللا
والظهر صل بجماعة مع سنة * ثم اشتغل بالخير مما قد خلا)

يعني وبعد الأكل المذكور نم نومة القيلولة لأجل السهاد أى السهر في الطاعة وهو لهذه النية سنة وان لم يوفق للقيام في الليل وفي هذا النوم فوائد : منها الاعانة على قيام الليل . ومنها استراحة النفس وصفاء القلب لعمل بقية النهار فان النفس اذا استراحت عادت جديدة ثم انتبه قبل الزوال من النوم حال كونك متسللا بمقدار تتمكن فيه من الاستعداد للصلاة بالوضوء حتى تكون قبل دخول وقت الصلاة مستقبل القبلة ذاكرا ومسبحا وتاليا فان ذلك من فضائل الأعمال وان لم تنم واشتغلت بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله تعالى ثم صل فرض الظهر بجماعة مع سنتها القبلية والبعدية لقوله صلى الله عليه وسلم « من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار » ثم اذا فرغت من صلاة الظهر فاشتغل بالخير حال كونه مما قد خلا أى مضى ذكره من العبادات أو العلم الى العصر .

الاعراب : قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وهو بكسر القاف من قال يقيل قيلا وقيلولة أى نام نصف النهار كذا في الصباح وبعد ظرف متعلق بقل وهو مضاف وذا اسم إشارة

(قل بعد ذلك للسهاد لطاعة * ثم انتبه قبل الزوال تسللا) أى نم نصف النهار بعد الأكل في غير يوم الجمعة لأجل الأرق في الليل في صلاة التهجد أو في الذكر أو في مطالعة الكتب ثم انتبه من نومك قبل الزوال حال كونك خارجا من النوم كما في الصحاح أو حال كونك آخذا في الانتباه كما في المصباح . قال صلى الله عليه وسلم « قيلوا فان الشياطين لاتقيل » رواه الطبراني وأبو نعيم عن أنس قال الزمخشري في معنى هذا الحديث إن القيلولة هي النومة قبل الظهر وقال العزيزي نقلا عن النهاية في ذلك والمقيل والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم انتهى وقال بعضهم يستحب من جهة الطب النوم بعد الغذاء والمشي بعد العشاء ولو مائة خطوة . قالت العرب : تغد وتمدد ولو كان السلطان جليسك وتعش وتمش ولو كان البدر أنيسك وأصل تمد تمدد بدالين لكنه اقتصر على إحدى الدالين كما اقتصر على إحدى الطاءين في قوله تعالى ـ ثم ذهب الى أهله يتمطى ـ أى ذهب الانسان وهو أبو جهل يتبختر افتخارا بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم :

اذا تغديت فنم ولو على رأس الغنم
وان تعشيت فقم ولو على رأس الجذر

(قوله قل) بكسر القاف وقوله للسهاد بالدال كما في الصحاح مضاف وقوله تسللا مصدر بمعنى اسم الفاعل وهو حال من الضمير في انتبه : (والظهر صل جماعة مع سنة * ثم اشتغل بالخير مما قد خلا)

مضاف اليه مبنى على السكون فى محل جر واللام للبعد والكاف حرف خطاب والسهاد اللام تعليلية متعلقة بقل والسهاد بمعنى السهر مجرور باللام والطاعة متعلق بالسهاد ثم حرف عطف وانتبه فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وقبل الزوال متعلق بانتبه وكملا مصدر بمعنى اسم الفاعل حال من فاعل انتبه والظهر مفعول مقدم بصل وجماعة حال من الظهر أو منصوب باسقاط الخافض مع ظرف متعلق بصل مبنى على السكون وهو مضاف وسنة مضاف اليه ثم حرف عطف واشتغل فعل أمر وفاعله مستتر وبالخير متعلق به وعما من جارة وما موصولة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الخير وقد خلا قد حرف تحقيق وخلا فعل ماض وفاعله مستتر يعود على ما والجملة صلة وهو بمعنى مضى :

(فطالب علما بعلم يشتغل * ولعابد صلى تلا أو هللا
وكذا الى وقت الرقاد فواظبن * جدا على هذا ولاتك ذاهلا
وكتاب أذكار النواوى طالعن * واعمل بما فيه تنل خيرا جلا)

هذا بيان وتفصيل للخير الذى قد مضى فى قوله «ثم اشتغل بالعلم أو بعبادة * أو بالمعيشة واخترن الأفضلا» والمعنى أن طالب العلم يشتغل بالعلم تعليما وتعلما وتأليفا والعابد يشتغل بالصلاة والتهليل والتسبيح والصلاة على النبى وقراءة القرآن ويواظب على ذلك الى وقت الرقاد أى النوم ولا تكن ذاهلا عن هذا التوزيع المذكور فيفوتك الربح وتخسر فان شق عليك المواظبة على ذلك فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظارا للشفاء وقد جمع جميع الأذكار والدعوات الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى اليوم والليلة الامام النووى فى كتابه المسمى بالأذكار فعليك به وطالعه واعمل بما فيه تنل خيرا جزيلا ظاهرا وباطنا . قال فى الشرح والامام النووى هو محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام بحاء مهملة ثم زاى الحزامى نسبة لجده حزام المذكور والنووى نسبة لنوى من أرض حوران من أعمال دمشق . كان اماما مفتيا محققا زاهدا ورعا صابرا قانعا عابدا محرر المذهب ومهذبه ومنقحه ومرتبه حافظا متقنا مدققا فى علوم الحديث عارفا بالتصريف والنحو واللغة جامعا للأصلين والقراآت السبع .

ولد رضى الله عنه فى العشر الأوسط من المحرم سنة احدى وثلاثين وستمائة وهو ولى الله تعالى الذى سار فى الآفاق ذكره وعلا فى العالم محله وقدره ذو التصانيف الجليلة التى صارت مقبولة عند الخلق وسارت مسيرة الشمس فى الأفق وكان فى تصنيفه كالجواد المسرع فى ميدانه ولقد حكى عنه أنه كان يكتب حتى تكل يده وتعجز فيضع القلم وينشد :

لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة * على غير سعدى فهو دمع مضيع

وقيل ان تصنيفه بلغ فى كل يوم كراستين فأكثر وكان له كشف وكرامات كثيرة . ومن كراماته ما سهل له من التصانيف فى الزمان اليسير فانه وزع عمره على تصانيفه فوجد أنه لو كان ينسخها فقط لما كفاها ذاك العمر فضلا عن كونه يصنفها فضلا عما كان يضمه اليها من أنواع العبادات وغيرها وكان لا يأكل فى اليوم والليلة سوى أكلة واحدة ولا يشرب الا شربة واحدة وكان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مواجها للملوك والجبابرة بالانكار لا تأخذه فى الله لومة لائم واذا عجز عن المواجهة كتب الرسائل وتوسل الى ابلاغها . وتوفى رضى الله عنه فى الثلث الأخير من ليلة الأربعاء رابع عشر من رجب سنة ست وسبعين وستمائة رحمه الله تعالى ونفعنا به وأمدنا بمدده آمين وقيل سمع منه قريب وفاته هذه الأبيات :

فطالب علما بعلم يشتغل
ولعابد صلى تلا أو هللا
وكذا الى وقت الرقاد
فواظبن
جدا على هذا ولاتك ذاهلا
وكتاب أذكار النواوى
طالعن
واعمل بما فيه تنل خيرا
جلا)
أى ثم صل فرض الظهر بجماعة مع سنتها القبلية والبعدية لقوله صلى الله عليه وسلم «من حافظ على أربع ركعات قبل صلاة الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار» أى نار الخلود كما قاله المناوى أو المراد النار التى استحق بها التعذيب بارتكاب بعض الذنوب فتكون تلك الركعات مكفرة لذلك كما أفاده العزيزى ثم بعد ذلك اشتغل بما مضى ذكره من العبادات فاذا كنت عالما أو متعلما فاشتغل بالتدريس أو بالحضور عند المدرس أو بمطالعة كتب أو بنسخها والا فاشتغل بصلاة نافلة أو تلاوة قرآن أو تهليل أو اعانة مسلم أو اكتساب لاعانة دينك وداوم على هذا التقسيم ولا تنس ذلك الى وقت النوم وطالع كتاب الأذكار للشيخ العالم الربانى

يحيى النووى فانه كتاب نفيس مشتمل على وظائف العبادات واعمل بمافيه تنل خيرا كثيرا (قوله جلا) بفتح الجيم و بالمد وهو خبر مبتدا محذوف أى هو أمر جلى كذا فى الصحاح وهو تكملة للبيت ويصح أن يكون فعلا ماضيا وفاعله يعود الى خيرا والجملة صفة له أى ظهر الخير للناس :

(لاتجعلن نوما ولا نت نائما * الاعلى ذكر وطهر كاملا)

أى لاتطلب النوم فلاتنم مالم يغلبك النوم الا اذا قصدت به الاستعانة على القيام فى آخر الليل ولاتتنعم ببسط الفراش الناعمة ولاتنم الا على ذكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أويت الى فراشك فقل باسمك ربى وضعت جنبى طهر قلبى واغفر ذنبى رواه ابن السنى عن ابن عباس وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يأوى الى فراشه لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم غفر الله ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر رواه ابن السنى وأبو نعيم وابن حبان وابن جرير وابن عساكر عن أبى هريرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا أويت الى فراشك فقل الحمد لله الذى من على فأفضل والحمد لله رب العالمين رب كل شئ واله كل شئ أعوذ بك من النار رواه البزار عن بريدة وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يأوى الى فراشه استغفر الله الذى لا إله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وان كانت عدد ورق الشجر وان كانت عدد رمل عالج وان كانت عدد أيام الدنيا رواه أحمد والترمذى عن أبى سعيد وقال صلى الله عليه وسلم اذا اضطجعت فقل بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون رواه أبو نصر عن ابن عمر وذكر ذلك كله الشيخ مصطفى البكرى ولاتنم الا على طهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم أسلمت وجهى اليك وفوضت أمرى اليك وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت فان مت فى ليلتك مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به رواه الشيخان وأحمد عن البراء ذكره الشيخ مصطفى البكرى وقال النووى فى التبيان لما

(٩٦)

يبشارُ قلبى فى قدومى عليهم * ويا لسرورى يوم سترى اليهم

وفى زحلتى بصفو مقامى وحبذا * مقام به حط الرحال لديهم

ولا زادلى الا يقينى بانهم * لهم كرم يغنى الوفود عليهم

انتهى ملخصا ومما رثى به الشيخ محى الدين النووى هذه الأبيات :

رأى الناس منه زهد يحيى سميه * وتقواه فيما كان يبدى ويخفيه

تحلى بأوصاف النبى وصحبه * وتابعهم هنيا لمن ذا بدا فيه

فقطوكى له ماشاقه طيب مطعم * ولا ملبس لانت ورقت حواشيه

بشر اذا ماسدد الخصم حجة * وان ضل عن قصد المحجة يهديه

فقضى وله علم تجدد ذكره * وينشره فالدهر هيهات يطويه

بكى فقده علم الحديث وأهله * ورداوه والكتب الصحاح وقاريه

ولاح على وجه العلوم كآبة * تخبر أن العلم قد مات محييه

الاعراب : فلطالب الفاء فاء الفصيحة واللام لام الابتداء وطالب مبتدأ وعلما مفعوله وبعلم متعلق بيشتغل وهو فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على طالب والجملة خبره ولعابد اللام لام الابتداء وعابد مبتدأ وصلى فعل ماض وفاعله يعود على عابد والجملة خبره وتلا معطوف على صلى بحذف العاطف أو هللا معطوف أيضا على صلى وكذا الواو عاطفة وكذا متعلق بمحذوف صفة لمصدر واظبن أى واظبن مواظبة كائنة كذا أى على هذا التوزيع والى وقت متعلق بواظبن والرقاد مضاف اليه فواظبن الفاء زائدة وواظبن فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة وجدا حال من فاعل واظبن على تأويله باسم الفاعل أو نائب عن المفعول المطلق أى واظبن حال كونك مجدا أو مواظبة جدا وعلى هذا متعلق بواظبن أيضا واسم الاشارة يعود على المذكور من الاشتغال بالعلم ان كان طالب علم أو الصلاة أو التلاوة أو التهليل ان كان عابدا ولا الواو عاطفة ولا ناهية وتك مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه سكون النون المحذوفة للتخفيف واسمها مستتر تقديره أنت وكالهلا وكتاب مفعول مقدم لطالعن وأذكار مضاف اليه وهى مضاف والنواوى مضاف اليه وطالعن فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة وفاعله مستتر تقديره أنت واعمل فعل أمر وفاعله مستتر وبما الباء جارة وما موصول مبنى على السكون فى محل جر وفيه متعلق بمحذوف صلة ما وتنل فعل مضارع مجزوم فى جواب الأمر وفاعله مستتر تقديره أنت وخيرا مفعوله وجلا فعل ماض وفاعله يعود على خيرا والجملة صفته أى خيرا موصوفا بكونه جلا أى ظهر :

(لا تجعلن نوما ولا تك نائما * الا على ذكر وطهر كاملا)

وجهاد نفس أن تزكى من رذا * ئلها وتحلية بنور فضائلا) البيت الاول مأخوذ من قول الشيخ عبد الكريم القشيرى واعلم أن من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة ثم قال واعلم أن أصل المجاهدة وملاكها فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها فى عموم الأوقات اه ولم . تحصل معرفة خاصة عالية للسالك من غير مجاهدة نفس فى الغالب قال أبو الطيب المعرفة طلوع الحق على الأسرار بمواصلة الأنوار وقال ابن عطاء المعرفة على ثلاثة أركان الهيبة والحياء والأنس. وقال ذو النون علامة العارف ثلاثة لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا تحمله كثرة نعم الله تعالى عليه على هتك أستار محارم الله تعالى . وسئل أبو يزيد عن العارف فقال من لا يرى فى نومه غير الله تعالى ولا فى يقظته غير الله تعالى ولا يوافق غير الله تعالى ولا يطالع غير الله تعالى ذكر ذلك القشيرى ثم ذكر الناظم أن جهاد النفس تطهيرها من رذائلها وتزينها بنور العبادات قال صلى الله عليه وسلم وأفضل الجهاد من جاهد نفسه فى ذات الله عز وجل رواه الطبرانى قال العزيزى أى أفضل الجهاد جهاد من شغل نفسه بفعل المأمورات وكفها عن المنهيات امتثالا لأمر الله عز وجل لان الشىء انما يفضل ويشرف بشرف ثمرته وثمرة مجاهدة النفس الهداية قال الله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »

الاعراب

(قوله جاهدا) فعل ماض والألف للاطلاق والجملة خبر يكن وقوله فى بدء متعلق به (قوله خردلا) بحذف مضاف أى مقدار خردل وهو جمع خردلة بالتاء المربوطة كما فى الصحاح (قوله من غيرها) الضمير عائد الى مصدر جاهدا لان الضمير لا يرجع الا الى الاسم (قوله فى غالب). قوله من غيرها متعلقان بقوله لن تحصلا وهو مفسر لقوله وكذلك : (والعارفون بربهم هم أفضل * من أهل فرع والأصول تكـ

أزلنا مبارك فى غالب متعلق بتحصل ومثله من غيرها والجملة لن تحصل خبر المبتدا والتقدير ومعرفة الله تعالى الخاصة أو المخصوصة ببعض عباده لا تحصل فى الغالب من غير مجاهدة :

(وجهاد نفس أن تزكى من رذا * ئلها وتحلية بنور فضائلا)

هذا بيان لحقيقة المجاهدة المتوقف عليها معرفة الله تعالى بحسب العادة . والمعنى أن جهاد تزكيتها من رذائلها أى من الأوصاف الذميمة كالعجب والكبر والرياء والحسد والغضب وشهوتى البطن والفرج والبخل وحب الجاه وحب المال والغرور وطول الأمل وتحليتها بنور فضائل أى بالأوصاف الحميدة كالتوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والفقر والتواضع والزهد والورع والتوكل والنية والاخلاص والصدق والمحبة والشوق والأنس والرضا وقصر الأمل . والحاصل أنه تتوقف معرفة الله تعالى بعد أن يعرف أن لها بالوجه على الايمان برسول الله ﷺ وبما جاء به وعلى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ثم لا يزال العبد يترقى فى معرفته بزيادة التقوى وكثرة الطاعات وترك الشهوات والتخلى عن الصفات الذميمة المهلكات والتحلى بالصفات الحميدة المنجيات وقد تكفل الامام الغزالى رحمه الله تعالى فى احياء علوم الدين ببيان الصفات المهلكات والصفات المنجيات وقد ذكر حقائقها وأسبابها وعلاجاتها لمن أراد كمال معرفة الله وسلامة دينه فلابد له من معرفة ذلك

الاعراب : وجهاد مبتدأ ونفس مضاف اليه أن تزكى أن مصدرية وتزكى فعل مضارع ونائب الفاعل يعود على نفس وأن وما بعدها فى تأويل مصدر خبر المبتدا ومن رذائلها متعلق بتزكى وتحلية معطوف على المصدر المنسبك من أن وتزكى وبنور متعلق بتحلية وهو مضاف وفضائل مضاف اليه بالاضافة البيانية أى نور هو الفضائل فانها نور يقذفه الله فى قلب العبد :

(والعارفون بربهم هم أفضل * من أهل فرع والأصول تكملا)

لما كانت معرفة الله تعالى علية فائقة على غيرها كان المتصفون بها وهم العارفون بالله أفضل ممن لم يتصف بها من أهل الفروع والأصول جميعا وذلك لأن العلم يشرف بشرف المعلوم وبثمراته فالعلم بالله وصفاته أشرف من العلم بكل من الفروع والأصول لأن متعلقه أشرف المعلومات وأكملها ولأن ثمارة أفضل الثمرات فان معرفة كل صفة من صفاته توجب حالا علية وتنشأ عن تلك الحال ملابسة أخلاق سنية ومجانبة أخلاق ردية فمن عرف سعة الرحمة أثمرت معرفته لها سعة الرجاء ومن عرف شدة النقمة أثمرت معرفته لها شدة الخوف وأثمر خوفه الكف عن الاثم والفسوق والعصيان مع البكاء والأحزان ومن عرف أن جميع النعم منه أحبه وأثمرت المحبة آثارها المعروفة كتقديم أمر الله تعالى على هوى النفس والتوقى بالورع ورعاية حدود الشرع والشوق الى الله تعالى والخلو عن كراهية الموت والرضا بالقضاء . واعلم أن الكلام فى عالم بالأصول وبالأحكام مجرد من معرفة الله تعالى أما لو كان عالما بذلك عارفا بمعرفتها فمن أفضل العارفين اذ حاز ما حازوه وفضل عليهم بمعرفة الاحكام وتعليم أهل الاسلام كما نص على ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى فتاويه .

يعني اذا كانت لك زوجة أيها المريد ونمت معها في فراش واحد وانتقض وضوؤك بسبب ذلك فلا بأس به ولا يفوت عليك فائدة النوم على الطهارة ما لم تكن مسترسلا في غفلة وتلامس أي منبسطا ومستأنسا بذلك حتى أورثتك لذة ذلك الغفلة عن مولاك فان كنت كذلك كان فيه بأس عليك وفاتتك فائدة النوم على الطهارة وهي عروج الروح الى العرش وأن الرؤيا تكون صادقة .

﴿ فائدة ﴾ يسن لكل من الزوجين عند الجماع أن يقول : اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا وذلك لما روي عن مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لو أن أحدكم اذا أتى أهله فقال بسم الله اللهم الخ فقضي بينهما ولد لم يضره ، وفي رواية البخاري لم يضره شيطان أبدا قال في النهاية وليتحرّ استحضار ذلك أي قول بسم الله اللهم الخ عند الانزال فان له أثرا بينا في صلاح الولد وغيره اه .

الاعراب : لا بأس لا نافية للجنس تعمل عمل ان وبأس اسمها وخبرها محذوف أي عليك وان شرطية وضاجعت فعل الشرط وتاء الخطاب فاعله وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله وزوجك مفعوله ولم تصر لم جازمة وتصر مجزوم بلم واسمه ضمير مستتر تقديره أنت والجملة في محل نصب حال من فاعل ضاجع وفي غفلة متعلق بمسترسلا وتلامس معطوف على غفلة ومسترسلا خبر تصر أي ضاجعت زوجك والحال أنك لم تصر مسترسلا في غفلة وتلامس والاسترسال هو الانبساط والاستئناس كما في المختار :

(فاذا انتبهت بليلة فتهجدا ❊ واستغفرن للمؤمنين وأعولا)

لما فرغ من آداب النوم نبه على آداب الانتباه بعده فقال فاذا انتبهت الخ يعني فاذا استيقظت من نومك فتهجد لله تعالى والتهجد التنفل بعد النوم ولا حد لعدد ركعاته قال عليه السلام عليكم بقيام الليل ولو ركعة ثم اذا فرغت من تهجدك فاستغفر للمؤمنين والمؤمنات بأن تقول أستغفر الله العظيم لي ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات قال ﷺ من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق بهم أهل الأرض وقال ﷺ من استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات فقال أستغفر الله العظيم الذي لا إله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف . والحاصل أنه ينبغي بعد التهجد الاكثار من الدعاء والاستغفار والتضرع والبكاء لخبر مسلم ان في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وأفضل الأوقات له وقت السحر لقوله تعالى وبالأسحار هم يستغفرون وللخبر الصحيح ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له ويكره لمعتاد القيام في الليل تركه لقوله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه ، وحكى اليافعي عن الشيخ أبي بكر الضرير قال كان في جواري شاب حسن يصوم النهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءني يوما وقال يا أستاذ اني نمت عن وردي الليلة فرأيت كأن محرابي قد انشق وكأني بجوار قد خرجن من المحراب لم أر أحسن وجها منهن واذا فيهن واحدة شوهاء لم أر أقبح منها منظرا فقلت لمن أنتن ولمن هذه فقلن نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك ولو مت في ليلتك هذه لكانت هذه حظك فشهق شهقة خر ميتا رحمة الله عليه ، وحكى عن بعض الصالحين أنه قال رأيت سفيان الثوري في النوم بعد موته فقلت له كيف حالك يا أبا سعيد فأعرض عني وقال ليس هذا زمان الكنى فقلت له كيف حالك يا سفيان فأنشأ يقول :

أن يدغدغ ذكره أولا حوالي الفرج ليحصل النشاط ثم يجامع فاذا شرع في انزال المني رفع بيديه عجيزة المرأة فيجد بذلك لذة عظيمة والله أعلم :

(فاذا انتبهت بليلة فتهجدا واستغفرن للمؤمنين وأعولا

فلركعتان من الصلاة بليلة * كنز بدار الخلد أدوم أنبلا   فاستكثرن من الكنوز لفاقة * تأتى عليك ولا نسيب ولا ولا)

أى إذا استيقظت من النوم فى ليلة فصلّ صلاة النافلة ولو ركعة كما قاله الشبراملسى فركعتان فى جوف الليل كنز من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم حاجتك يوم لا قريب ينفعك ولا ناصر ينصرك قال ﷺ لأبى ذرّ لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبى أنت وأمى قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصلّ ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وقال ﷺ عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى الله تعالى ومنهاة عن الاثم او تكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد وقال عليه السلام ركعتان فى جوف الليل يركعهما ابن آدم خير من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم وروى أن الله يباهى بقوّام الليل الملائكة يقول أنظروا الى عبادى قد قاموا فى جنح الظلام حتى لا يراهم غيرى أشهدكم أنى قد أبحتهم دار كرامتى ثم بعد الصلاة استغفر للمؤمنين وللمؤمنات قال ﷺ من استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وقال أيضا من استغفر الله فى كل يوم سبعين مرة لم يكتب من الكاذبين ومن استغفر فى كل ليلة سبعين مرة لم يكتب من الغافلين وقال ﷺ من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق بهم أهل الأرض وقال ﷺ من استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات فقال أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف (قوله وأعولا) بقطع الهمزة أى

(٩٩)

نظرت الى ربى عيانا فقال لى * هنيئا رضائى عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قواما إذا الليل قد دجا * بعبرة مشتاق وقلب عميد

فدونك فاختر أى قصر تريده * وزرنى فانى عنك غير بعيد

الاعراب : فاذا الفاء عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه وانتبهت فعل الشرط وبليلة متعلق به فتهجد الفاء واقعة فى جواب الشرط وتهجدا فعل أمر مبنى على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التى أتى بها لأجل النون الخفيفة المنقلبة ألفا وفاعله مستتر تقديره أنت واستغفرن الواو عاطفة واستغفرن فعل أمر مبنى على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التى أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة وفاعله مستتر تقديره أنت وللمؤمنين متعلق به وأعولا الواو عاطفة وأعولا بقطع الهمزة فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا وهو يقرأ بفتح الهمزة وفى المختار العول والعولة والعويل رفع الصوت بالبكاء تقول منه أعول اعوالا اه :

(فلركعتان من الصلاة بليلة * كنز بدار الخلد أدوم أنبلا)

(فاستكثرن من الكنوز لفاقة * تأتى عليك ولا نسيب ولا ولا)

هذا بيان لفضيلة التهجد ، والمعنى أن ركعتين من صلاتك فى الليل كنز من كنوز البر فى دار الخلد أى الجنة فاستكثر حينئذ من هذه الكنوز لفاقة أى حاجة تأتى عليك يوم القيامة والحال أنه لا نسيب هناك ولا ذا ولاء ينفعانك هنالك وقد ورد فى فضل التهجد أحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل وقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة لكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم ومطردة للداء عن الجسد ومنها قوله عليه الصلاة والسلام أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام ومنها قوله عليه الصلاة والسلام يحشر الناس فى صعيد واحد فينادى مناد أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب وروى أن الجنيد رؤى فى النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها عند السحر ومعنى طاحت تلك الاشارات أن اشاراته التى يشير بها للناس هلكت فلم يجد ثوابها ومعنى غابت تلك العبارات أن عباراته التى يعبر بها للمريدين تلاشت واضمحلت فلم يجد ثوابها أيضا ومعنى فنيت تلك العلوم أن العلوم التى يعلمها التلامذة انعدمت فلم يجد ثوابها أيضا ومعنى نفدت تلك الرسوم أن الرسوم التى يرسمها للمبتدئين فرغت فلم يجد لها ثوابا ومعنى وما نفعنا الخ أنه وجد ثوابها والمقصود من ذلك أن هذه الأمور لم يجد لها ثوابا لاقترانها فى الغالب بالرياء ونحوه إلا الركيعات المذكورة للاخلاص فيها وإنما قال رضى الله عنه ذلك حثا على التهجد وبيانا لشرفه وإلا فيبعد على مثله اقتران عمله برياء أو نحوه مع كونه سيد الصوفية وحكى أن أبا يزيد البسطامى رضى الله عنه كان صغيرا فى المكتب ولما وصل سورة المزمل قال لأبيه من هذا الذى أمره الله تعالى بقيام الليل فقال يا بنى هو محمد صلى الله عليه وسلم قال فلم لا تفعل كما فعل

ابكين على ذنوبك وتقصيرك فى العبادة كما قال على النجارى من الرجز : وطهر القلب من الأكدار * دواؤه بكاك فى الأسحار . أى فرغ القلب من حلول شىء فيه من الأمور التى تكدره كالحسد والكبر والعجب والغرور والرياء وحب الرياسة والجاه وكثرة الكلام والمزاح ودواء القلب البكاء فى أواخر الليل لأنه وقت التجليات ونزول الرحمات كما فى الخبر الصحيح عن جابر أن النبى صلى الله

عليه وسلم قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه وفى رواية أخرى يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك فى كل ليلة فينبغى للانسان أن يلح فى الدعاء له ولغيره لأن الله تعالى يحب الملحين فى الدعاء وكان بعض عباد الله الصالحين يستغيث بهذه الاستغاثة وهى من بحر الكامل :

يامن اليـــه المشتكى
واليه أمر الخلق عائد
يامن تحـل بذكره
عقد النوائب والشدائد
ياحى ياقيوم يا
صمد تعالى عن مضادد
أنت العليم بما بليـ
ـت به وأنت عليه شاهد
أنت الرقيب على العبا
د وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا
عك والمذل لكل جاحد
أنت المنزه يا بديـ
ـع الخلق عن ولد ووالد
فرج بحولك كربتى
يامن له حسن العوايد

فخفى لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند أنت الميسر والمسبـ * ـب والمسهل والمساعد

يسر لنا فرجا قريـ * ـبا يا إلهى لا تباعد كن راحمى فلقد أيسـ * ـت من الأقارب والأباعد

محمد صلى الله عليه وسلم قال كذلك أمر شرف الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فلما قرأ وطائفة من الذين معك قال يا أبت من هؤلاء قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال فلم لا تفعل كما فعلوا قال يابنى قوام الله على قيام الليل فقال يا أبت لاخير فيمن لا يقتدى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فصار أبوه يصلى بالليل فقال يا أبت علمنى صلاة الليل وأراد أن يصلى معه فمنعه أبوه من ذلك فقال يابنى إنك صغير فقال إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة وأمر بأصحاب الجنة الى الجنة أقول يارب أردت الصلاة بالليل فمنعنى أبى فقال يابنى قم فصل بالليل وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يأتى المساجد المهجورة بالليل فيصلى فيها ماتيسر لله عز وجل فاذا كان وقت السحر وضع جبهته على الأرض ومرغ خده على التراب ولم يزل يبكى الى طلوع الفجر فلما كان فى بعض الليالى فعل ذلك على العادة فلما فرغ ورفع رأسه من صلاته وتضرعه وجد رقعة خضراء قد اتصل نورها بالسماء مكتوب عليها هذه براءة من النار من الملك العزيز لعبده عمر بن عبد العزيز فلله در أقوام مازالت نياق وجدهم تسرى فى ليل تبتل قصدهم حتى بلغوا المنزلة وحصلت لهم العناية وما أحسن قول بعضهم :

ان لله عبادا * طلقوا الدنيا وهاموا
فـلـه ذلوا فعزوا * وله صلوا وصاموا
هجروا الأهل وساحوا * وعلى الأوراد داموا
فاذا مارقد النا * س ونام الخلق قاموا
فلهم فى الليل أحوا * ل إذا جن الظلام
أخلصوا فى الحب لله * وعلى الخير أقاموا

الاعراب : فلركعتان الفاء للتعليل واللام لام الابتداء وركعتان مبتدأ ومن الصلاة متعلق بمحذوف حال لازمة من المبتدا وبليلة متعلق بالصلاة وكنز خبر المبتدا وبدار الخلد متعلق بمحذوف صفة لكنز أى كائن بدار الخلد وأدوم أنبلا حالان من الضمير المستتر فى الجار والمجرور أى كائن هو أى ذلك الكنز حال كونه أدوم أى أبقى لك وحال كونه أنبلا أى أشرف وأفضل وأحسن فاستكثرن الفاء فاء الفصيحة لأنها واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره وإذا كانت الركعتان كنزا من كنوز الجنة فاستكثرن وهو فعل أمر مؤكد بالنون الثقيلة وفاعله مستتر فيه ومن الكنوز ولفاقة متعلقان باستكثرن ويأتى فعل مضارع وفاعله يعود على فاقة والجملة صفة لها وعليك متعلق بيأتى ولانسيب الواو للحال ولا نافية للجنس تعمل عمل ان ونسيب بمعنى قريب اسمها مبنى على الفتح فى محل نصب وخبر لا محذوف أى ينفعك ولا ولا الواو عاطفة ولا نافية للجنس ولا اسمها وهو على حذف مضاف أى ذا ولاء وخبر لا محذوف أى ولا ذا ولاء موجود وهو بفتح الواو والمد بمعنى النصر هنا لأن المولى يطلق على الناصر كما يطلق على غيره :

(ويفوت هذا بالكثير من اهتما * مك واشتغالك بالدنا متغافلا)
(وحديث دنيا ثم لغو واللغط * وكذا باتعاب الجوارح وامتلا)

(قوله أدوم) حال من الضمير المستتر فى الجار والمجرور وقوله أنبلا أى أفضل وأكبر وهو فى الاعراب مثل أدوم :

(ويفوت هذا بالكثير من اهتما * مك واشتغالك بالدنا متغافلا وحديث دنيا ثم لغو واللغط * وكذا باتعاب الجوارح وامتلا

لما أمر بالتهجد وبين فضيلته ناسب أن ينبه بذكر الأسباب التى تفوته فقال ويفوت الخ يعنى ويفوت هذا التهجد بأربعة أشياء : الأول الاهتمام بالدنيا مع التغافل عن أهوال الآخرة . والثانى الاشتغال بحديث الدنيا وبالكلام اللغو أى الباطل وبكثرة اللغط أى رفع الصوت . والثالث إتعاب الجوارح بالأعمال الشاقة فى النهار . والرابع إكثار الأكل لأنه مجلبة للنوم . ومما يفوت التهجد إهمال القيلولة وارتكاب الذنب بالنهار فانه يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن البصرى يا أبا سعيد إنى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بالى لا أقوم ؟ فقال ذنوبك قيدتك فالموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه ولا يهمل فيهمل وفقنا الله لما يحبه ويرضاه آمين

الاعراب : ويفوت الواو عاطفة ويفوت فعل مضارع وهذا اسم اشارة وفاعله مبنى على السكون فى محل رفع وبالكثير متعلق بيفوت ومن اهتمامك متعلق بالكثير واشتغالك معطوف على اهتمامك وبالدنا أى الدنيا متعلق بكل من اهتمام واشتغال ومتغافلا حال من كاف الخطاب ومتعلقه محذوف أى كونك متغافلا عن أهوال الآخرة وحديث معطوف على الكثير أو اهتمامك وهو مضاف والدنيا مضاف اليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ثم لغو ثم حرف عطف بمعنى الواو ولغو معطوف على حديث واللغط معطوف عليه أيضا واللغو قول الباطل واللغط الصوت والصياح كذا فى المختار وكذا الواو عاطفة وكذا خبر مقدم بإتعاب الباء زائدة وإتعاب مبتدأ مؤخر أى وإتعاب الجوارح كائن كذا أى كالمذكور من اشتغالك الخ فى تفويت التهجد وامتلا معطوف على إتعاب

(ويعين تجديد الوضوء وذكرا * قبل الغروب مسبحا مستقبلا
وعبادة بين العشاء ومغرب * ترك كلاما بعد ذلك غافلا)

لما ذكر الأسباب المفوتة للتهجد ذكر الأسباب المعينة عليه فقال ويعين الخ يعنى ويعينك على القيام للتهجد أربعة أسباب : الأول تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة . الثانى ذكر الله تعالى قبل غروب الشمس حال كونك مسبحا : أى ومستغفرا ومستقبلا للقبلة . الثالث العبادة بين المغرب والعشاء بصلاة أو تلاوة وذكر وأفضلها الصلاة : قال الحبيب عبد الله الحداد فى نصائحه الدينية ومن المستحب المؤكد إحياء ما بين العشاءين بصلاة وهو الأفضل أو تلاوة قرآن أو ذكر الله تعالى من تسبيح أو تهليل أو نحو ذلك . قال النبى عليه السلام « من صلى بعد المغرب ست ركعات لا يفصل بينهن بكلام عدلن له عبادة اثنتى عشرة سنة » وورد أيضا أن من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة وبالجملة فهذا الوقت من أشرف الأوقات وأفضلها فتأكد عمارته بوظائف الطاعات ومجانبة الغفلات والبطالات . وورد كراهة النوم قبل صلاة العشاء فاحذر منه وهو من عادة اليهود ، وفى الحديث « من نام قبل صلاة العشاء الآخرة فلا أنام الله عينيه » اه والرابع ترك الكلام بعد العبادة المذكورة فان الكلام فى ذلك الوقت يذهب طراوة النور

ويعين تجديد الوضوء وذكرا * قبل الغروب مسبحا مستقبلا وعبادة بين العشاء ومغرب * ترك كلاما بعد ذلك غافلا
أى السبب الذى يفوت به صلاة التهجد أربع الأول الاهتمام بالدنيا مع التغافل عن أهوال الآخرة والثانى حديث لافائدة فيه وكلام باطل وصوت مختلط والثالث إتعاب الجوارح فى الأعمال فى النهار الرابع إكثار الأكل ثم السبب الميسر لقيام الليل أربع الاول تجديد الوضوء والثانى الذكر قبل الغروب وهو يشمل التسبيح قال السهروردى وليقل بين الليل والنهار مائة مرة هذا التسبيح سبحان الله العلى الديان سبحان الله شديد الأركان سبحان الله من يذهب بالليل ويأتى بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله فى كل مكان فمن قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة اه والثالث العبادة بين المغرب والعشاء والرابع ترك الكلام كذلك قال الغزالى اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فأما الميسر الظاهر فأربعة أمور : الاول أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام . الثانى أن لا يتعب نفسه بالنهار فى الاعمال التى تعيا بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك أيضا مجلبة للنوم . الثالث أن لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على قيام الليل . الرابع أن لا يكتسب الآثام بالنهار فان ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة وأما الميسر الباطن فأربعة أمور الأول سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام فى الليل وان قام فلا يتفكر فى صلاته بل فى مهماته ولا يجول الافى وساوسه الثانى خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فانه اذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره الثالث أن يعرف فضل

قيام الليل بسماع الآيات والاخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان الرابع الحب لله وقوة الايمان بأنه فى قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعالى يخاطب معه واذا أحب الله تعالى أحب الخلوة به بلا شك وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام اهـ

﴿فائدة﴾ روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد أن ينام وينتبه فى وقت كذا فانه ينام على وضوء ويقرأ عند نومه قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ الى آخر السورة ويمسح بيده اليسرى صدره ويقول اللهم أنبهنى فى وقت كذا أوساعة كذا فانه ينتبه فى تلك الساعة لا محالة وقال النووى فى التبيان ويستحب أن يقرأ اذا استيقظ من النوم كل ليلة آخر آل عمران من قوله تعالى إن فى خلق السموات والأرض الى آخرها فقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ خواتيم آل عمران اذا استيقظ : (واظب على هذا بقية عمركا * واقصر لآمال وجاهد تنبلا) أى داوم على حفظ الاوقات تقسيمها على العبادات بقية عمرك فان شقت عليك المداومة على الاشتغال بوظائف العبادات فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظارا للشفاء وتفكر فى قصر عمرك وان عشت مائة سنة مثلا لانها قليلة بالنسبة الى إقامتك فى الآخرة لانها لا نهاية لها ولا تطوّل أملك فى أنك تعيش شهرا مثلا فيثقل عليك عملك بل قدر قرب الموت منك لأنك لو قدرت أنك تعيش سنة مثلا لم تطاوعك نفسك على الصبر فى الطاعة وكان الفضيل رحمه الله تعالى يقول خمس من علامات الشقاء: القسوة فى القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة فى الدنيا وطول الأمل كذا ذكره الشمر انى. وجاهد نفسك الأمارة بالسوء بأن تكلفها الصبر على طاعة الله يوما فيوما (قوله تنبلا) بضم الباء بالبناء للفاعل من باب كرم يكرم أى تكن نبيلا أى كريما

الحادث فى القلب من المواصلة بين العشاءين ويبعد من قيام الليل ومما يعين على قيام الليل القعود على الذكر أو الصلاة حتى يغلبه النوم ومنه أيضا ترك العادة كالوسادة والفراش الناعم ومنه أيضا سلامة القلب من الحقد والبدع وفضول هموم الدنيا ومنه أيضا حب الله عز وجل وحب الخلوة والتلذذ بمناجاته وفقنا الله لذلك

الاعراب : ويعين فعل مضارع وتجديد فاعله والوضوء مضاف اليه ومتعلقه محذوف أى بعد العشاء الآخرة وذكر بالرفع معطوف على تجديد وهو مضاف وكاف الخطاب مضاف اليه قبل الغروب متعلق بذكر مسبحا حال من كاف الخطاب وهى حال مؤكدة للعامل : أعنى لفظ ذكر اذ هو يشمل التسبيح وغيره ومستقبلا حال ثانية من كاف الخطاب أيضا مؤنسة وعبادة معطوف على تجديد بين ظرف متعلق بمحذوف صفة لعبادة أى عبادة كائنة بين المغرب والعشاء وترك معطوف أيضا على تجديد بحذف العاطف وكلاما مفعول ترك وبعد متعلق به وهو مضاف واسم الاشارة مضاف اليه وهو عائد على المذكور من العبادة بين المغرب والعشاء وغافلا حال من فاعل المصدر المحذوف أى تركك الكلام حال كونك غافلا أى عن أمور الدنيا وكل ما يشغلك عن الله والمراد غير متفكر فى ذلك

(واظب على هذا بقية عمركا * واقصر لآمال وجاهد تنبلا)

لما أنهى الكلام على بيان ترتيب الأوراد رغب فى مواظبة هذا الترتيب فيما بقى من العمر فقال واظب الخ يعنى داوم على هذا الترتيب المذكور من أول النهار الى آخر النهار فى بقية عمرك فان شقت عليك المداومة على ذلك فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظارا للشفاء واقصر آمالك واجعل الموت نصب عينيك لئلا يثقل عليك عملك وقل فى نفسك إنى أحتمل المشقة اليوم فلعلى أموت الليلة وأصبر الليلة فلعلى أموت غدا فان الموت ليس له وقت مخصوص وحال مخصوص وسن مخصوص فلابد من هجومه فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا وأنت تعلم أنك لا تبقى فيها الا مدة يسيرة وان عشت مائة سنة لأنها قليلة بالنسبة الى اقامتك فى الآخرة ولله در ابن الوردى حيث قال :

قصر الآمال فى الدنيا تفز * فدليل العقل تقصير الأمل
ان من يطلبه الموت على * غرة منه جدير بالوجل

هذا وجاهد نفسك الأمارة بالسوء بأن تكلفها الصبر على طاعة الله يوما فيوما فانك إن فعلت ذلك تنبل أى تشرف بكثرة الثواب ورفعة الدرجات فتفرح فرحا لا آخر له رزقنا الله التوفيق لذكر للموت وتقصير الأمل والانتفاع بالموعظة وكثرة العمل ﴿موعظة﴾ يحكى أن ملكا فى الزمن الأول كان كلما ولد له ولد ذكر وكبر لبس ذلك الولد الصوف وساح على وجه الأرض ونزهد فولد له ولد ذكر وكبر فدعا جميع الوزراء والرؤساء من أهل زمانه وقال لهم عرفتم عادة أولادى فالآن إذا مت من غير خلف

لعله يتملك عليكم ملك جائر وان كان من أولادي أمير عليكم يحفظ سيرتي فيكم وانى منتم لأجلكم لما تشيرون على فاجتمع رأيهم على أن قالوا أيها الملك الحيلة فى ذلك أن تبنى قصرا عظيما خلفه بستان وقدامه حائط ثم اذا كبر هذا الولد وأكل وحده وشرب وحده أنزلته مع والدته وأصحابه فى ذلك القصر وضممت اليه من أصحاب الملاهى وأصحاب الدنيا أناسا يزينون فى قلبه حب الدنيا حتى يميل اليها ولا يهرب عنها فاستحسن ذلك وفعل ما قالوا ونصب حفاظا يحفظونه لئلا يخرج من القصر وكان ذلك حتى كبر الولد وبلغ مبلغ الرجال فقال يوما لحفاظه ما وراء هذا الحائط قالوا أناس قال دعونى أبصرهم قالوا لا الا أن يأذن لك أبوك فاستأذنوه فأذن لهم فلما خرج مع خدمه رأى شيخا كبيرا يسيل لعابه على صدره قد ضعف وكل بصره وتقوس ظهره قد اجتمع عليه الذباب فقال الفتى لخدمه ما أصاب هذا قالوا قد أدركه الكبر وصار كما ترى قال الفتى هذا حالة خاصة أم للناس عامة قالوا بل للناس عامة قال لا عيش لمن آخره هذا فأخبروا أباه بما قال فقال لخدامه وأصحابه وأصحاب الملاهى أخرجوا هذا من قلبه فاحتالوا حتى أخرجوه من قلبه وشرحوا صدره فلما كان فى العام القابل استأذن فى الخروج فأذن له فخرج فاذا هو بشاب مراهق وعليه جراحات وقروح سائلة وقد اصفر وجهه ونحف بدنه فقال الفتى ما شأن هذا قالوا قد أصابه المرض والحمى فقال هذا له خاصة أم للناس عامة قالوا بل للناس عامة قال لا عيش لمن آخره هذا فأخبروا أباه بما قال فاحتالوا مثل الأول حتى أخرجوه من قلبه قال فلما كان العام الثالث أذن له فى الخروج فخرج فاذا هو بجنازة عليها ميت وحولها من يبكى فقال الفتى ما هذا فقالوا جنازة قال ما فوقها قالوا ميت قال الى أين يحمله هؤلاء الأربع قالوا الى القبر قال وما القبر قالوا بيت تحت الارض قال ومتى يخرج من ذلك قالوا يوم القيامة فقال الفتى لحملة نعشه ضعوا هذه الجنازة حتى أرى الميت وأكلمه فوضعوها وكشف عن وجهه فاذا هو شاب طرى قد فارق الدنيا فقال يا شاب ما أصابك فلم يرد عليه شيئا فقال ماله لا يكلمنى قالوا ان الميت لا يقدر على الكلام فقال فأين قبره فاحملونى حتى أراه فحملوه الى قبره فرأى القبر قال هذا قبره الى يوم القيامة قالوا نعم قال هذا له خاصة أم للناس عامة قالوا بل للناس عامة جميع الخلائق يموتون فقال الفتى لا عيش لمن يكون آخره الموت وبيته هذا القبر الى يوم القيامة ثم نزل عن دابته وولى هاربا وترك الدنيا ورجع الى الله عز وجل والدار الآخرة رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين .

الاعراب : واطلب فعل أمر وفاعله أنت وعلى هذا متعلق به وبقية مفعوله وهو مضاف وعمر مضاف اليه وهو مضاف وكاف الخطاب مضاف اليه واقصر بضم الصاد فعل أمر وفاعله أنت والآمال الألف واللام زائدتان وآمال مفعول اقصر منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة الحرف الزائد وجملة اقصر معطوفة على جملة واطلب وكذا جملة جاهد وتنبلا بضم الباء فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا مجزوم فى جواب واطلب وما بعده وفاعله أنت .

تذكرة

أى هذه تذكرة أى عظة وتنبيه وهى متضمنة النصح لمن ليس له شغل بالدنيا بل هو متجرد للعبادة ولو تركها لجلس بطالا وقد تقدم ما تضمنته هذه التذكرة واعادة لقصد التنبيه والتقريب وعدم التغافل عنه كما يفيده لفظ تذكرة :

(من لا له شغل بدنيا تاركا * دنيا لهم ما بال ذلك يبطلا
فبخدمة الرب العلى تنعما * بصلاته وتلاوة متشاغلا)

وكبيرا عند الله تعالى وفرحا عند الموت وفرحا لا آخر له

تذكرة

أى هذه موعظة تنفع المؤمنين فاشكر للناظم رحمه الله تعالى كما قال الحريرى :

سم سمة تحمد آثارها واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

(من لا له شغل بدنيا تاركا دنيا لهم ما بال ذلك يبطلا فبخدمة الرب العلى تنعما بصلاته وتلاوة متشاغلا

واذا السآمة فى الصلاة تعرضت * فاتل القران برهة متأملا   واذا سئمت تلاوة فانزل الى * ذكر بقلب واللسان مكملا
ثم اذكرن بالقلب وهو مراقبه * لاتشتغل بحديث نفس مهملا   لحديث نفس كالكلام بألسن * يقسو به قلب فلا تك غافلا)

أى اذا كان الشخص لايشتغل بالدنيا بأن لم تكن عنده أولم يحتج للاكتساب فلاينبغى أن يتعطل عن العبادة فان ذلك هو الخسران المبين فى الدنيا والآخرة بل ينبغى أن يشتغل بصلاة نفل فانها أفضل العبادات البدنية بعد الايمان فاذا سئمت من الصلاة فاقرأ القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن رواه الترمذى وذلك لأن لقارئ القرآن بكل حرف منه عشر حسنات ولأن القارئ يناجى ربه ولأن القرآن أصل العلوم وأمها فالاشتغال بقراءته أفضل من الاشتغال بجميع الأذكار الا ماورد فيه شىء مخصوص كما أفاده العزيزى واذا سئمت من القرآن فاذكر الله بقلبك ولسانك معا ثم اذكر الله بالقلب وهو مراقبة القلب مع الله تعالى حتى كأنه بين يديه والذكر أقرب الطرق الى الله تعالى وهو

علم على وجود الولاية كما قال بعضهم الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل وجميع الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشؤها من الذكر وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى ويكفيك فى دلالة الفضائل قوله تعالى فاذكرونى أذكركم وقوله تعالى فى الحديث القدسى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وان تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة . قال العلماء ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت بوقت فما من وقت الا والعبد مطلوب به إما   وذكر
وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات قال ابن عباس لم يفرض الله على عباده فريضة الا وجعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا معلوما ينتهى اليه ولم يعذر أحدا فى تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم بذكره فى الأحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا أى بالليل والنهار وفى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية ، وقال مجاهد الذكر الكثير أن لاينساه أبدا فينبغى للعبد أن يستكثر منه فى كل حالاته لو يستغرق فيه جميع أوقاته ولا يغفل عنه وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه فان تركه له وغفلته عنه أشد من غفلته فيه فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة وهذا نعت العقلاء ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور وهذه صفة العلماء ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى الله تعالى وهذه مرتبة العارفين المحققين من الأولياء وفى هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون

واذا السآمة فى الصلاة تعرضت * فاتل القران برهة متأملا
واذا سئمت تلاوة فانزل الى * ذكر بقلب واللسان مكملا
ثم اذكرن بالقلب وهو مراقبة * لاتشتغل بحديث نفس مهملا
فحديث نفس كالكلام بألسن * يقسو به قلب فلا تك غافلا)

يعنى أن من كان ليس له شغل فى الدنيا وكان تاركها لأهلها فليس شأنه أن يكون بطالا لا يشتغل بالعبادة بل شأنه أن يشتغل بالعبادة فيكون متنعما بخدمة الرب الأعلى مشتغلا بالصلاة والتلاوة ثم ذكر بيان كيفية الاشتغال بالعبادة بقوله واذا السآمة الخ يعنى أنه يشتغل بالصلاة مثلا مادام منشرحا فاذا أحس بملالة وسآمة منها فلينتقل الى القراءة فاذا أحس بملالة منها فلينتقل الى الذكر بالقلب واللسان فاذا أحس بملالة منه فلينتقل الى الذكر بالقلب وهو مراقبة القلب مع الله تعالى حتى كأنه بين يديه فان عجز عن المراقبة وغلبته الوساوس وتزاحم فى باطنه حديث النفس فلينم فان فى النوم السلامة . قال سفيان الثورى كان يعجبهم اذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة ولا ينبغى لطالب الآخرة أن يشتغل بالكلام وحديث النفس لأن كليهما يقسو به القلب قال سهل أسوأ المعاصى حديث النفس . واعلم رحمك الله أن الشارح ذكر تفصيلا حسنا فى توزيع الأوراد وجعله مختلفا باختلاف الأشخاص ولا بأس بنقل عبارته بالحرف تكميلا للفائدة فأقول قال رضى الله عنه .

(تنبيهان : الأول) أن الأصل فى الأوراد المداومة قال عليه السلام أحب الأعمال الى الله تعالى أدومها وان قل وكل وظيفة لايمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرا فى القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم مثال قطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالى فيحدث فيها حفرة ولو وقع على الحجر ومثال الكثير المتفرق مثال ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يتبين لها أثر ظاهر . الثانى أن الأوراد تختلف باختلاف الأشخاص فالعالم الذى ينتفع الناس بعلمه ان أمكنه استغراق الأوقات فيما فيه فتوى أو تصنيفا أو تدريسا فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها لأن فيه منفعة الخلق

وذكر الله والمراد بهذا العلم العلم الذى يرغب الناس فى الآخرة ويزهدهم فى الدنيا ويعينهم على سلوك طريق الآخرة اذا تعلموا على قصد الاستعانة على السلوك ولكن الأولى للعالم أن يقسم أوقاته أيضا فينبغى له تخصيص ما بين الصبح الى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما تقدم وبعد الطلوع الى الضحوة فى الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما للآخرة وان لم يكن صرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن فى المشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر يشتغل بالتصنيف وللمطالعة لا يتركهما الا وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ومن العصر الى الاصفرار بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس فى عمل اللسان وورده الثانى فى عمل القلب بالفكر الى الضحى وورده الثالث الى العصر فى عمل السمع لبروح به العين واليدفان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالبصر وعند الاصفرار يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار من عمل الجوارح مع حضور القلب . وأما الليل فالأحسن أن يقسمه أثلاثا كما قسمه الشافعى الثلث الأول للمطالعة والثلث الأوسط للصلاة والثلث الأخير للنوم وهذا يتيسر فى ليالى الشتاء وأما الصيف فربما لا يحتمل ذلك الا اذا أكثر النوم بالنهار وأما المتعلم فحكمه كحكم العالم الا أنه يبدل التعليم بالتعلم والتصنيف بالتعليق والنسخ فالاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل بل ان لم يكن متعلما على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس العلم والوعظ أفضل من اشتغاله بالأوراد وأما المحترف الذى يحتاج الى الكسب لعياله فورده فى وقت الصناعة الاشتغال بالكسب ولكن لا ينبغى أن ينسى الله تعالى فى صناعته فليواظب على التسبيحات والأذكار وقراءة القرآن ومهما فرغ من كفايته عاد الى ترتيب الأوراد وان دام على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد لان العبادة للتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة مع الكسب على هذه النية عبادة له فى نفسه تقربه الى الله تعالى ثم تحصل فائدة للغير وتنجذب اليه بركة دعاء المسلمين فيضاعف به الأجر وأما الوالى فقيامه بحاجات المسلمين على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويتم الأوراد المذكورة بالليل فهم مما تقدم أنه يقدم على العبادة البدنية العلم والرفق بالمسلمين لتعدى فائدتهما وانتشار جدواهما ، وأما الموحد المستغرق بالله تعالى الذى لا يحب الا الله ولا يأنس الا به ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر فى شىء الا ويرى الله فيه فلا يفتقر الى تنويع الأوراد بل ورده بعد المكتوبات حضور القلب مع الله فى كل حال فلا يخطر فى قلبه أمر ولا يقرع سمعه قارع ولا يلوح لبصره لائح الا كان له فيه عبرة وفكرة فلا يتميز عنده عبادة عن عبادة وهذا منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا وعلامته أن لا يخطر بقلبه معصية ولا تزعجه هواجم الأحوال وأنى يرزق هذه الرتبة كل أحد فيتعين على الكافة ترتيب الأوراد كما ذكرنا وأما العابد وهو المتجرد للعبادة الذى لا شغل له غيرها ولو ترك العبادة لجلس بطالا فحقه أن يستغرق أوقاته فى الصلاة أو القراءة أو التسبيح وقراءة القرآن فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة على ذلك فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص فينظر المريد الى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فان مقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى واذا أحس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذا كان الأصوب لأكثر

العبد محوا فى وجود العيان وقال أبو العباس بن البناء ومن أحسن الذكر ما هاج عن خاطر وارد من الله تعالى وهذا هو الذكر الحق عند المتصوفة على الاستمرار والتمكن فى الاسرار ذكر ذلك كله شيخنا يوسف السنبلاوينى ولا تشتغل بحديث قلبك فان ذلك مثل القول باللسان فى اللغو والمعصية (قوله يبطلا) أى يبق بلا عمل والألف عوض عن النون الخفيفة (قوله العلى) أى عالى الرتبة فى جميع صفات الكمال بحيث لا تصل رتبة أحد الى رتبته تعالى كما قاله الشنوانى (قوله تنعما) مصدر منصوب بعامل محذوف أى فليتنعم تنعما بنعمة الرب أى فليتوسع توسعا بها وليتلذذ تلذذا بها (قوله تعرضت) أى أقبلت (قوله فاتل القرآن) بفتح الراء ثم بالألف اللينة وسمى القرآن قرآنا لأنه يجمع أمرا ونهيا وخبرا ووعدا ووعيدا وغير ذلك مما لا يحصى كثرة كما قاله بعضهم (قوله برهبة) أى متلبسا بخوف (قوله متأملا) أى متدبرا فى معانى القرآن (قوله مهملا) أى

الحلق توزيع هذه الخيرات على الأوقات كما سبق لأن الملال هو الغالب على الطبع هذا ما في الاحياء اه
الاعراب من اسم موصول مبتدأ ولا نافية ملغاة أو عاملة عمل ليس وله خبر مقدم وشغل مبتدأ
مؤخر أو اسم لا وبدنيا متعلق بشغل وتاركا حال من الضمير في له ودنيا مفعوله ولهم متعلق
بتاركا والضمير يعود لمعلوم من المقام وهو أهل الدنيا وما اسم استفهام انكاري مبتدأ وبال خبره
وهو مضاف واسم الاشارة مضاف اليه يبطلا فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا على
ندور والجملة في محل نصب على الحال من اسم الاشارة وهو مأخوذ من البطالة لامن البطلان وجملة
مابال الخ خبر المبتدا وهو من الموصولة فبخدمة الفاء فاء الفصيحة واقعة في جواب شرط مقدر أى واذا
عرفت فبخدمة الخ والجار والمجرور متعلق بتنعما وخدمة مضاف والرب مضاف اليه والعلى بتشديد
الياء صفة للرب وتنعما فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا وفيه التفات من الغيبة الى
الخطاب بصلاته متعلق بمتشاغلا وتلاوة معطوف عليه ومتشاغلا حال من فاعل تنعما والغرض بها
تفصيل ما أجمله في قوله فبخدمة الخ واذا ظرف لما يستقبل من الزمان السآمة بمعنى الملل فاعل
بفعل محذوف أى واذا تعرضت السآمة وفي الصلاة متعلق بالسآمة وتعرضت مفسر للمحذوف
لامحل له فاتل الفاء واقعة في جواب الشرط واتل فعل أمر مبنى على حذف الواو وفاعله أنت
والقران بنقل حركة الهمزة الى الراء للضرورة مفعوله ورهبة أى خوف متعلق باتل ومتأملا حال
من فاعله ومتعلقه محذوف أى متأملا في معانيه واذا سئمت الواو عاطفة واذا ظرف وسئم فعل
الشرط وتاء الخطاب فاعله وتلاوة مفعوله فانزل الفاء واقعة في جواب الشرط وانزل فعل أمر وفاعله
مستتر فيه والى ذكر متعلق به وبقلب متعلق بذكر واللسان معطوف عليه ومكملا حال من اللسان
أى حال كونه مكملا للذكر ثم حرف عطف واذكرن فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة وفاعله مستتر
فيه وبالقلب متعلق به وهو بسكون الهاء مبتدأ عائد الى مصدر اذكرن وراقبه بسكون الهاء
للضرورة خبره لا تشتغل لا ناهية وتشتغل مجزوم بها والفاعل أنت وبحديث متعلق بتشتغل وهو
مضاف ونفس مضاف اليه ومهملا حال من فاعل تشتغل ومفعوله محذوف أى مهملا ما مر من الصلاة
وغيرها والاهمال الترك فحديث الفاء للتعليل وحديث مبتدأ ونفس مضاف اليه وكالكلام متعلق
بمحذوف حال من حديث وبالحس متعلق بالكلام ويقسو فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على
الواو منع من ظهورها الثقل وبه متعلق بيقسو وقلب فاعله فلاتك الفاء للتفريع ولا ناهية وتك فعل
مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمها سكون النون المحذوفة للتخفيف واسمها مستتر وغافلا
خبرها ومتعلقه محذوف أى لحديث النفس وفي بعض النسخ غافلا بدل فاعلا وعليه فالمراد غافلا عن
الذكر بأن تتركه عمدا أو سهوا :

(مهمة)

أى في بيان أفضل الأعمال وكيفية الذكر وبيان المجاهدات وهى حاصل ما تقدم :

(قد أجمع العراف حقهم على * أن أفضل الطاعات في الملا
حفظ الأنفاس يكون خروجها * ودخولها بالله في الملا الخلا
بالشد ثم للذ تحت ثم فو * ق صفه لمع برزخ فاستكملا
أوذكر تهليل وبالذكر الخفى * من غير تحريك الشفاه تداولا

مسترسلا في حديث النفس وهو حال من فاعل لاتشتغل المستتر فاذا جاءك هذا فادفعه بالاعراض عنه واشتغل بنحو التفكر في
مصنوعات الله تعالى وقد جاء في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة كذا ذكره شيخنا
يوسف السنبلاويني (قوله فلاتك غافلا) أى لحديث النفس فانه يقسي القلب وفي نسخة فلاتك غافلا أى عن الذكر بأن تتركه عمدا أو سهوا (مهمة) أى هذه أمور عظيمة ينبغى أن يهتم بشأنها (قد أجمع العراف جلهم على أن افضل الأعمال في الملا حفظ لأنفاس يكون خروجها ودخولها بالله في الملا الخلا بالشد ثم للدتحت ثم فوق صفه له مع برزخ فاستكملا أوذكر تهليل وبالذكر الخفى من غير تحريك الشفاه تداولا) هذه الأبيات نقلها الناظم عن الشيخ العيدروس عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهم أى قد أجمع أكثر العارفين على أن أفضل الطاعات حفظ الأنفاس وهو أن يكون خروج الأنفاس ودخولها بقول الله مع الجماعة وفي الانفراد فانه مفتاح الغيب وجاذ الخير وأنس المستوحش وجامع شتات صاحبه واذا غلب على الذاكر حب اسم الله كبر يعني
حتى ان بعض الذاكرين وقع عليه حجر فقطر الدم على الأرض وكتب الله الله كذا ذكره سيدي عبد الوهاب الشعراني .
ويجب على المريد أن يذكر بقوة تامة بحيث لا يبقى فيه متسع فاذا ذكر المريد ربه بشدة وعزم طويت له مقامات الطريق

بسرعة من غير بطء فربما قطع فى ساعة مالا يقطعه غيره فى شهر وأكثر والدليل على ذلك قوله تعالى « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » فكما أن الحجر لاينكسر إلا بقوة كذلك الذكر لايؤثر فى جمع شتات قلب صاحبه إلا بقوة كذا أفاده الشيخ عبد الوهاب نقلا عن القوم وهذا هو المراد بقول الناظم بالشد وقوله ثم للد تحت ثم فوق كما قال أحمد الجنيدى البيمونى ينشئ قول الله وبقية الأسماء من سرته ويتزل بها على قلبه انتهى . وقال الشعرانى يهز من فوق رأسه إلى أصبع قدميه وقول الناظم صفة له مع برزخ إما يقرأ بسكون الفاء وسكون الهاء المجرورة باللام ولا بد مع ذلك من تنوين القاف فى قوله فوق واما أن يقرأ بسكون الهاء بعد الفاء المفتوحة وبضم الهاء المجرورة باللام وعدم التنوين فى قاف فوق . والمعنى على الاحتمال الأول استحضر شيخك فى الذكر ليكون رفيقك فى السير الى الله تعالى وهذه من أهم الآداب

يعنى قد أجمع معظم العارفين بالله تعالى على أن أفضل الطاعات لله تعالى حفظ الأنفاس وهو مراعاتها بحيث لا يصرفها إلا فى طاعة الله تعالى بأن لا يخلو نفس من الأنفاس عن ذكر الله تعالى بأن يكون نحو جهاود خولها بقول الله ولا فرق بين أن يكون بحضرة الملا أى الجماعة أو فى الخلا أى الانفراد ثم ذكر كيفية النطق بهذه الكلمة الشريفة بقوله بالشد الخ أى انه اذا نطق بها أظهر الشد وبعد ألفها و يبتدئ بها من تحت أى من السرة ثم صعد بها الى فوق حتى ينتهى الى الدماغ وقوله صفة له مع برزخ أى يضم الى لفظ الله صفة من صفاته بأن يستحضر عند قوله الله بصيرا وقادرا ومريدا وسميعا وهكذا الى آخر صفات الله تعالى وأسمائه ويضم أيضا الى ذلك استحضار شيخه المرشد ليكون رفيقه فى السير الى الله تعالى وقوله فاستكملا أى سائر آداب الذكر من الطهارة واستقبال القبلة وتنزيه السر من الدنيا وأن يذكر حبا لله وأن يغمض عينيه لأنه أسرع فى تنوير القلب وقوله أو ذكر تهليل معناه أن حفظ الأنفاس كما يكون بقول الله كذلك يكون بذكر لا اله إلا الله وكيفية ذلك أن يحقق الهمزة من إله و يمد ألفه مدا طبيعيا أو أكثر ويفتح الهاء ويسكن الهاء من الله وأن يبدأ بلا من الجهة اليمنى و يرجع بإله إلى جهة صدره وبالا الله إلى جهة القلب وهى اليسار ويضرب القلب بقول إلا الله ضربا قويا لتنزل الجلالة على القلب فتحرق سائر الخواطر الردية ويضم حال الذكر إلى قلبه مستحضرا المعنى حتى كأن قلبه هو الذاكر وهو يسمعه وينبغى أن لا يختم الذكر حتى يحصل له نوع من الاستغراق وشوق وهيمان ثم اذا ختم سكت وسكن واستحضر الذكر باجرائه على قلبه مترقبا لوارد الذكر فلعله يرد عليه وارد فى لحظة فيعمره بما لم تعمره المجاهدة ثلاثين سنة وهذا الوارد إما وارد زهد أو ورع أو تحمل أذى أو كشف أو محبة أو غير ذلك وينبغى أن لا يشرب الماء عقبه أو أثناءه لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجليات والواردات وشرب الماء يطفئ تلك الحرارة وأقله أن يصبر نحو ساعة فلكية وكلما كان أكثر كان أحسن وقوله وذا الذكر الخ أى أن كان حفظ الأنفاس بما ذكر هو الذكر الخفى وهو الذى تداوله أى استعمله الذاكر من غير تحريك شفتيه وهو أفضل من الجهر . قال سيدى أبو بكر بن عبد الرحمن نفعنا الله به أوقية من أعمال السر تعدل بكذا وكذا قنطارا من أعمال الظواهر . وقال فى الاحياء قال بعض المكاشفين ظهر لى ملك فسألنى أن أملى عليه شيئا من ذكرى الخفى عن مشاهدتى من التوحيد وقال : ما نكتب لك

فكان معنى كلام الناظم حينئذ اذكر بلسانك لفظ الله خالصا لله تعالى مع استحضار قلبك لشيخك وعلى الاحتمال الثانى أن الكيفية فى الذكر أن يكون مع الشيخ فلا يتجاوز الى غير الذكر الذى لقنه شيخه الا باذنه ولا الى أوراد مخصوصة بطريق شيخه (قوله أو ذكر تهليل) معطوف على قوله بالله قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الذكر لا اله الا الله » رواه الحاكم أى لأنها كلمة التوحيد والتوحيد لايماثله شىء ولأن لها تأثيرا فى تطهير الباطن فيفيد نفى الآلهة بقوله لا إله ويثبت الوحدانية لله تعالى بقوله الا الله ويعيد الذكر من ظاهر لسانه الى باطن قلبه كذا أفاده العزيزى (قوله وبالذكر الخفى) متعلق بقوله تداولا وهو فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة أى خذ الذكر الخفى مرارا كثيرة وهو من غير تحريك الشفاه قال صلى الله عليه وسلم « خير الذكر الخفى وخير العبادة أخفها » رواه القضاعى عن عثمان بن عفان وانما كان الأخفى خير العبادة لسهولة المداومة ولأنه أنشط للنفس (قوله الخفى) وفى رواية المخفى بالميم وهو ما أخفاه الذاكر عن الناس فهو أفضل من الجهر وفى أحاديث أخر ما يفيد أن الجهر أفضل كذا أفاده العزيزى وقال عبد الوهاب الشعرانى وقد أجمع العلماء سلفا وخلفا على استحباب ذكر الله تعالى جماعة فى المساجد وغيرها من غير نكير بشرط أمن من الرياء ومن تأذى نحو مصل ونحوه وقد شبه الامام الغزالى رحمه الله تعالى ذكر الانسان وحده وذكر الجماعة بأذان المنفرد وأذان الجماعة فان أصوات المؤذنين جماعة تقطع جرم الهواء أكثر من صوت مؤذن واحد وكذلك ذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيرا فى رفع الحجب فان الله شبه القلوب بالحجارة ومعلوم أن الحجر لا ينكسر الا بقوة جماعة مجتمعين على قلب واحد

لان قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد انتهى . وقال الشيخ الكامل ابراهيم المتبولى إرفعوا أصواتكم فى الذكر الى أن تحصل لكم الجمعية كالعارفين ثم قال الشارح وقال الشيوخ يجب على المريد فى بداية أمره رفع صوته بالذكر فى الملا حتى ينخرق حجابه ثم اذا تمكن فى الذكر وأنس بالله تعالى دون الخلق فهنالك لا يصلح له مراعاة أحد من المخلوقين فلا يحتاج الى رفع صوت . وقال عبد الوهاب وينبغى أن يكون الجهر برفق فانه اذا كان بغير رفق ربما يترتب له فتق فى بطنه فيتعطل جهره (قوله جلهم) بضم الجيم أى أكثرهم (قوله ان أفضل) بدرج الهمزة للوزن (قوله الملا) بفتح الميم وضمها وهو على حذف مضاف أى ذى الملا أى الرفعة والشرف كما فى الصحاح (قوله مع برزخ) أى واسطة بينه و بين الله تعالى وهو الشيخ الذى يزيل عنه الموانع

عملا ونحب أن نكتسب عملا نتقرب به إلى الله تعالى فقلت : ألستما تكتبان الفرائض فقالا بلى فقلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة على أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب إنما يطلعون على الأعمال الظاهرة . اهـ .

﴿ تتمة فى الكلام على بعض فضائل الذكر ولا إله الا الله ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذكر الله علم الايمان وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النيران » . وقال ﷺ « أفضل الذكر الذكر الخفى » . وقال ﷺ « أشد الأعمال ثلاث ذكر الله تعالى على كل حال ومواساة الأخ من مالك وانصاف الفقير البائس من نفسك » . وقال ﷺ « علامة حب الله حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله عز وجل » . وقال ﷺ حكاية عن الله تعالى « أنا مع عبدى اذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه » . وقال ﷺ « ذكر الله تعالى بالغداة والعشى أفضل من ضرب السيوف فى سبيل الله » . وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الذكر لا اله الا الله » وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال يفتح الله تعالى أبواب الجنة و ينادى مناد من تحت العرش أيتها الجنة وكل ما فيك من النعيم لمن أنت فتنادى الجنة وكل ما فيها نحن لأهل لا اله الا الله ولا نطلب الا أهل لا اله الا الله ولا يدخل علينا الا أهل لا اله الا الله ونحن محرمون على من لم يقل لا اله الا الله وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب لا يدخلنى الا من أنكر لا اله الا الله ولا أطلب الا من كذب بلا اله الا الله وأنا حرام على من قال لا اله الا الله ولا أمتلئ الا بمن جحد لا اله الا الله وليس غيظى وزفيرى الا على من أنكر لا اله الا الله ثم قال فتجىء رحمة الله ومغفرته فتقول أنا لأهل لا اله الا الله وناصرة لمن قال لا اله الا الله ومحبة لمن قال لا اله الا الله والجنة مباحة لمن قال لا اله الا الله والنار محرمة على من قال لا اله الا الله والمغفرة من كل ذنب لأهل لا اله الا الله والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل لا اله الا الله . وروى أن النبى ﷺ كان يمشى فى الطرق و يقول قولوا لا اله الا الله تفلحوا . وقال سفيان بن عيينة ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا اله الا الله وأن لا اله الا الله لهم فى الآخرة كالماء فى الدنيا . وقال سفيان الثورى رحمه الله ان لذاذة قول لا اله الا الله فى الآخرة كلذة شرب الماء البارد فى الدنيا . وذكر مجاهد فى تفسير قوله تعالى « وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » أنه لا اله الا الله وقيل ان كل كلمة تصعد للملك بها الا قول لا اله الا الله فانها تصعد بنفسها دليله قوله تعالى « اليه يصعد الكلم الطيب » أى قول لا اله الا الله والعمل الصالح يرفعه أى الملك يرفعه الى الله تعالى حكاه الرازى وحكى أيضا أنه اذا كان آخر

التى تمنعه عن الحضور كما قال بعضهم من لا شيخ له فشيخه الشيطان فان لم يجد له شيخا فليكثر من ذكر الله تعالى باللفظ حتى يصير الله تعالى مشهوده وهناك يصح الفتح كما أفاده الشيخ الشعرانى . وقال أيضا نقلا عن القوم يجب على الشيخ أن يأمر المريد أن يذكر الله تعالى بلسانه بشدة وعزم فاذا تمكن من ذلك يأمره أن يسوى فى الذكر بين لسانه وقلبه و يقول له اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك بين يدى ربك أبدا بقلبك ولا تترك الذكر حتى يحصل لك منه حال وتصير أعضاؤك كلها ذاكرة لا تقبل الغفلة عن الله تعالى (قوله فاستكملا) أى لآداب الذكر لأن طريق القوم سداها الآداب ولحمتها الذكر فلا يتم نسجها الا بهما و يكون فى الذكر على طهارة من حدث وخبث

الزمان

ومستقبل القبلة ان كان وحده والا تحلقوا ومفرغا لقلبه عما سوى الله حتى لا يطلب دنيا ولا أخرى ولا ثوابا ولا ارتقاء وانما يذكر الله حبا فى الله ومغمضا لعينيه لأنه أسرع فى تنوير القلب وأن يكون المكان مظلما حتى لو كان هناك سراج أطفأه ان كان فى خلوة نفسه و يحقق للهلل الهمزة ويمد الألف مدا طبيعيا أو أكثر و يفتح الهاء من إله و يسكن الهاء من الله و يجر رأسه بعدها من السرة الى مبلغ الرأس و يميل رأسه الى الجهة اليمنى بلا و يرجع بالاله الى جهة صدره و بالا الله الى جهة القلب وهى اليسار و يضرب القلب بقوله الا الله ضربا قويا لتنزل الجلالة على القلب فتحرق سائر الخواطر الردية وانما تطلب هذه الكيفية لتمام الكلمة المشرفة

الزمان فليس لشيء من الطاعات فضل كفضل لا إله إلا الله لأن صلاتهم وصيامهم يشوبهما الرياء والسمعة وصدقاتهم يشوبها الحرام ولا إخلاص في شيء منها أما كلمة لا إله إلا الله فهي ذكر الله والمؤمن لا يذكرها إلا عن صميم قلبه وفي الخبر يقول الله تعالى لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي ويقال لا إله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من أبواب النار السبعة عن كل عضو من الأعضاء السبعة وروى القرطبي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حضر ملك الموت عليه السلام رجلا فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيئا ثم فك عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله فقال وجبت لك الجنة بقول كلمة الإخلاص يعني لا إله إلا الله . وروى البيهقي عن بكر بن عبد الله المزني رحمه الله أن ملكا من الملوك كان متمردا على ربه عز وجل فغزاه قومه فأخذوه سلما فقالوا بأي قتلة نقتله فأجمعوا أمرهم على أن يجعلوه في قمقم من نحاس عظيم ويجعلوه فيه ويحشوا النار تحته ولا يقتلوه ليذيقوه طعم العذاب ففعلوا ذلك فجعلوا يحشون تحته النار وهو يدعو آلهته واحدا واحدا يا فلان ألم أكن أعبدك وأصلي لك وأمسح وجهك وأفعل بك كذا وكذا فأنقذني مما أنا فيه فلما رآهم لا يغنون عنه شيئا رفع رأسه إلى السماء فقال لا إله إلا الله وابتهل إلى الله وهو يقول لا إله إلا الله ويكررها فصب الله عليه غيثا من السماء فأطفأ تلك النار وجاءت ريح فاحتملت القمقم فجعل يدور بين السماء والأرض وهو يقول لا إله إلا الله فقذفه الله تعالى إلى قوم لا يعرفون الله وهو يقول لا إله إلا الله فأخرجوه فقالوا ويحك ما لك فقال أنا فلان كان من أمري كذا وكان من أمري كذا فآمنوا كلهم بالله وقالوا بأجمعهم لا إله إلا الله .

اخواني : هؤلاء كانوا كفارا في ظلمات العمى فأنقذهم الله بنور الهدى ونجاهم من الردى وكل ذلك ببركة قول لا إله إلا الله فانظروا إلى كلمة الإخلاص ما أعظم بركاتها فرطبوا ألسنتكم بها تنالوا بركة احسانها وتظفروا بحلاوة امتنانها قال ابن عباس رضي الله عنهما الليل والنهار أربع وعشرون ساعة وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر كل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب إذا قالها في كل يوم مرة فكيف بمن يكثر من قول لا إله إلا الله ويجعله شغله . ولقد أحسن القائل :

يا قوم لا تغفلوا بجهلكم * عن ذكره لا إله إلا هو
كيف تنام العيون عن ملك * سبحانه لا إله إلا هو
تحسبوه في الليل والنهار ولا * ينسى كم لا إله إلا هو
هو الإله العظيم قدرته * سبحانه لا إله إلا هو
يا فوز من مات وهو معتمد * يشهد أن لا إله إلا هو
سبحانه ما أعم رحمته * لمذنب تاب من خطاياه

وفي الحديث من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة اللهم لا تمتنا على غفلة ولا تأخذنا على غرة واجعل آخر كلامنا يا مولانا من الدنيا قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم آمين .

الإعراب : فقد أجمع قد حرف تحقيق وأجمع فعل ماض والعراف فاعله وهو بضم العين وفتح الراء المشددة جمع عارف بجلهم صفة للعراف ومعظم الجمع تضم فيه للوزن على أن على جارة وأن حرف توكيد ونصب وأفضل اسمها ويقرأ بحذف الهمزة للوزن وأن وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بعلى والجار والمجرور متعلق بأجمع وأفضل مضاف والطاعات مضاف إليه وقوله متعلق بمحذوف حال من

على اللطائف الخمس وهي لطيفة القلب ولطيفة الروح ولطيفة السر ولطيفة الخفي ولطيفة الأخفى ويصفي الذاكر حال الذاكر قلبه مستحضرا المعنى حتى كأن قلبه هو الذاكر وهو يسمعه

الطاعات والعلا صفة لله وهو بفتح العين الرفعة والشرف ولابد من تقدير مضاف أى ذى العلا أو تأويله باسم الفاعل أى العلى وحفظ خبر أن وللأنفاس متعلق به ويكون فعل مضارع وخروجها اسمها ودخولها معطوف عليه وبالله متعلق بمحذوف خبر يكون وفى للا متعلق بما تعلق به الخبر والحلا معطوف عليه بحذف العاطف أى يكون خروجها ودخولها كائنين بالله فى للا وفى الحلا وبالشد متعلق بمحذوف خبر ليكون مقدرة أى ويكون لفظ الجلالة كائنا بالشد أى إظهار تشديد الله وبالمد أى مد ألفه وتحت ظرف مبنى على الضم متعلق بمحذوف خبر بعد خبر ليكون المقدرة أى ويكون مبتدأ من تحت أى من السرة وثم فوق ثم حرف عطف وفوق متعلق بمحذوف أى ثم تصعد به إلى فوق وهو مبنى على الضم وصفه بفتح الفاء وسكون الهاء للضرورة مفعول لفعل محذوف تقديره وضم محققة أى من صفاته تعالى وله متعلق بذلك المحذوف أى ضم له أى للفظ الجلالة والمراد بالضم الاستحضار مع برزخ متعلق بمحذوف صفة لصفة قال فى الشرح المراد به الشيخ المرشد فاستكملا الفاء فاء الفصيحة أى إذا علمت ذلك فاعمل به واستكمل سائر آداب الذكر واستكملا فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا وفاعله مستتر فيه أو ذكر معطوف على لفظ الجلالة وهو مضاف وتهليل مضاف اليه وذا الواو عاطفة وذا اسم إشارة يعود لحفظ الأنفاس بما ذكر وهو مبتدأ والذكر خبره والخفى صفته ومن غير متعلق بتداول وهو مضاف وتحريك مضاف اليه وهو مضاف والشفاه مضاف اليه وتداول فعل ماض وفاعله يعود على الذاكر المستفاد من ذكر وجملة تداول بيان لتسميته بالذكر الخفى أى وإنما سمى بذلك لكونه استعمله الذاكر من غير تحريك شفتيه :

(من لم يكن فى بدء أمر جاهدا * لم يلق من هذى الطريقة خردلا)

لما أنهى الكلام على بيان أفضل العبادات شرع فى ذكر المجاهدات فإنها الركن الأعظم فى حصول المقصود ونيل المطالب العلية التى منها المشاهدة فقال من لم الخ يعنى من لم يجاهد نفسه أى يحارب نفسه الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب شرعا فى بدء أمره أى بداية أمره لم يلق من هذه الطريقة مقدار خردلة بل يكون محجوبا عنها قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة وقال أيضا سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول من لم يكن له فى بدايته قومة لم يكن له فى نهايته جلسة وقال بعضهم بالجد والاجتهاد تدرك غاية المرام وبالعزمات الصحاح تشرق صباح الظلام وما حصلت الأمانى بالتوانى ولا ظفر بالأمل من استوطأ فراش الكسل وما أحسن قول بعضهم :

بقدر الجد تكتسب المعالى * ومن رام العلا سهر الليالى

تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلى

علو الكعب بالهمم العوالى * وعز المرء فى سهر الليالى

ومن رام العلا من غير كد * أضاع العمر فى طلب المحال

الاعراب : من اسم شرط جازم ولم جازمة ويكن مجزوم بها والمجزوم فعل الشرط واسمها ضمير مستتر يعود على من وفى بدء متعلق بجاهدا وأمر مضاف اليه وجاهدا فعل ماض وألفه للاطلاق وفاعله يعود على من والجملة خبر يكن لم يلق لم جازمة ويلق مجزوم بحذف الألف والفتحة قبلها دليل عليها وفاعله يعود على من وجملة لم يلق جواب الشرط ومن هذى الجار والمجرور متعلق بيلق والطريقة بدل من اسم الاشارة والمراد بها طريقة القوم المتقدم بيانها أول الكتاب وخردل مفعول يلق بمعنى يحصل

(من لم يكن فى بدء أمر جاهدا لم يلق من هذى الطريقة خردلا)

وكذاك معرفة تخص علية
في غالب من غيرها لن تحصلا

(وكذاك معرفة تخص علية * في غالب من غيرها لن تحصلا)

يعني أن المعرفة الحقيقية المخصوصة العلية لا تحصل في الغالب من غير هذه المجاهدة أما حصولها من غيرها فهو ممكن لكنه نادر وما ذكره الناظم رحمه الله تعالى أعلاه هو بحسب العادة والا فأصل المعرفة لا يحصل الا بفيض الحق لمعرفة الله نور يقذفه الله في قلب العبد فيرى بذلك النور أسرار ملكه ويشاهد غيب ملكوته ويلاحظ صفات جبروته ولذا لما سئل الصديق الأكبر رضي الله عنه بم عرفت ربك فقال بما عرفني به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس قريب في بعده بعيد في قربه فوق كل شيء ولا يقال تحته شيء وأمام كل شيء ولا يقال أمامه شيء وهو على كل شيء قدير ليس كمثله شيء ولا يقال كشيء في شيء فسبحان من هو هكذا وليس هكذا غيره وجاء في الخبر أن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك اهتدى ومن أخطأه ضل وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هل عرفت الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أو عرفت محمدا بالله تعالى فقال لو عرفت الله بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عبدته ولكان محمد أوثق في نفسي من الله تعالى ولو عرفت محمدا بالله لما احتجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله عرفني نفسي بلا كيف كما شاء وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم بتبليغ أحكام القرآن وبيان معضلات الاسلام والايمان واثبات الحجة وتقويم الناس على منهج الاخلاص فصدقته بما جاء به فعلم أنه يستحيل الوصول الى معرفة الله بغير الله ولا سبيل الى معرفة الله تعالى إلا بالله فان الأفهام والأوهام والخواطر عاجزة قاصرة عن ادراك تصورها بصورها وعللها فكيف تطيق ادراك مصورها ومعللها وانما الحق سبحانه خلق خلقه كما شاء على ما شاء ووفق من شاء لما شاء وعرف من شاء بما شاء بقول علي رضي الله عنه ولكن الله عرفني نفسي أي بالعجز والافتقار فعرفت أن لها ربا أوجدها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه أي من عرف نفسه بالعجز والافتقار عرف ربه بالقدرة والغنى . وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام اعرفني واعرف نفسك فقال الهي عرفتك بالفردانية والقدرة والبقاء وعرفت نفسي بالضعف والعجز والفناء فقال يا داود الآن عرفتني ، وقال الامام القشيري: المعرفة صفة من عرف الله بأسمائه وصفاته ثم صدق الله في معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله بجميل اقباله وصدق في جميع أحواله وانقطع عن هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره فاذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريا ومن المساكنات والملاحظات نقيا ودام في السر مع الله مناجاته وحق في كل لحظة الى الله رجوعه وصار محدثا من قبل الحق سبحانه وتعالى بتعريف أسراره فيما يجري من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة فبمقدار أجنبيته من نفسه تحصل معرفته بربه عز وجل

الاعراب : وكذاك الواو عاطفة أو للاستئناف والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الضمير المستتر في تحصل العائد الى المعرفة ومعرفة مبتدأ وتخص فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل يعود على معرفة ومتعلقه محذوف أي يخصها الله بمن شاء من عباده والجملة صفة لمعرفة ويحتمل قراءة الفعل بالمبني للمعلوم على تنزيله منزلة اللازم أي معرفة خاصة ويكون فيه اشارة الى تقسيمها الى قسمين خاصة وعامة وهو الموافق لقول الغزالي معرفة الله على قسمين عامة وهي الاقرار بالوحدانية وخاصة وهي المرادة هنا وهي المتوقفة على تزكية النفس من الأوصاف الذميمة وتحليتها بالأوصاف الحميدة وعلية بتشديد الياء المفتوحة صفة ثانية من الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة على حد قوله تعالى وهذا كتاب

أزلنا ما سبق في غالب متعلق بتحصل ومثله من غيرها وجملة لن تحصل خبر المبتدا والتقدير ومعرفة الله تعالى الخاصة أو المخصوصة ببعض عباده لا تحصل في الغالب من غير مجاهدة :

(وجهاد نفسٍ أن تزكى من ردا ✽ ئلها وتحلية بنور فضائلا)

هذا بيان لحقيقة المجاهدة المتوقف عليها معرفة الله تعالى بحسب العادة . والمعنى أن جهاد تزكيتها من رذائلها أي من الأوصاف الذميمة كالعجب والكبر والرياء والحسد والغضب وشهوتي البطن والفرج والبخل وحب الجاه وحب المال والغرور وطول الأمل وتحليتها بنور فضائل أي بالأوصاف الحميدة كالتوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والفقر والتواضع والزهد والورع والتوكل والنية والاخلاص والصدق والمحبة والشوق والأنس والرضا وقصر الأمل . والحاصل أنه تتوقف معرفة الله تعالى بعد أن يعرف أن لها بالوجه على الايمان برسول الله ﷺ وبما جاء به وعلى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ثم لا يزال العبد يترقى في معرفته بزيادة التقوى وكثرة الطاعات وترك الشهوات والتخلي عن الصفات الذميمة المهلكات والتحلي بالصفات الحميدة المنجيات وقد تكفل الامام الغزالي رحمه الله تعالى في إحياء علوم الدين ببيان الصفات المهلكات والصفات المنجيات وقد ذكر حقائقها وأسبابها وعلاجاتها لمن أراد كمال معرفة الله وسلامة دينه فلابد له من معرفة ذلك

الاعراب : وجهاد مبتدأ ونفس مضاف اليه أن تزكى أن مصدرية وتزكى فعل مضارع ونائب الفاعل يعود على نفس وأن وما بعدها في تأويل مصدر خبر المبتدا ومن رذائلها متعلق بتزكى وتحلية معطوف على المصدر المنسبك من أن وتزكى وبنور متعلق بتحلية وهو مضاف وفضائل مضاف اليه بالاضافة البيانية أي نور هو الفضائل فانها نور يقذفه الله في قلب العبد :

(والعارفون بربهم أفضل ✽ من أهل فرع والأصول تكملا)

لما كانت معرفة الله تعالى علية فائقة على غيرها كان المتصفون بها وهم العارفون بالله أفضل ممن لم يتصف بها من أهل الفروع والأصول جميعا وذلك لأن العلم يشرف بشرف المعلوم وبثمراته فالعلم بالله وصفاته أشرف من العلم بكل من الفروع والأصول لأن متعلقه أشرف المعلومات وأكملها ولأن ثمرته أفضل الثمرات فان معرفة كل صفة من صفاته توجب حالا علية وتنشأ عن تلك الحال ملابسة أخلاق سنية ومجانبة أخلاق ردية فمن عرف سعة الرحمة أثمرت معرفته لها سعة الرجاء ومن عرف شدة النقم أثمرت معرفته لها شدة الخوف وأثمر خوفه الكف عن الاثم والفسوق والعصيان مع البكاء والأحزان ومن عرف أن جميع النعم منه أحبه وأثمرت المحبة آثارها المعروفة كتقديم أمر الله تعالى على هوى النفس والتوقي بالورع ورعاية حدود الشرع والشوق الى الله تعالى والخلو عن كراهية الموت والرضا بالقضاء . واعلم أن الكلام في عالم بالأصول وبالأحكام مجرد من معرفة الله تعالى أما لو كان عالما بذلك عارفا بمعرفتنا من أفضل العارفين إذ حاز ما حازوه وفضل عليهم بمعرفة الاحكام وتعليم أهل الاسلام كما نص على ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام في فتاويه .

وجهاد نفس أن تزكى من ردا ✽ ئلها وتحلية بنور فضائلا) البيت الاول مأخوذ من قول الشيخ عبد الكريم القشيري واعلم أن من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة ثم قال واعلم أن أصل المجاهدة وملاكها فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات اه ولم تحصل معرفة خاصة عالية للسالك من غير مجاهدة نفس في الغالب قال أبو الطيب المعرفة طلوع الحق على الأسرار بمواصلة الأنوار وقال ابن عطاء المعرفة على ثلاثة أركان الهيبة والحياء والأنس. وقال ذو النون علامة العارف ثلاثة لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا تحمله كثرة نعم الله تعالى عليه على هتك أستار محارم الله تعالى . وسئل أبو يزيد عن العارف فقال من لا يرى في نومه غير الله تعالى ولا في يقظته غير الله تعالى ولا يوافق غير الله تعالى ولا يطالع غير الله تعالى ذكر ذلك القشيري ثم ذكر الناظم أن جهاد النفس تطهيرها من رذائلها وتزيينها بنور العبادات قال صلى الله عليه وسلم وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل رواه الطبراني قال العزيزي أي أفضل الجهاد جهاد من شغل نفسه بفعل المأمورات وكفها عن المنهيات امتثالا لأمر الله عز وجل لان الشيء انما يفضل ويشرف بشرف ثمرته وثمرة مجاهدة النفس الهداية قال الله تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» (قوله جاهد) فعل ماض والألف للاطلاق والجملة خبر يكن وقوله في بدء متعلق به (قوله خردلا) بحذف مضاف أي مقدار خردل وهو جمع خردلة بالتاء المربوطة كما في الصحاح (قوله من غيرها) الضمير عائد الى مصدر جاهد لان الضمير لا يرجع الا الى الاسم (قوله في غالب). قوله من غيرها متعلقان بقوله لن تحصلا وهو مفسر لقوله وكذاك : الاعراب

(والعارفون بربهم أفضل ✽ من أهل فرع والأصول تكملا)

الاعراب : والعارفون الواو للاستئناف العارفون مبتدأ مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم بربهم متعلق به هم مبتدأ ثان أو ضمير فصل لا محل له من الاعراب وأفضل خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول على الاحتمال الأول أو خبر الأول على الاحتمال الثاني من أهل فرع متعلق بأفضل والأصول معطوف على فرع وتكميلا يحتمل قراءته بضم الميم المشددة على أنه مصدر فيكون منصوبا على التمييز لأفضل أي أفضل من جهة التكميل أي الكمال ويحتمل قراءته بفتح الميم المشددة على أنه فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة والتقدير فتكملن حينئذ وحذفت منه الفاء لأجل الوزن :

(فلركعة من عارف هي أفضل * من ألفها من عالم فتقبلا)

هذا كالدليل على أن العارف أفضل من غيره فكأنه قال وإنما كان كذلك لأن ركعة من عارف أفضل من ألف ركعة من عالم غير عارف وذلك لأن ماينشأ من الأول أفضل مما ينشأ من الثاني بسبب المعرفة التي ينشأ عنها أفضل الأعمال قال الشيخ أبو القاسم الصقلي في كتاب الأنوار ركعة من عارف أفضل من ألف ركعة من عالم ونفس من أهل حقيقة التوحيد أفضل من عمل كل عالم وعارف وعن أبي مسعود رضي الله عنه أن الرجل من هذه الأمة يبلغ عمله يوما واحدا أثقل من سبع سموات وسبع أرضين في الوزن وروى عن أبي موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نظر الى جبل أحد فقال رب رجل من أمتي يعدل الحرف الواحد من تسبيحه هذا الجبل . واعلم أن من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته والمعرفة توجب السكينة وقيل لأبي يعقوب السوسي هل يستأنس العارف بشيء غير الله تعالى فقال وهل يرى غير الله فيستأنس به فقيل له فبأي عين ينظر الى الأشياء قال بعين الفناء والزوال وقال أبو يزيد العارف طيار والزاهد سيار والعارف تبكي عينه ويضحك قلبه وقال الجنيد لايكون العارف عارفا حتى يكون كالارض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي مايحب وما لايحب وقال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا لايقضي وطره منها من شيئين بكائه على نفسه وثنائه على ربه وقد قيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة معجلة وهي جنة المعارف وجنة مؤجلة وهي جنة القيامة وان من دخل هذه لايشتاق الى تلك يعنون بالنسبة الى حورها وقصورها لا بالنسبة الى مايحصل هناك من القرب والتعرف فشتان مابينهما فإن ما يفاض على قلوب العارفين في هذه الدار إنما هو شبه لما أعد لهم أكرموا بتعجيله في هذه الدار قال بعض العارفين مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما عرفوا أطيب مافيها قيل له وما هو قال معرفة الله تعالى ومعرفة الله أكمل اللذات كما شرح ذلك الامام الغزالي في إحياء علوم الدين ثم قال بعد ذلك في الشرح والبيان فإن من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح مايكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لايدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله تعالى ألذ الأشياء وأنه لالذة فوقها ولهذا قال أبو سليمان الداراني إن لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله تعالى وأولئك قال بعض إخوان معروف الكرخي رضي الله عنه له أخبرني يا أبا محفوظ أي شيء هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال له ذكر الموت فقال وأي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذا إن ملكا هذا كله بيده إن أحببته أنساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا . وفي أخبار عيسى

فلركعة من عارف هي أفضل من ألفها من عالم فتقبلا) أي العارفون بربهم أفضل من الفقهاء والاصوليين جميعا وكيف لا وهم أهل الاشراق كما قاله أحمد بن علان وقال الشيخ العيدروس نقلا عن بعضهم ركعة من عارف أفضل من ألف ركعة من عالم ونفس من أهل حقيقة التوحيد أفضل من عمل كل عالم وعارف اه وقد قيل العارف فوق مايقول والعالم دون مايقول فأهل حقيقة التوحيد هم أرباب التمكين وقال رويم رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين وقال أبو بكر الوراق سكوت العارف أنفع وكلامه أشهى وأطيب وقال ذو النون الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين ذكر ذلك القشيري (قوله تكملا) بضم الميم على صيغة المصدر أي جميعا لأنه يقال أعطه هذا المال كملا أي كله كما في الصحاح (قوله فتقبلا) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة أي تقبل هذا الكلام

عليه السلام اذا رأيت الفتى مشغوفا بطلب الرب تعالى فقد ألماه ذلك عما سواه وقال أبو سليمان الدارانى من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه فقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهى قرة العين التى لا تعلم نفس ما أخفى لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقى فى النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه و بلوغه الغاية التى ليس فوقها غاية.

الإعراب: فاركمة الفاء للتعليل واللام لام الابتداء وركمة مبتدأ ومن عارف متعلق بمحذوف صفة لركمة أى صادرة من عارف كمى مبتدأ ثان أو ضمير فصل وأفضل خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول على الاحتمال الأول أو خبر الأول على الثانى ومن ألفها متعلق بأفضل وهو بفتح الهمزة وسكون اللام وضميره يعود على ركمة ومن عالم متعلق بمحذوف حال من ألفها فتقبلا الفاء فاء الفصيحة وتقبلا فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا وهو يقرأ بفتح التاء والقاف وتشديد الباء المفتوحة والتقدير اذا عرفت ما تقدم فتقبله واجتهد فى تحصيله فنسأل الله أن يكرمنا بمعرفته وأن لا يحرمنا من حلاوة أنسه ولذة مشاهدته آمين.

(قال الامام السهروردى قدسا * والمقصد الأقصى المشاهدة العلا)

لما كان المقصود من المجاهدة التى هى وسيلة الى المعرفة المشاهدة صرح بذلك فقال قال الامام الخ يعنى أن الامام السهروردى قال ان المقصد الأقصى فى المجاهدات والرياضات هو المشاهدة العلية أى مشاهدة ربه بعين بصيرته أى مراقبته، وقال أيضا الأحوال المصطلح عليها السادة الصوفية المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة فالمحاضرة لأرباب التلوين والمشاهدة لأرباب التمكين والمكاشفة بينهما الى أن تستغرق المشاهدة والمحاضرة لأهل العلم والمكاشفة لأهل العين والمشاهدة لأهل الحق أى حق اليقين اهـ. قال فى الشرح والامام السهروردى رضى الله عنه هو الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد السهروردى منسوب الى سهرورد بضم السين وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الثانية فى آخرها دال مهملة وهى بليدة عند زنجان من عراق العجم كان فقيها شافعيا شيخا صالحا ورعا كثير الاجتهاد فى العبادة والرياضة وشيخ شيوخ العارفين بالعراق فى زمانه وصاحب العوارف والمعارف فى بيان طريقة القوم وكان مليح الخلق والخلق متواضعا كامل الأوصاف الجميلة والأخلاق الشريفة تام المروءة عزيز النفس لبس لمال عنده قدر ولو حصل له ألوف كثيرة من المال أنفقها ولم يدخر منها شيئا وكان يتكلم على الناس بكلام مفيد وحضر عنده جم غفير فظهر له قبول عظيم بين الخاص والعام واشتهر اسمه وقصده المريدون من سائر الأقطار وظهرت بركات أنفاسه على خلق كثير من العصاة فتابوا وأنابوا الى الله وحسنت طريقهم ووصل به خلق كثير الى الله تعالى وصار له أصحاب كالنجوم يعرفون أينما كانوا وولد رضى الله عنه فى رجب سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بسهرورد وتوفى ليلة الأربعاء مستهل المحرم سنة اثنين وثلاثين وستمائة ببغداد قدس الله روحه وأمدنا بمدده آمين اهـ ملخصا.

الإعراب: قال فعل ماض والامام فاعله والسهروردى يقرأ بسكون الياء للوزن نعت له قدسا فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل يعود على السهروردى والألف للاطلاق والأصل قدس الله سره والمقصد مبتدأ أو خبر مقدم والأقصى صفته. قال فى القاموس الأقصى الغاية البعيدة والمشاهدة خبر المبتدا على الأول ومبتدأ مؤخر على الثانى والجملة من المبتدا والخبر مقول القول والعلا بفتح

(قال الامام السهروردى قدسا) أى قال الامام عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد وهو من أولاد أبى بكر الصديق وقد نور الله صدره بالعلم اللدنى بعد أن مسحه سيدى الشيخ عبد القادر بيده (قوله السهروردى) بسكون الياء للوزن منسوب الى سهرورد بضم السين وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الثانية وفى آخرها دال مهملة وهى بليدة عند زنجان من عراق العجم (قوله قدسا) بالبناء للمفعول أى قدس الله سره وقول قد وقر الله أى ملأ (والمقصد الأقصى المشاهدة العلا

فليكثر العبد التلاوة مكثرا * ذكرا بطيب كلمة متبتلا
وليجتهد بوطاء قلب نطقه * حتى يصير بقلبه متأصلا
ومزيلة لحديث نفس كى ينو * ر القلب للحال العلية نائلا
ويفيض نور القلب للقالب غدا * بمحاسن الأعمال منه تسولا
ويصير حقا ذكر ذات ذكره * هذى المشاهدة الشريفة حصلا)

وهذه الابيات كلها من كلام الامام السهروردى فى عوارف المعارف فى الباب السابع والعشرين وأخذه من أول الكلام هنا ليكون شرحا لكلام الناظم ، وهو قوله عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال مكتوب فى التوراة هذه الآية « يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمؤمنين وكنزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى تقام به الملة المعوجة بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح أعينا عميا (١١٥) وآذانا صما وقلوبا غلفا فلا يزال العبد فى خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة فى القلب مزيلة لحديث النفس بنور معناها القلب بدلا عن حديث النفس فاذا استولت الكلمة وسهلت عن اللسان يتشربها القلب فلو سكت اللسان لم يسكت ثم تتجوهر فى القلب وبتجوهرها يستكن نور اليقين فى القلب حتى اذا ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوهرا ويتحد الذكر مع رؤية عظمة المذكور وهو الله سبحانه وتعالى ويصير الذكر حينئذ ذكر الذات وهذا الذكر هو المشاهدة والمكاشفة والمعاينة وبذكر الذات يتجوهر نور الذكر هنا هو المقصد الأقصى من الخلوة مع الذكر وهذا لا يختص حصوله بذكر هذه الكلمة فقط بل قد يحصل بتلاوة القرآن اذا أكثر من التلاوة واجتهد فى مواطأة القلب اللسان حتى تجرى التلاوة على اللسان ويقوم معنى الكلام مقام حديث النفس فيدخل على العبد سهولة فى التلاوة والصلاة ويتنور الباطن بتلك السهولة فى التلاوة والصلاة ويتجوهر نور الكلام فى القلب ويكون منه أيضا ذكر الذات ويجتمع نور الكلام فى القلب مع مطالعة عظمة المتكلم وهو الله سبحانه وتعالى ودون هذه الموهبة ما يفتح على العبد من العلوم الالهامية اللدنية والى حين بلوغ العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة اذا صفا باطنه قد يغيب فى الذكر عن كل أنسه وحلاوة ذكره حتى يتحقق فى غيبته فى الذكر بالنائم انتهى وقال عبد الوهاب الشعرانى والذكر لله تعالى حقيقة هو استصحاب شهود العبد أنه بين يدى ربه تعالى والذكر باللسان انما هو وسيلة اليه فاذا حصل له الشهود استغنى عن ذكر اللسان فلا يذكر باللسان

العلى صفة المشاهدة وهى بمعنى الرفعة والشرف ولا بد من تقدير مضاف أى ذات العلا أى الرفعة والشرف :

(فليكثر العبد التلاوة مكثرا * ذكرا بطيب كلمة متبتلا
وليجتهد بوطاء قلب نطقه * حتى يصير بقلبه متأصلا
ومزيلة لحديث نفس كى ينو * ر القلب للحال العلية نائلا
ويفيض نور القلب للقالب غدا * بمحاسن الأعمال منه تسولا
ويصير حقا ذكر ذات ذكره * هذى المشاهدة الشريفة حصلا)

يعنى واذا كان الأمر كما ذكر فليكثر العبد من الأسباب الموصلة للمشاهدة المذكورة وهى التلاوة والذكر بالكلمة الطيبة وهى كلمة لا اله الا الله من غير تخلل فتور ولا قصور حتى فى طريق الوضوء وسكعة الأكل والتبتل مع ذلك الى الله تعالى فقطع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ قلبه عما سوى الله سبحانه وتعالى أنيس للمنقطعين فى خدمته ومشاهدته المقبلين عليه المعرضين عن مسامرة غيره ولولا حبهم للمؤانسة ما قدر أحد على التبتل والانفراد فى رءوس الجبال والقلعة بأكل الحشيش لكن المؤانسة بنسيم أنفسهم فلا يلتفتون الى الناس اذا كان الانقطاع ناشئا عن المحبة وليجتهد كل من التالى والذاكر فى مواطأة قلبه لنطقه أى موافقته له الى أن يصير المذكور من التلاوة والذكر والمراد بهما التلو أو المذكور متأصلا بقلبه أى متمكنا منه فيطمئن بالله ويأنس به ويستوحش من الخلق والى أن تصير تلك المذكورات من التلاوة والكلمة الطيبة مزيلة لحديث نفس أى الخواطر الردية حينئذ يتنور القلب ويكون نائلا للحال العلية كالشوق والمحبة والأنس وغيرها ويفيض نور القالب القلب وهو الجسم حينئذ يكون غدا العبد قد تسول أى تزين بالاعمال الحسنة التى تصدر منه ويصير حقا ذكره ذكر ذات وهو المشاهدة الشريفة حصلها أيها السالك بالمجاهدة واعلم أن هذه الأبيات الخمسة مقتبسة من كلام السهروردى رحمه الله تعالى كما يعلم من الوقوف على عبارته فى عوارف المعارف وأنقلها لك الآن . وهى هذه : عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال ان هذه الآية مكتوبة فى التوراة « يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمؤمنين وكنزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا

تجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى تقام به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فلا يزال العبد فى خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة فى القلب مزيلة لحديث النفس بنور معناها القلب بدلا عن حديث النفس فاذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان يتشربها القلب فلو سكت اللسان لم يسكت ثم تتجوهر فى القلب ويتجوهرها يتمكن نور اليقين فى القلب حتى اذا ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوهرا ويتخذ الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى ويصير الذكر حينئذ ذكر الذات وهذا الذكر هو المشاهدة والمكاشفة والمعاينة وهو المقصد الأقصى من الخلوة وقد يحصل هذا لا بذكر الكلمة بل بتلاوة القرآن اذا أكثر من التلاوة واجتهد فى مواطأة قلب اللسان حتى تجرى التلاوة على اللسان ويقوم معنى الكلام مقام حديث النفس فيدخل على العبد سهولة فى التلاوة والصلاة ويتنور الباطن بتلك السهولة فى التلاوة والصلاة ويتجوهر نور الكلام فى القلب ويكون منه أيضا ذكر الذات ويجتمع نور الكلام فى القلب مع مطالعة عظمة المتكلم سبحانه وتعالى ودون هذه الموهبة مما يفتح على العبد من العلوم الالهية اللدنية والمحين بلوغ العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة اذا صفا باطنه قد يغيب فى الذكر من كمال أنسه وحلاوة ذكره حتى يلتحق فى غيبته فى الذكر بالنائم اه .

الاعراب : فليكثر الفاء فاء الفصيحة واقعة فى جواب شرط مقدر واللام لام الامر ويكثر فعل مضارع مجزوم فى جواب الامر والعبد فاعله والتلاوة مفعوله ومكثرا حال مؤكدة للعامل وذكرا مفعوله بطيب بتشديد الياء وكسرها متعلق بذكرا وهو مضاف وكلة بكسر الكاف وسكون اللام مضاف اليه من اضافة الصفة للموصوف أى بكلمة طيبة ومتبتلا حال ثانية من العبد مترادفة أو حال متداخلة من ضمير مكثرا والتبتل هو الانقطاع الى الله بالكلية . قال فى القاموس :

بتله يبتله ويبتله قطعه كبتله فانبتل وتبتل انتهى وليجتهد الواو عاطفة واللام لام الأمر ويجتهد مجزوم بها وفاعله ضمير يعود على كل من التالى والذاكر وبوطاء متعلق بالفعل قبله وهو بكسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف ممدودة مصدر واطأ كالمواطأة ومعناه الموافقة . قال فى المختار : واطأه على الأمر مواطأة وافقه انتهى وقلب مضاف اليه وهو فاعل المصدر ونطقه مفعوله وحتى غائية ويصير فعل مضارع منصوب بأن مضمرة واسمها ضمير مستتر يعود على المذكور من التلاوة والذكر وبقلبه متعلق بمتأصلا وهو خبر يصير ومزيلة خبر ليصير مقدرة مع اسمها أى وحتى تصير تلك المذكورات مزيلة والحديث نفس متعلق بمزيلة كى ينور القلب كى تعليلية وينور فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعدكى والقلب فاعله أى وانما أمر بالاجتهاد فى الذكر الى أن يصير كذلك لأجل أن ينور قلبه والحال العلية متعلق بنائلا ونائلا حال من القلب والحال العلية هى الشوق والمحبة والأنس وغيرها من الصفات الحميدة ويفيض منصوب معطوف على ينور ونور فاعله والقلب مضاف اليه والقالب متعلق بيفيض واللام بمعنى الى وباء القالب ساكنة للوزن فهذا الفاء تفريعية وذا أسم اشارة مبتدأ وهو عائد على العبد المذكور للكثر عامر بمحاسن متعلق بنسولا وهى مضاف والاعمال مضاف اليه ومنه متعلق بمحذوف صفة للاعمال أى الصادرة منه ويسول فعل ماض وفاعله ضمير يعود على العبد والجملة خبر المبتدا ويصير الواو عاطفة ويصير فعل مضارع مرفوع وحقا منصوب على الحال أو اسقاط الخافض وذكر ذات بالنصب خبر يصير مقدما وذكره بالرفع اسمها مؤخر وهذى أسم اشارة مفعول مقدم لحصلا والمشاهدة بدل من اسم الاشارة أو عطف بيان والشريفة نعت لها

وحصلا

الا فى عمل يقتدى به فيه لاغير لان حضرة شهود الحق تعالى حضرة بهت وخرس يستغنى صاحبها عن الذكر اذ هو بمنزلة الدليل فاذا حصلت الجمعية بالمدلول استغنى العبد عن الدليل فاعلم ذلك فانه نفيس . انتهى . وقال ذو النون رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت من أين أقبلت قالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت وأين تريدين قالت الى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لى فقالت من بحر البسيط :

قوم هموم همهم بالله قد علقت
فما لهم همم تسمو الى أحد

فمطلب القوم مولاهم وسيدهم
يا حسن مطلبهم للواحد الصمد

ما ان ينازعهم دين ولا شرف
من المطاعم واللذات والولد

ولا للبس ثياب فائق أنق
ولا لروح سرور حل فى بلد

الا مسارعة فى اثر منزلة
قد قارب الخطو فيها باعد الأبد

فهم رهائن غدران وأودية
فى الشوامخ تلقاهم مع الأسد

(قوله العلا) بضم العين جمع علياء (قوله متبتلا) أى منقطعا الى الله تعالى عن

وحصلاً فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي بها لأجل نون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفا وفاعله مستتر تقديره أنت :

(هذا الذي أوصى الشيوخ الكمل * الله وفقنا له متفضلا)

يعني أن هذا المذكور من أول النظم الخ هو الذي أوصى به الشيوخ الكمل أي الكاملون أصحابهم وأتباعهم ليعملوا به فينالوا درجات الأولياء ومقاماتهم ثم طلب من الله تعالى التوفيق لما أوصى به الشيوخ بقوله الله وفقنا له متفضلا أي حال كونه متفضلا به علينا والتوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد وهو شيء عال عزيز والموفق في شيء لا يعصي فيه فقليل من التوفيق خير من كثير من العلم . قال في الشرح ولما كان التوفيق عزيزا لم يذكر في القرآن الا في ثلاثة مواضع قوله تعالى « وما توفيقي إلا بالله » وقوله « إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما » وقوله « إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا » اه .

الاعراب : هذا اسم إشارة مبتدأ والذي اسم موصول خبر المبتدا وأوصى فعل ماض والشيوخ فاعله وهو جمع شيخ والكمل جمع كامل صفته ومفعول أوصى محذوف أي أصحابهم وأتباعهم وكذلك متعلقه أي به وهو العائد على الموصول الله مبتدأ ووفقنا فعل ماض ومفعوله وفاعله مستتر يعود على الله والجملة خبر المبتدا وهي خبرية لفظا إنشائية معنى ويحتمل أن يكون لفظ الجلالة منادى حذف منه حرف النداء ووفق فعل أمر وفاعله مستتر فيه ونا مفعوله وله متعلق به أي يا الله وفقنا لذلك ومتفضلا حال من الضمير المستتر ومتعلقه محذوف أي متفضلا علينا به

(والحمد للباقي الرءوف مصليا * أعلى الصلاة على الرسول محوقلا)

لما كان تمام التأليف من النعم حمد الله عليه كما حمده على ابتدائه فقال والحمد الخ يعني أن الحمد الحقيق الذي هو الوصف بكل جميل مختص بالباقي أي الدائم الوجود الذي لا تحول ولا زوال لأن معناه ذو البقاء والبقاء نفي طروء العدم الرءوف أي شديد الرأفة أي الرحمة والمراد بها في حقه تعالى التفضل والاحسان أو إرادتهما ومن خواص هذا الاسم أن من ذكره عند الغضب عشر مرات وصلى على النبي ﷺ كذلك سكن غضبه ولما أعاد الحمد لله ناسب أن يعيد الصلاة على رسول الله تبركا بها ولقوله تعالى « ورفعنا لك ذكرك » أي لا أذكر إلا وتذكر معي وإشارة الى القبول لأن ختم الدعاء بها علامة على اجابته .

واعلم أن للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فوائد كثيرة : منها ما تقدم ذكره أول الكتاب ومنها موافقة العبد لله سبحانه وتعالى في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وإن اختلفت الصلاتان . ومنها موافقة العبد ملائكة الله تعالى في الصلاة . ومنها صلاة الله تعالى على المصلي مطلقا . ومنها صلاة الله تعالى عليه عشرا بواحدة . ومنها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنها للمصلي عشر حسنات . ومنها تكفير السيئات . ومنها رفع الدرجات . ومنها سبب لكفاية المهمات في الدنيا والآخرة . ومنها سبب لمغفرة الذنوب . أخرج الترمذي وحسنه عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قال أبي فقلت يا رسول الله اني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت فقلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك فقلت فالنصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت أجعل صلاتي كلها قال اذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك . وروى أبو طلحة رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يبرق فقلت يا رسول الله ما رأيتك كاليوم أطيب نفسا ولا أظهر منك بشرا

ومعنى الباقي الدائم الوجود الذي لا يقبل الفناء ولا يلحقه العدم فلا انصرام لوجوده ولا انقطاع لبقائه ومن

بنائلا أي محصلا لها (قوله للقالب) بفتح اللام وسكون الياء للوزن أي الجسد والبدن (قوله فذا) مبتدأ وجملة قوله تسولا خبره أي فهذا العبد تزين بالأعمال الحسان (قوله ذكر ذات) خبر صار مقدم وقوله ذكره أي العبد اسمها مؤخر (قوله هذي المشاهدة) مفعول مقدم لحصلا الذي هو فعل أمر مؤكد بالنون أي حصل هذه المشاهدة التي هي ذكر الذات بترديد الكلمة المشرفة وبكثرة تلاوة القرآن بالصفة المذكورة :

(هذا الذي أوصى الشيوخ الكمل الله وفقنا له متفضلا) أي هذا المذكور في هذا الكتاب من أول المقصود الى هنا هو الذي أوصى به الكاملون العارفون (قوله الكمل) بضم الكاف وتشديد الميم المفتوحة جمع كامل (قوله الله وفقنا الى تمام البيت) جملة دعائية والمعنى وفقنا الله لهذا المذكور من الوصايا أي للعمل به تفضلا منه تعالى علينا :

(والحمد للباقي الرءوف مصليا أعلى الصلاة على الرسول محوقلا)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لي لا تطيب نفسي وقد جاءني جبريل عليه السلام الساعة فقال يا رسول الله من صلى عليك صلاة من أمتك كتبت له بها عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات وقال له الملك مثل ما قال وفي لفظ آخر ورد الله تعالى عليه مثل قوله وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أخيط شيئا في وقت السحر فسقطت الإبرة مني وانطفأ المصباح فدخل رسول الله ﷺ فأضاء البيت من ضياء وجهه فوجدت الإبرة فقلت ما أضوأ وجهك يا رسول الله صلى الله عليك فقال يا عائشة الويل لمن لم يرني يوم القيامة قالت فقلت ومن الذي لم يرك يوم القيامة قال البخيل فقلت ومن هو البخيل يا رسول الله قال الذي إذا ذكرت عنده لم يصل علي وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة واحدة ليلة الجمعة أو يوم الجمعة قضى الله له مائة حاجة من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ويبعث إلي ملكا يدخل علي في قبري ويخبرني باسمه ونسبه وعشيرته فأكتبه عندي في صحيفة بيضاء وقال رسول الله ﷺ إن لله ملائكة سياحين يبلغون إلي صلاة من يصلي علي في مشارق الأرض ومغاربها ومن صلى علي كل يوم جمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي تعظيما لحقي خلق الله تعالى من ذلك القول ملكا أحد جناحيه بالمشرق والآخر بالمغرب ورجلاه مغروزتان في الأرض السابعة وعنقه تحت العرش فيقول الله تعالى صل على عبدي كما صلى على نبيي فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة وروي أنه ﷺ قال إن الله عز وجل وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار فمن استغفر الله تعالى بنية صادقة غفر له ومن قال لا إله إلا الله رجح ميزانه ومن صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى وكل بقبري ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي علي إلا قال الملكان يحييان له غفر الله لك فيقول حملة العرش والملائكة جوابا للملكين آمين ولا أذكر عند أحد فلا يصلي علي إلا قال الملكان له لا غفر الله لك ويقول حملة العرش وسائر الملائكة جوابا للملكين آمين وروي أنه إذا كان يوم القيامة وضعت حسنات المؤمن وسيئاته فتنزل صحائف من عند الله عز وجل بيض على حسناته فترجح حسناته على سيئاته فيقول الله عز وجل هذه صلاتك على محمد ثقلت ميزانك وجعلتها ذخيرة وما أحسن قول بعضهم :

لأحمد فضل لا يحد ولا يحصى * وليس له في الدهر حد فيستقصى
فمن كان مثلي مذنبا ومقصرا * فجاه رسول الله قد جبر النقصا
فيا فوز من صلى عليه من الورى * فذاك بتثقيل لميزانه خصا

وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وأمسى وقال اللهم يا رب محمد وآل محمد صل على محمد وعلى آل محمد واجز محمدا صلى الله عليه وسلم ما هو أهله أتعب كاتبيه ألف صباح ولم يبق لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حق إلا أداه إياه وغفر له ولوالديه وحشر مع محمد وآل محمد وعن وهب بن منبه رضي الله عنه أنه قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه فتح عينيه فنظر إلى باب الجنة فرأى عليه مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال أي رب هل خلقت خلقا هو أعز عليك مني فقال نعم نبيا من ذريتك فلما خلق الله تعالى له حواء وركب فيه الشهوة قال يا رب زوجني بها قال الله تعالى أد مهرها قال يا رب وما مهرها قال أن تصلي على صاحب هذا الاسم مائة مرة قال إن فعلت تزوجنيها قال نعم فصلى آدم على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة فكان ذلك مهرها فزوجه الله تعالى بها وروي أن أصحاب الحديث يأتون يوم القيامة بمحابرهم

عرف أنه تعالى الباقي لم يعتبر شيئا سواه في أموره كلها ولم يتحول عن طاعته بل يكون باقيا فيها ومعنى الرءوف شديد الرحمة ومن عرف أنه تعالى الرءوف فلا ييأس من رحمته ويشفق على عباد الله ويرحمهم كما أفاده الشنواني (قوله مصليا ومحوقلا) حالان أي أحمد الله تعالى حال كوني مصليا على الرسول وحال كوني قائلا لا حول ولا قوة إلا بالله ختم الناظم كتابه بالدعاء لأنه المناسب بالأواخر وبالحمد لله اقتداء بأهل الجنة كما أخبر به الله تعالى بقوله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العلمين وبالصلاة على النبي كما ابتدأ بها رجاء به لقبول ما بينهما لأن الصلاة مقبولة ولو من الغافل كما قال الشيخ الشاذلي رحمه الله تعالى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله صلاة الله عز وجل عشرا على

فيقول الله تبارك وتعالى لجبريل يا جبريل اقض حوائجهم فانهم كانوا يصلون كثيرا على النبي ﷺ في الدنيا فخذ بأيديهم وأدخلهم الجنة . وقال بعض الصوفية كان لي جار مسرف على نفسه فلما مات رأيته في المنام وهو في دار السلام فقلت له بم نلت هذه المنزلة قال حضرت مجلس الذكر فسمعت المحدث يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من صلى عليه ورفع صوته بها وجبت له الجنة فرفع المحدث صوته بالصلاة على النبي ﷺ ورفعت صوتي معه وجميع القوم فغفر لنا في ذلك اليوم . قال سفيان الثوري رضي الله عنه بينما أنا في الطواف إذ رأيت رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما إلا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ياهذا إنك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي ﷺ فهل عندك في هذا شيء . فقال من أنت عافاك الله فقلت أنا سفيان الثوري فقال لولا أنك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ثم قال خرجت أنا ووالدي حاجين إلى بيت الله الحرام حتى إذا كان في بعض المنازل مرض والدي فقمت لأعالجه فبينما أنا عند رأسه إذ مات واسود وجهه فقلت إنا لله و إنا اليه راجعون مات والدي واسود وجهه فجذبت الازار على وجهه فغلبتني عيناي فنمت فاذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجها ولا أنظف ثوبا ولا أطيب ريحا يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي فكشف الازار عن وجهه ومر بيده على وجهه فعاد وجهه أبيض ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه وقلت من أنت يرحمك الله فقد من الله بك على والدي في دار الغربة قال أوما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما إن والدك كان مسرفا على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة علي فلما نزل به ما نزل استغاث بي وأنا غياث من أكثر الصلاة علي فانتبهت فاذا وجهه أبيض .

إخواني : أكثروا من الصلاة على هذا النبي الكريم . فان الصلاة عليه تكفر الذنب العظيم وتهدي الى الصراط المستقيم . وتقي قائلها عذاب الجحيم . وتحظي في الجنة بالنعيم المقيم . وقد قيل في بعض الروايات إن للمصلين على سيد المرسلين عشر كرامات : إحداهن صلاة الملك الغفار . الثانية شفاعة النبي المختار . الثالثة الاقتداء بالملائكة الأبرار . الرابعة مخالفة المنافقين والكفار . الخامسة محو الخطايا والأوزار . السادسة قضاء الحوائج والأوطار . السابعة تنوير الظواهر والأسرار . الثامنة النجاة من النار . التاسعة دخول دار القرار . العاشرة سلام العزيز الجبار . فينبغي للعاقل أن يجعل جل أوقاته للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سيما التكثير منها يقوم مقام شيخ التربية لما قالوا المرشد في آخر الزمان مثل الكبريت الأحمر وتكثير الصلاة على النبي ﷺ يقوم مقام ذلك وفقنا الله والمسلمين للتكثير من الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام على ممر الدهور والأيام آمين .

ولما كان لا يتم شيء الا بالله ومعونته وحسن توفيقه ناسب أن يأتي بالحوقلة أي بقوله لا حول ولا قوة الا بالله لأن فيها التبري من حول العبد وقوته والركون الى حول الله وقوته فمعنى لا حول ولا قوة الا بالله لا تحول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بمعونة الله .

واعلم أنه جاء في فضائل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم شيء كثير فمن ذلك ما أخرجه الطبراني وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانها كنز من كنوز الجنة وفيها شفاء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم وفي رواية أكثروا من ذكر لا حول ولا قوة الا بالله فانها تدفع عن قائلها تسعا وتسعين بابا من الضرر أدناها الهم . ومن ذلك ما أخرجه الطبراني وابن عساكر عن

من صلى عليك مرة واحـ
هل ذلك لمن كان حاضر
القلب قال لا بل هي لكل
مصل علي ولو غافلا
ويعطيه الله أمثال الجبال
من الملائكة تدعوا له
وتستغفر له وأما اذا كان
حاضر القلب فيها فلا يعلم
ثواب ذلك الا الله عز
وجل عملا بقوله صلى الله
عليه وسلم ما جلس قوم
مجلسا لم يذكروا الله تعالى
فيه ولم يصلوا على نبيه
الا كان عليهم ترة أي
نقصا يوم القيامة ان شاء
عذبهم وان شاء غفر لهم
وختم الناظم كتابه بالحوقلة
للتبري من حوله وقوته
بتصحيح إخلاصه كما قيل
صحح عملك بالاخلاص
وصحح اخلاصك بالتبري
من الحول والقوة . وهذا
آخر ما يسر الله تعالى جمعه
على هذه المنظومة وصلى
الله وسلم على سيدنا محمد
وعلى آل سيدنا محمد كما
صلى وسلم على سيدنا
ابراهيم وبارك على سيدنا
محمد وعلى آل سيدنا
محمد كما بارك على

أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ من أبطأ عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وفي رواية البخاري ومسلم أنها كنز من كنوز الجنة ومن ذلك ما رواه ابن أبي الدنيا بسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال في كل يوم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة لم يصبه فقر أبدا ومن ذلك ما رواه أن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام ما أمسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبروا كثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ففعل فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها وفي القشيري على الأربعين النووية ومن الأدعية المستجابة أنه اذا حل بالشخص أمر ضيق يطبق أصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم لك الحمد ومنك الفرج واليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهي فائدة عظيمة اهـ، وبالجملة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لها تأثير عظيم في طرد الشياطين والجن وفي جلب الرزق والغنى والشفاء وتحصيل القوة ودفع العجز وغير ذلك .

الاعراب : والحمد الواو للاستئناف الحمد مبتدأ ولله الباقي متعلق بمحذوف خبر المبتدأ الرءوف صفة للباقي ومصليا حال من مقدر أي الحمد كائن لله الباقي الرءوف مني حال كوني مصليا أي قائلا اللهم صل على سيدنا محمد فصاحب الحال ياء المتكلم المجرورة بحرف الجر المتعلق بلفظ الحمد أو على مفعول مطلق وهو مضاف والصلاة مضاف اليه وعلى الرسول متعلق بمصليا وهو قولا حال ثانية من ذلك المقدر أيضا والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال مؤلفه عامله الله بعظيم إحسانه آمين ، وهذا آخر ما يسر الله جمعه من الشرح المبارك إن شاء الله تعالى ، وكان وقت الفراغ من ذلك ضحوة يوم الجمعة العاشر من شهر جمادي الثانيه سنة اثنتين وثلثمائة بعد الألف . من هجرة من خلق على أحسن وصف . صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم . اللهم إني أسألك وأتوسل إليك وأتشفع عندك بنبيك الطاهر النسب . الكريم الحسب . خير العجم والعرب . سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . صلى الله عليه وسلم و بأهل بيت نبيك و بسائر الأصحاب والأحباب والأولياء والأئمة الانجاب . والمنتمين بعزيز الجناب . أن تجعل مؤلفه ممن صعد على معراج القبول فتمتع بأنواع سرور الوصول . اللهم اسقنا من جريال توحيدك شربة تغنينا عن الكونين وتحفظنا من كل شيء وزين كذلك قارئه والناظر اليه بعين القبول الساتر لما فيه من الزلل والقصور أو الفضول . إنك رحيم كريم . يا الله يا عليم يا حليم . أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب اليه أستغفر الله أستغفار جميع المستغفرين وعدد الغفران والمغفورين وعدد أنفاسي وأنفاسهم وعدد أنفاس الخلائق وعدد الحسنات من المخلوقات وعدد المخلوقين وعدد ما كان و ما يكون في الدنيا والآخرة وعدد نعمائه وعدد عدله وفضله وأضعاف أضعاف أضعاف ذلك لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأحبابنا ومن يلوذ بنا ومن له حق علينا ومن وصانا بالخير ومن أنشأ هذا الاستغفار ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات يا ذا الفضل والاحسان والعفو واللطف امنن علينا بالغفران يا حنان يا منان يا رحمن يا الله . إلهي أنت المدعو بكل لسان والمقصود في كل آن إلهي أنت قلت : ادعوني أستجب لكم فها نحن متوجهون اليك بكلياتنا فلا تردنا واستجب لنا كما وعدتنا . إلهي أين المفر منك وأنت المحيط بالأكوان . وكيف البراح عنك وأنت الذي قيدتنا بلطائف الاحسان . إلهي بروح القدس قدس سرائرنا . وبروح سيدنا محمد ﷺ

سيدنا ابراهيم انه حميد مجيد وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .
قال المؤلف وكان ابتداء هذا الشرح في يوم الأربعاء في الثاني والعشرين من ربيع الثاني وتمامه في يوم الثلاثاء في الثالث عشر من جمادى الأولى من سنة ألف ومائتين وثلاث وتسعين من الهجرة النبوية والحمد لله أولا وآخرا .

خلّص معارفنا . وروح أبينا آدم اجعل أرواحنا سابحات في عالم الجبروت . واكشف لها على حظائر
اللاهوت . إلهي بالنور المحمدي الذي رفعت على كل رفيع مقامه . وضربت فوق خزانة أسرار ألوهيتك
أعلامه . افتح لنا افتتاحا صمدانيا . وعلما ربانيا . وتجليا رحمانيا . وقبضا إحسانيا . إلهي سلّمنا من كل
الأسوا . واكفنا من جميع البلوى . وطهّر أسرارنا من الشكوى . وأسكتنا من الدعوى . إلهي
شرّفنا بسماع معاني خطابك وفهّمنا أسرار كتابك . وقرّبنا من أعتابك وامنحنا من لذيذ شرابك . إلهي
قد أتينا أمامك مخلصين . وعلى أعتابك واقفين فلا تردّنا يا عليم يا حكيم . إلهي محّص ذنوبنا بظهور آثار اسمك
الغفار . وامح من ديوان الأشقياء شقيّنا واكتبنا عندك في ديوان الأخيار . إلهي نحن الأسارى ففي
قيودنا فأطلقنا . ونحن العبيد لمن سواك فخلّصنا وأعتقنا . يا سند المستندين . ويا رجاء المستجيرين .
اللهم يا واصل المنقطعين أوصلنا إليك ولا تقطعنا بالأغيار عنك برحمتك يا أرحم الراحمين . اللهم ارزقنا دوام
الإقبال عليك . والاستمساك بما يقرّبنا لديك . وهب لنا قلبا سليما . واجعله في حبك سليما . وكن
أنت له معلّما . وامنحه فتحا عميما . وفتحا مبينا . وسرّا أمينا . ووارداً رحمانيا . وخاطراً ربانيا .
وجنانا قويا . وسرّا سويا . وشربا أحمديا . وعملا مرضيا . وظاهرا نقيا . وباطنا تقيا . وعقلا كليا .
وكشفا أقدسيا . ولبا ذكيا . ويدا في الخيرات ممدودة . وقدما ساعيا في الأفعال المحمودة . ولسانا
ذاكرا . وطرفا ساهرا . ووجها لسيف العزم شاهرا . وفكرا ثاقبا . ومددا متعاقبا . وعينا سحيحة .
وأقوالا صحيحة . وموارد رجيحة . وعوارف لمراقي الجمال مربحة . وأذنا سميعة . وجوارح مطيعة
وصدرا رحيبا . وعيشا خصيبا . وروحا زكية . ونفسا رضية . وأنفاسا معمرة بالشهود . مثمرة بكل
وصف محمود . اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة . والمغفرة الشاملة . والمحبة الجامعة . والخلة الصافية .
والرحمة الواسعة . والأنوار الساطعة . والشفاعة القائمة . والحجة البالغة . والدرجة العالية . وفك وثاقنا
من المعصية . ورهاننا من النقمة بمواهب المنة . وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك حتى نخرج من الدنيا
على السلامة من وبالها . واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها . وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند
الشدائد ونزولها . وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها . بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها .
وصلى الله على خاتم الولاية النبوية الإرسالية . وآله وصحبه أرباب العناية الالهية . وسلّم تسليما والحمد لله أولا
والحمد لله آخرا والحمد لله مستغرق المحامد كلها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل
نعم المولى ونعم النصير . اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على
ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين .
والحمد لله رب العالمين آمين .

فهرس

(تمت)